

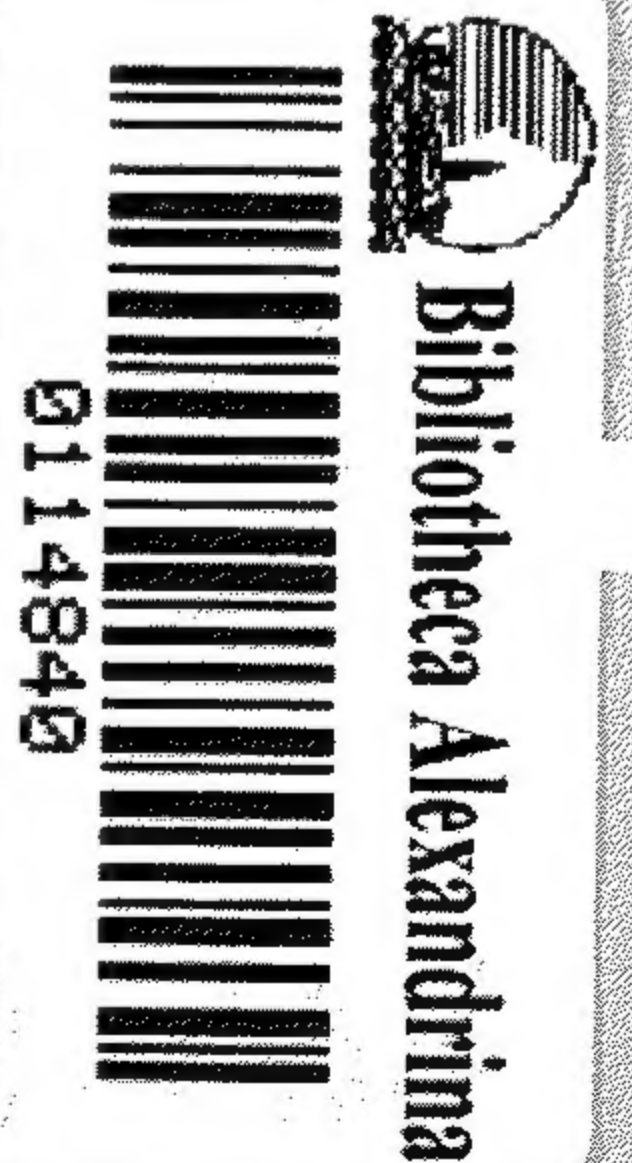
محمد خير عبد الفتاح

تكملة الألفية العربية

بسقوط النخلة العثمانية

دراسة للقضية العربية في خمسين عامًا

١٨٧٥م / ١٩٢٥م



الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

نيمة الكتب

ص.ب ٢٤٧٢ - الخرطوم

المجلة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم التصنيف: ٩٥٣
رقم التسجيل: ٥٠٠٥

محمد خير عبد القادر

DL

مكتبة الاسكندرية

بسطوط النخلة العثمانية

دراسة للقضية العربية في خمسين عامًا

١٨٧٥م / ١٩٢٥م

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

جميع الحقوق محفوظة

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الأدبي
الأمانة: ٣ ميسان الموصل
بجولة جامع العراق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير » .

« صدق الله العظيم »

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على رسوله الأمين ..
محمد بن عبد الله الذي أرسله رحمة للعالمين .. بلسان عربى مبين .

يسعدنى أن أتقدم بالشكر والثناء الى من أسهموا فى تقويم
هذه الدراسة بالنقد والتعليق واسداء النصح .. وأخص منهم نخبة
كريمة من علماء الدراسات الانسانية فى جامعة الخرطوم وبعض
الجامعات العربية الأساتذة : الدكتور يوسف فضل حسن ، والدكتور
ابراهيم الحارذلو ، والدكتور عثمان سيد أحمد اسماعيل ، والدكتور
مدثر عبد الرحيم الطيب ، والدكتور تاج السر حران ، والدكتور حسن
عبد الله الترابى ، والدكتور عبد العزيز كامل .

ومن الأصدقاء الأستاذ محمد عثمان محمد العوض .

والاخوة الذين أشرفوا على الطباعة التمهيدية .

فلهم جميعا تحية تقدير واعزاز .. ولهم من الله حسن المثوبة
وخير الجزاء .

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

يمتد الوطن العربى عبر مساحات كبيرة فى القارتين الآسيوية والافريقية ولكن الدراسة التى عنيت بها فى هذه الفصول تتناول قضية الأمة العربية متمثلة فى وادى النيل والهلال الخصيب ، خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ، لأن هذه المنطقة كانت قبلة أنظار الدول الغربية الطامعة فى اقتسام تركة « الرجل المريض »^(١) نظرا الى أهميتها الاستراتيجية وما يرتبط باحتلالها من آثار ومزايا فى مجال السياسة الدولية والتنافس على مواقع النفوذ بين الدول الأوروبية الكبرى ، وكانت فى الوقت ذاته تمثل أهم الأقاليم العربية المنضوية تحت لواء الخلافة العثمانية^(٢) وقد تميزت الفترة موضع البحث (١٨٧٥ - ١٩٢٥) بأنها شهدت الارهاصات الأولى لميلاد القضية العربية الحديثة كما شهدت نموها ودخولها مرحلتها الحاسمة .

لقد درج بعض الباحثين على الفصل بين القضية العربية فى الهلال الخصيب وما كان يعرف « بالمسألة المصرية » أو « مسألة السودان »^(٣) وهو فصل ينطوى على عزل للأحداث بعضها عن بعض بحيث تتوارى الصورة الكلية للقضية خلف الجزئيات .

(١) تعبير ساخر أطلقته الدبلوماسية الأوروبية على الدولة العثمانية المحتضرة فى ذلك العصر .

(٢) على الرغم من انفراد محمد على بمصر منذ مطلع القرن التاسع عشر فانها ظلت من الوجهة القانونية خاضعة للسيادة العثمانية حتى عام ١٩١٤ (اعلان الحماية البريطانية)

(٣) Mekki Abbas, The Sudan Question (1884 - 1951)

Faber and Faber, Ltd, London, 1951.

ومهما كانت الدوافع لهذا الفصل ، فإن المسألة واحدة هي قضية « الأمة العربية » بكل مقوماتها الحضارية المتميزة ووحدتها اللغوية وانتمائها الاسلامي . بل هكذا كان الغربيون ينظرون اليها دون أن يسموا الأشياء بأسمائها .

ولعل أكثر الذين يدركون هذه الحقيقة قادة الحركة الصهيونية ، فعندما تحدث دافيد بن جوريون في المؤتمر الصهيوني السابع عشر في « بال » بسويسرا (يونيو — يوليو ١٩٣١) كان يضع هذه الحقيقة نصب عينيه .

قال بن جوريون : « ان الخطر علينا لا يأتي من عرب فلسطين وحدهم ، ولكن علينا أن نفكر في مصر وشمال افريقيا وكافة المسلمين وكل من يتحدث اللغة العربية » (٤) .

* * *

وقد رأيت أن أتناول الموضوع في الصفحات التالية بقدر ما تيسر لي من مصادر أحسب أنها تلقى مزيداً من الأضواء على هذه القضية ، ان لم يكن في صورتها الكلية فعلى الأقل في بعض جوانبها . اننى مدين لمكتبة جامعة الخرطوم والمكتبة البريطانية « المتحف البريطانى » بلندن ومكتبة الكونجرس في واشنطن وقد أثبت في ذيل هذا الكتاب المصادر التى تيسر لى الاطلاع عليها فى تلك الدور . لقد أفدت كثيراً من مجموعة الوثائق الرسمية التى نشرها « Albert M. Hyamson » فى مجلدين عام ١٩٣٩ بعنوان :

« The British consulate in Jerusalem in Relation to The Jews of Palestine. »

وهى مجموعة الرسائل المتبادلة بين وزارة الخارجية البريطانية وبعض سفارات بريطانيا وقنصلياتها فى الشرق الأوسط حول وضع اليهود ، ويشمل الجزء الأول رسائل الفترة (١٨٣٨ — ١٨٦١) والجزء الثانى ، الفترة بين عامى (١٨٦٢ — ١٩١٤) .

D. Ben - Gurion, Rebirth. and Destiny of Israel, (٤)
New - York, 1954, p. 31.

تلقي هذه الرسائل ضوءاً كبيراً على مساعي اليهود في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لدى الحكومة البريطانية لتيسر لهم الهجرة الى فلسطين والاستقرار فيها بممارسة الضغط على الدولة العثمانية لأن فلسطين كانت جزءاً من الولايات العربية العثمانية وذلك قبل ظهور دعوة « هرتزل » مؤسس الحركة الصهيونية بنحو خمسين عاماً • كما توضح الرسائل مقاومة الدولة العثمانية لهذا الضغط اليهودي البريطاني لا سيما في عهد السلطان عبد الحميد •

وهناك مجموعة أخرى من الوثائق البريطانية اعتمدت عليها في دراسة فترة ما بعد الحرب (١٩١٩ — ١٩٢٥) وهي وثائق السياسة البريطانية الخارجية المجموعة الأولى (١٩١٩ — ١٩٣٩) •

« Documents on British Foreign Policy, First Series 1919 — 1939 Ed. Woodward and Butler, London, 1952 »

وهذه المجموعة حافلة بالمعلومات الهامة عن سياسة الغرب نحو البلاد العربية في الشرق الأوسط وفلسطين بوجه خاص • ومن الوثائق التي أفدت منها مذكرة عن منشأ وعد « بلفور » لم تنشر وهي للكاتب الصهيوني الأرمني « جيمس مالكولم » بعنوان: « Origins of The Balfour Declaration » مؤرخة في يوليو ١٩٤٤ ومحفوظة تحت رقم « Cup 1247c. 28 » في مكتبة المتحف البريطاني • أما عن الحركة الصهيونية فقد استعنت بمذكرات « هرتزل » وكتابه « الدولة اليهودية » ومذكرات « حاييم وايزمان » وبعض مؤلفات أحدهما عام « أشر جنزبرج » وتاريخ « سوكولوف » للحركة الصهيونية ، وبعض مقالات « لوى براندائيس » عن اليهودية والصهيونية ، والتاريخ الاجتماعي والديني لليهود للأستاذ « Salo Wittmayer Baron » وتاريخ اليهود للمؤرخ « Heinrich Graetz »

* * *

وفيما يتعلق بأمر فلسطين اعتمدت على بعض التقارير الرسمية لحكومة فلسطين — حكومة الانتداب البريطاني — وتقارير لجان التحقيق التي ألفتها الحكومة البريطانية ووقائع اجتماعات اللجنة الدائمة لشئون الانتداب في جنيف وهي إحدى لجان عصبة الأمم كما أخذت عن

الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين : المجموعة الأولى (١٩١٥ - ١٩٤٦) وهى من منشورات جامعة الدول العربية بالقاهرة (١٩٥٧) ، ووجدت كثيرا من المعلومات القيمة فى مذكرات السير « رونالد ستورز » وبعض مؤلفاته .

وفى دراسة الحركة العربية وأهدافها بعد الانقلاب العثمانى فى عام ١٩٠٨ اعتمدت على قرارات المؤتمر العربى الأول الذى عقد فى باريس فى يونيو ١٩١٣ وعلى البيانات الرسمية لحزب اللامركزية العثمانى فى القاهرة وعلى أقوال قادة العمل السياسى فى الوطن العربى آنذاك التى كانت تنشر فى مجلة « المنار » من أمثال « رفيق العظم » « وعبد الحميد الزهراوى » والشيخ « محمد رشيد رضا » ومذكرات « أسعد داغر » على هامش القضية العربية .

ولما كانت القضية العربية الحديثة ذات صلة وثيقة بنمو الشعور القومى والتراث الحضارى للأمة العربية فقد آثرت أن أستهل هذا البحث فى « الفصل الأول » بحديث عن مفهوم « الأمة العربية » ومقوماتها والعوامل التى مهدت لظهور « القومية العربية » خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

وأفردت الفصل الثانى لدراسة القضية العربية ومعالمها فى ظل الدولة العثمانية (١٨٧٥ - ١٩١٤) وهذه الفترة تشمل بالتقريب حكم السلطان « عبد الحميد الثانى خان » (١٨٧٦ - ١٩٠٨) كما تشمل السنوات الخمس الأولى من حكم الأتراك الاتحاديين « جمعية الاتحاد والترقى » وتمتد من سنة ١٩٠٩ الى سنة ١٩١٤ وتتميز هذه الفترة بأنها كانت تمثل مرحلة الدعوة الى الإصلاح لدعم الخلافة العثمانية وتأكيد وحدتها السياسية وذلك على الرغم من ظهور بعض النزعات العنصرية والقومية والطائفية التى لم يكن لها شأن يذكر ، ولم يكن لدى قادة الحركة العربية حتى ذلك الوقت سعى حقيقى للانفصال عن الخلافة العثمانية أو الثورة عليها بل كان العرب فى

مصر والهلال الخصيب يصفون أنفسهم بأنهم «عرب عثمانيون» يعملون على تقوية الدولة بالنقد البانى والاصلاح السياسى والدينى والاجتماعى. وعنيت فى هذا الفصل بايضاح سياسة الدولة العثمانية فى عهد خلفاء آل عثمان نحو حماية فلسطين من الهجرة اليهودية الاستيطانية ، ومقابلة هذه السياسة بما أصبح عليه الحال فى عهد جمعية الاتحاد والترقى بين سنتى ١٩١٣ - ١٩١٤ عندما جردت الجمعية الخليفة العثمانى من سلطاته الحقيقية على اثر عزل السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ ، واتجهت سياستها الى مآلاة الصهيونية والتمكين لها فى المناصب القيادية وفتح باب الهجرة اليهودية الى فلسطين والاستيلاء على أرضها عن طريق التملك وهو ما كان محظورا فى عهد الخلفاء العثمانيين منذ عام ١٨٤٠ الى نهاية حكم السلطان عبد الحميد .

* * *

أما سنوات الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) فموضع دراستها الفصل الثالث لأنها تمثل الفترة التى طفح فيها كيل الأتراك الاتحاديين ، ووضحت فيها اتجاهاتهم المعادية للعروبة والاسلام ، وعنفهم فى قمع حركة الاصلاح الناشئة ، واعداد قادة الحركة العربية أفراداً وجماعات فى دمشق وبيروت ، والحكم غيابيا على قادتها فى مصر . ومن ثم شهدت هذه الفترة التحول الخطير فى اتجاه القضية عندما قرر قادة العرب الثورة على حكم الأتراك الاتحاديين والدعوة الى الاستقلال الكامل ولم تأل بريطانيا جهدا فى استغلال هذا الموقف وتوجيهه لتحقيق مآربها ، رافعة شعار استقلال البلاد العربية واحياء الخلافة فى دار العروبة فكانت الخديعة الكبرى التى واجهتها الأمة العربية فى تاريخها الحديث .

* * *

ويعالج الفصل الرابع تصاعد الشعور القومى ضد الغزو الأوروبى وردود الفعل لهذه الخديعة بين عامى ١٩١٩ - ١٩٢٥ عندما ثارت مصر بقيادة «سعد زغلول» «وعبد الرحمن فهمى» (مارس - ابريل ١٩١٩)

وأعلن فيصل قيام الدولة العربية فى سوريا (مارس ١٩٢٠) وثار شعب فلسطين على الزحف الصهيونى المنظم ولكن سرعان ما تحول حلفاء الأمس من أدعياء الصداقة العربية الى أعداء لحركة التحرر العربى فقمعت هذه الثورات كلها بقوة وعنف وظفرت الأمة العربية بقبض الريح بعد أن تمردت على دولة الخلافة العثمانية وساعدت على اسقاطها وحصدت خيبة الأمل ♦

* * *

ونظراً الى خطورة الحركة الصهيونية وصلتها بوحدة الأمة العربية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها فقد أفردت الفصل الخامس لدراسة الصهيونية الحديثة وما تستند اليه من دعاوى فلسفية ودينية والظروف التى أتاحت للصهيونية أن تنمو من طور الفكرة المنبوذة فى نظر أكثر يهود العالم الى حركة سياسية تسخر صناع السياسة الدولية لخدمة أهدافها ومطامعها ♦

* * *

مقدمة

● رصد مسار القضية في خمسين عاما — تحولات سياسية في المنطقة العربية — دراسات حول القضية — أبعادها ومقوماتها التاريخية — الصعاب التي تكتنف الدراسة — الوجود العربي قبل الاسلام — المد العربي بعد الاسلام — مسيرة الاسلام بعد العرب — الأتراك العثمانيون — القسطنطينية حاضرة الاسلام — أوروبا أمام تحدى العثمانيين — الدولة العثمانية تحتضر — العرب على مفترق الطرق — عناصر الصراع الفكري والسياسي — انبثاق القضية العربية .

ليس هذا الكتاب تاريخا للحركة القومية الحديثة في الشرق العربي أو ما يسميه الكتاب الغربيون « الشرق الأوسط » ولكنه محاولة لدراسة القضية العربية في تلك المنطقة ورصد مسارها خلال خمسين عاما كانت حافلة بأعمق التحولات السياسية التي قلبت ميزان القوى في المنطقة وكانت لها آثار بعيدة المدى في تشكيل مستقبل الأمة العربية .

لقد تناول عدد كبير من الكتاب والباحثين دراسة القضية العربية في مراحلها الزمنية المختلفة ، مع تباين تصوراتهم لأبعاد هذه القضية ومقوماتها وجذورها التاريخية فمنهم من تصدى لدراستها باعتبارها جزءاً من تاريخ الشرق الأوسط كالأستاذ « برنارد لويس » في كتابه « العرب في التاريخ » وكتابه « الشرق الأوسط والغرب » والأستاذ « ب . م . هولت » في كتابه « مصر والهلل الخصيب » والأستاذ « محمد أنيس » في دراسته عن « الدولة العثمانية والشرق العربي » ومن الطبيعي في مثل هذه الدراسة أن تنال القضية نصيبها بالقدر

الذى يتفق ومكانتها فى الفترة التاريخية موضع البحث ومن ثم يغلب على معالجتها الايجاز والاجمال •

وهناك باحثون تناولوا القضية فى اطارها العام دون تركيز على جانب معين من جوانبها كالأستاذ جبرائيل « البعث العربى » وجورج أنطونيوس « يقظة العرب » وأمين سعيد « الثورة العربية الكبرى » والأستاذ محمد بديع شريف وزكى المحاسنى وأحمد عزت عبد الكريم « دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة » وغير هؤلاء ولكن هناك من عنى بدراسة بعض جوانب القضية دراسة تقوم على نوع من التخصص والتفصيل أذكر منهم الأستاذ زين نور الدين زين « العلاقات العربية التركية وظهور القومية العربية » وكتابه « ظهور القومية العربية » والأستاذ مكي شبكة « العرب والسياسة البريطانية فى الحرب العالمية الأولى » والأستاذ توفيق على برو « العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى » وذلك فضلا عن عشرات المؤلفات والمقالات التى ظهرت عن القومية العربية بوجه عام وعن « قضية فلسطين » على وجه التحديد •

ولا شك أن القضية العربية موضوع خصب يفتح أمام الباحث آفاقاً رحبة للتأمل والدراسة ولكنها آفاق محفوفة بالصعاب ، لا يتيسر لفرد أن يوفىها حقها لأن القضية تضرب بجذورها فى الماضى القريب والبعيد وتمتد أبعادها عبر الزمان والمكان وتتنوع مصادرها بين وفرة هنا وندرة هناك وتتناثر أخبارها بين ثقافات الرواة وضعاف الأسانيد ومن ثم تصبح مهمة الباحث عسيرة لأنه يواجه كل هذه الصعاب مجتمعة •

ان جذور التاريخ العربى قديمة قدم الممالك التى شهدتها الجزيرة العربية منذ عهد معين وسبأ وحمير (١٣٠٠ ق.م — ٥٢٥ م) وعهد الحيرة والغساسنة وحوضر الحجاز ، مكة والمدينة والطائف ، ولكن العرب الذين غيروا وجه الحياة فى الشرق الأوسط وأثاروا ظلمات العصور الوسطى بقبس الحضارة الاسلامية ونقلوا تراث الفكر اليونانى الرومانى الى أوروبا واتصل تاريخهم بالعالم المعاصر هم العرب المسلمون الذين

نهلوا من معين الاسلام ثم خرجوا من المدينة المنورة فى هجرة فريدة غيرت مجرى التاريخ فى رقعة فسيحة من العالم ، وبنت حضارة سماها أحد الكتاب الغربيين «المعجزة العربية Le Miracle Arabe»^(١) مشيرا بصفة خاصة الى عصر الرشيد والمأمون .

غير أن المد العربى ما كاد يبلغ مداه خلال ثلاثة قرون بعد ظهور الاسلام حتى أخذ العرب يتوارون من المسرح السياسى خلف شعوب ودول أخرى شرح الله صدرها للاسلام فحملت رايته عبر قارات الكرة الأرضية ، وكانت آخر دولة من تلك الدول التى بسطت نفوذها على العالم العربى وارتبط بها مصير الأمة العربية حتى يقظتها الحديثة هى دولة الأتراك العثمانيين أو الخلافة العثمانية التى أضحت مبعث قلق عظيم لاساسة أوروبا منذ أن اتخذت الآستانة «القسطنطينية» حاضرة لها سنة ١٤٥٣ م الى ظهور «المسألة الشرقية» فى القرن التاسع عشر .

وعندما أخذ بناء الدولة العثمانية فى التصدع الداخلى وانهزمت جيوشها أمام الزحف الخارجى ، وتصاعدت المطامع السياسية الأوروبية لاقتسام أراضيها وتسربت الأفكار الغربية الى أقاليمها العربية ، أخذ العرب يبحثون عن ذاتهم ولغتهم وحضارتهم ويتطلعون الى تغيير حاضرهم وبناء مستقبلهم ولكنهم لم يجدوا الطريق ممهدا لتحقيق آمالهم . لقد انفرد العقد الذى كان يربطهم تحت راية الخلافة العثمانية وأطلت عليهم دول غربية عنهم ، تفوقهم علما وقوة ودهاء فوقف العرب حائرين أمام هذا التحدى : وقفت كثرتهم مع الدولة العثمانية تشد أزرها وتدعو الى اصلاحها لمواجهة الغزو الأوروبى ، وجنح آخرون الى الانفصال عنها تحت تأثير الأفكار الجديدة داعين الى «دولة قومية» تفرق بين الدين والدنيا^(٢) وبين العبادة والسياسة ، على غرار ما حدث فى أوروبا ، وانبرت طائفة منهم تمجد الحضارة الجديدة وتتخذ منها

(١) Max Vintejoux. Le Maracle Arabe, Charlot, Paris

1950, pp. 85 - 107. Introduced by Louis Massignon.

(٢) رفيق العظم : عن اسباب تقهقر المسلمين ، المنار م ٧ نوفمبر

١٩٠٤ ص ٦٦٠ — ٦٦١

مثلا أعلى وتنشبه بأهلها حتى فى عجمة اللسان فظهرت الدعوة الى « الاستلتان »^(٣) واتخاذ العامية لغة مقام العربية الفصحى ، واستجاب آخرون لدعوة « الفرنجة المحدثين » وتحريضهم على اعلان الحرب ضد الدولة العثمانية لقاء وعد كاذب بإعادة الخلافة الاسلامية الى مهدها فى الجزيرة العربية وسلالتها القرشية وبين هؤلاء وهؤلاء كان « فرنجة القرن العشرين » يخططون لابتلاع الوطن العربى بأسره وتدمير الخلافة العثمانية^(٤) على السواء ، واقامة دولتهم الجديدة على أرض فلسطين تحت علم الصهيونية ومن خلال هذا الصراع السياسى الفكرى العقدى برزت القضية العربية الشائكة فى صورتها الحديثة ، لتحكى قصة أمة عصفت بها رياح الفرقة والشتات بعد سقوط الخلافة .

أما العوامل التى مهدت لظهور هذه القضية وحددت اتجاهاتها فى خمسين عاما فهى الموضوع الذى نتناوله الفصول التالية بشيء من التفصيل والتحليل .

(٣) أى استخدام الحروف اللاتينية فى كتابة اللغة العربية .
(٤) كان لالغاء الخلافة العثمانية فى عام ١٩٢٤ صدى واسع فى العالم العربى والاسلامى ونعاهها أحمد شوقى فى قصيدة بعنوان « خلافة الاسلام » :

عادت أغانى العرس رجع نواح كفنت فى ليل الزفاف بثوبه ضجت عليك مآذن ومنابر الهند والهة ومصر حزينه والشام تسأل والعراق وفارس هتكوا بأيديهم قلادة فخرهم نزعوا عن الأعناق خير قلادة	ونعيت بين معالم الأفراح ودفنت عند تبلج الاصباح ويكت عليك ممالك ونواح تبكى عليك بمدمع سحاح امحا من الأرض الخلافة ماح موشية بمواهب انفتاح ونضوا عن الاعطاف خير وشاح
---	---

(الشوقيات : دار الكتاب العربى ، بيروت ص ١٠٥ - ١٠٦ -

لم يذكر تاريخ النشر) . لكن شيخا من شيوخ مصر كان له رأى آخر فأصدر كتابا (١٩٢٥) ندد فيه بفكرة الخلافة منكرا صلتها بالاسلام ووصف الصديق أبا بكر رضى الله عنه بأنه كان « أول ملك فى الاسلام » وأن ملكه « قام على أساس القوة والسيف » وأن ذلك كان « أمرا مفهوما للمسلمين حينما كانوا يتآمرون فى السقيفة عمن يولونه أمرهم » .

على عبد الرازق : الاسلام وأصول الحكم ص ١٨٣ - ١٨٤ ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (لم يذكر تاريخ النشر) .
للاطلاع على تفنيد هذا الزعم ، راجع هامش ٣٩ بالفصل الأول وانظر : محمد ضياء الدين الرئيس : النظريات السياسية الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٠ .

الفصل الأول

مقومات الأمة العربية

● فكرة القومية ومضمونها — الأمة الإسلامية —
الوطن العربي القلب النابض للعالم الإسلامي — بين العروبة
والإسلام — اسراف وغموض في تعريف القومية العربية —
التراث الإسلامي ولفة القرآن قوام الأمة العربية — وحدة
الأمة ووحدة الدولة — تيارات فكرية تشكك في عروبة مصر
والجزائر — الافتتان بالغرب ونظرية ابن خلدون —
سبيقا وولكوكس وسلامة موسى ولويس عوض — أتاتورك
والاستلتان — الإسلام يحطم العنصرية — الأخوة الإسلامية —
إيمان بالكتب المنزلة من عند الله — الأمة العربية والخلافة
العثمانية — ظهور القومية في الوطن العربي — الاستشراق
والتبشير — أصالة الفكر الإسلامي — تحدى الاستشراق —
الصحافة الإسلامية — العقيد الاجتماعي والبيعة في
الإسلام — روسو وابن خلدون — برنارد لويس يخطئ
الطريق — الحرية السياسية في الإسلام — بيعة أبي بكر —
الكواكبي ونجيب العازوري .



مقومات الأمة العربية

ان كلمة « القومية » تعبير غربى تلتقه شعوب الشرق الأوسط فيما تلتقت من مؤثرات خلال القرن التاسع عشر وليس هناك اجماع بين الغربيين أنفسهم حول مضمون هذا التعبير • ففى اللغتين الانجليزية والفرنسية — فيما يروى الأستاذ « برنارد لويس » يقصد بكلمة « Nationality » القطر أو الدولة التى ينتمى اليها الفرد أو المواطن^(١) بينما نجد فى الألمانية كلمة مماثلة تحمل نفس هذا المعنى وكلمة غيرها « » « Nationaitat » وهى ذات دلالة اجتماعية بشرية أكثر منها سياسية أو قانونية^(٢) •

وفى القارة الأمريكية والأوروبية يخضع تحديد الذاتية القومية — بوجه عام — للموطن الجغرافى أو القطر ورابطة النسل واللغة المشتركة^(٣) أما العالم العربى — وهو القلب النابض للعالم الاسلامى — فقد كانت له حتى نهاية القرن التاسع عشر معايير الخاصة فى تحديد ذاتيته وولاء الأفراد المنتمين اليها ، وتتبع هذه المعايير من مفهوم « الأمة الاسلامية » وذلك أن اعتناق الاسلام لا يعنى قبول العقيدة الاسلامية من الزاوية الشخصية فحسب بل يعنى أيضا الانتماء الى الأمة الاسلامية والتمتع بكل ما تحمله عضوية الأمة من تبعات ومسئوليات وجزاء وما تفرضه من عقاب • اننا لا نستطيع أن نتحدث عن وجود « أمة عربية » فى العصر الجاهلى • حقا لقد كانت هناك قبائل عربية تفاخر بأصلها فى أشعارها وتتحدث عن أيامها وأخبارها وتحس احساسا بدائيا بذاتيتها المتميزة عن الأعاجم المحيطين بها من

(١) Bernard Lewis, The Middle East and the West, (١) Bloomington, 1964, pp 70 - 71.

(٣) المصدر نفسه والصفحة

(٢) المصدر نفسه ص ٧١

الفرس والبيزنطيين وتنزع الى الحرية بمعنى عدم الخضوع لأية سلطة مركزية أو أى سلطان غير سلطان القبيلة ولكن هذا الاحساس لم يكن احساساً قومياً لأن بواعثه قبلية توحى بجنوح نحو الفوضى وعدم المسئولية وهذا يتفق وروح العصر الذى وصف بعصر « الجاهلية » والجاهلية هنا كما يقول الدكتور شوقى ضيف « ليست مشتقة من الجهل الذى هو ضد العلم ونقيضه ، انما هى مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق فهى تقابل كلمة الاسلام التى تدل على الخضوع والطاعة لله جل وعز وما ينطوى فيها من سلوك كريم » (٤) .

ومع أن الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية شهدت ظهور بعض الامارات قبل الاسلام كامارة الغساسنة على تخوم الشام والمناذرة على حدود العراق وكندة فى شمالى نجد فان بعض هذه الامارات كان خاضعا لنفوذ الدولة البيزنطية وبعضها لنفوذ الفرس ولم تستطع أية واحدة منها أن تصهر القبائل المختلفة داخل الجزيرة العربية فى اطار من الوحدة الثقافية والاجتماعية والسياسية كما فعلت الدولة الاسلامية الناشئة فى المدينة المنورة .

أما الأجزاء الجنوبية من بلاد العرب فقد كانت لها حضاراتها القديمة ودولها وممالكها ، يذكر منها المؤرخون مملكة معين وسبأ ومملكة قتبان والمملكة الأوسانية ومملكة حضرموت (٥) وانتهت آخر مملكة عربية جنوبية — بعد فترة من الضعف والتدخل البيزنطى الفارسى — بالانضمام الى الدولة العربية الاسلامية فى القرن السابع الميلادى ولم تكن تلك الممالك القديمة بأسعد حظا من الامارات العربية الشمالية فى توحيد العرب والخروج بهم من عزلتهم الجغرافية والسياسية الى رهاب العالم الفسيح .

وكانت مكة فى العصر الجاهلى أهم مدينة عربية ، أصحاب النفوذ فيها سادة قريش : هاشم وأمية ومخزوم وتميم وعدى وجمح وسهم

(٤) شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربى ، العصر الجاهلى ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٠ ص ٣٩
(٥) المصدر نفسه ص ٢٧

وأسد ونوفل وزهرة وكانوا أهل ترف وثراء بفضل ما تدره عليهم تجارة القوافل الراححة من أرزاق ولهم صلات تجارية واسعة خارج الجزيرة العربية^(٦) ولكنهم مع ذلك كانوا يمثلون مجتمعا قبليا « لا يعدو اتحاد عشائر ارتبط بعضها ببعض فى حلف لغرض سدانة الكعبة من جهة والقيام على تجارة القوافل من جهة أخرى ولا سلطان لعشيرة على عشيرة »^(٧) .

لم يكن عرب الجاهلية يفتقرون الى الوحدة السياسية فحسب وانما كانوا يفتقدون كذلك وحدة الهدف والتجانس الثقافى بقدر ما كانوا يعانون من التمزق العقائدى فى ظل الوثنية ، والنظرة المحلية المغلقة فى اطار القبيلة . كان الشعر رصيدهم الثقافى وكان لا يخرج فى أغراضه عن المدح والمهجاء وان كانت الفضائل النفسية كالشجاعة والمروءة والكرم من المعانى التى يدور حولها المدح ، وكانوا يؤمنون بوجود علاقة بين الشعر والكهانة والسحر ولهم عناية خاصة بالفراصة والقيافة^(٨) أى تتبع الأثر فى الأرض ولكن لم تكن لديهم نظرة شاملة الى الحياة والكون والى الأسرة البشرية خارج نطاق جزيرتهم ولا الى حياة أخرى غير الحياة الدنيا لأن أكثرهم كانوا وثنيين يؤمنون بقوى الهية كثيرة ، بعضها نبات وبعضها جماد ، فقد اتخذت هذيل من الأصنام « سواعا » وعبدت كلب « ودا » وألهت مذحج « يغوث » واتخذت خيوان « يعوق » وقدست حمير « نبرأ »^(٩) . وكان أقدم آلهتهم « مناة » وكانت العرب تسمى « عبد مناة » « وزيد مناة »^(١٠) ثم اتخذوا « اللات » وهى

(٦) لم تخرج هذه الصلات عن اطار العلاقات التجارية التى كانت تربط الجنوب العربى والمحيط الهندى بشرقى البحر المتوسط وأسواق الهلال الخصيب وعلى الرغم من اتساع دائرة هذا النشاط التجارى ، ظل دور العرب فى تاريخ الشرق الأدنى دورا هامشيا .
راجع :

The Cambridge History of Islam 1 A Co - Ed P. M. Holt
Cambridge University Press, 1970, pp. 10 , 25 , 26.

(٧) المصدر نفسه ص ٥٢ (٨) المصدر نفسه ص ٨٥

(٩) هشام الكلبى : كتاب الأصنام ، القاهرة ١٩٦٥ ص ١٠ - ١١

(١٠) المصدر نفسه ص ١٣

صخرة مربعة « والعزى » وهى أعظم أصنام قريش يزورونها ويهدون اليها ويتقربون عندها بالذبح وقد أنشد زيد بن عمرو بن نفيل :

تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجاد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمى بنى غنم أزور
ولا هبلا أزور وكان رباً لنا فى الدهر اذ حلمى صغير^(١١)

حقا كانت هناك عناصر تدين باليهودية والنصرانية وكان هناك الحنفاء الذين ساورتهم الشكوك فى دين آبائهم وأخذوا يتطلعون الى دين جديد من أمثال ورقة بن نوفل وأسيد بن عبد العزى وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث ولكن تيار الوثنية كان جارفاً •

ويظهر الاسلام فى القرن السابع الميلادى لم تنته الوثنية فحسب بل تغيرت الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية داخل الجزيرة العربية كما تغيرت معالم الشرق الأوسط وقيمته الحضارية بعد ذلك بوقت وجيز •

لقد ولدت « الأمة العربية » تحت راية القرآن وأخذت طلائعها تجوب آفاق العالم مبشرة بالعقيدة والقيم الجديدة ، يحدوها فيض زاخر من نور الايمان • وقد أشار الدكتور طه حسين فى تحليله للقومية العربية الى دور الاسلام فى بناء وحدة الأمة العربية حين قال :

« والقومية العربية — اذا أردنا أن نعرف متى تكونت بالمعنى الدقيق لكلمة القومية — ينبغى أن نرد هذا الى ظهور الاسلام فالمكون الحقيقى للوحدة العربية بجميع أنواعها وفروعها ، الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية أيضا انما هو النبى ﷺ ولا أذكر اليمن القديمة لأنى لا أكاد أعرف من حضارتها ونظمها شيئاً وانما المدينة الأولى التى عرفها التاريخ والتى تكونت فيها النواة الأساسية للقومية العربية هى مدينة « يثرب » بعد أن هاجر النبى اليها مع أصحابه

من قریش • من هذه الوحدة جعل الاتحاد العربى ينمو قليلا قليلا (١٢) » (١٣) •

ويشير الدكتور طه حسين الى أهمية اللغة العربية فى بناء الوحدة القومية ملاحظ أنه لم يكن للعرب فى الجاهلية رابطته تجمعهم سوى اللغة على اختلاف تسديد فى لهجات اللغة (١٤) غير أن الوحدة اللغوية لم تكن فى العصر الجاهلى كاملة لان الجاهليين لم يتخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم ونقل ثمره قرائتهم الى الاجيال التالية (١٥) وانما ظلت لغتهم مسموعة فحسب ولم يتحولوا من أميتهم الكبيرة الى قارئين يتلون الا بعد نزول القرآن ومن ثم أصبحت اللغة العربية مع مسيرة التاريخ الاسلامى لغة مسموعة مكتوبة (١٦) •

ولما كان الأدباء والشعراء مرآة تتجلى فيها أحاسيس الأمة فان الدكتور طه حسين يرى أن الشعر شارك فى تكوين القومية العربية وتقويتها بعد أن كونها القرآن (١٧) وقد عبر الدكتور أحمد الحوفى عن رأى شبيه بهذا فى عام ١٩٥٧ عندما ذهب الى أن الفضل فى نشأة الجامعة العربية وفى استهلال الوحدة العربية المنشودة يرجع الى الأدباء قبل ان يرجع الى الساسة ، لأن الأدباء فى رأيه يصدرون عن نفوس مبراة من المطامع الشخصية ويعبرون عن آمال الشعب (١٨) •

والحق أن الأمثلة التى ساقها الدكتور الحوفى من شعر الأستاذ على الجارم لتأييد وجهة نظره تفيض بنغم شجى وعاطفة دفاقة تتخطى

(١٢) ان طبيعة الوحدة التى يتحدث عنها طه حسين هنا لا تتفق تماما والمفهوم القومى الحديث لأن الأسس التى تستند اليها وحدة الأمة الاسلامية اكثر شمولا وسماحة من مفهوم القومية الموروثة عن الفكر السياسى الغربى ؛

(١٣) خطاب الدكتور طه حسين فى مؤتمر الأدباء العرب بالقاهرة « المجلة » عدد رقم ١٣ ، القاهرة ، يناير ١٩٥٨ ص ١٠ — ١١

(١٤) المصدر نفسه ص ١٠

(١٥) شوقى ضيف المصدر نفسه ص ١٤٠

(١٦) المصدر نفسه والصفحة

(١٧) « المجلة » ، القاهرة ، يناير ١٩٥٨ ص ١٠ •

(١٨) المجلة عدد رقم (٦) القاهرة ، يونيو ١٩٥٧ ص ٩٤ — ٩٥

للمحواجز الجغرافية والحدود السياسية فى العالم العربى الحديث
لتلتقى بمشاعر العرب فى كل مكان •

فالأستاذ الجارم يخاطب أهل بغداد قائلاً :

بغداد يا بلد الرشيد	ومنارة المجد التليد
يا سطر مجد للعربية	خط فى لوح الوجود
يا راية الاسلام	والاسلام خفاق البنود
يا مغرب الأمل القديم	ومشرق الأمل الجديد
بغداد انا وفد مصر	نفيض بالشوق الأكيد
أهلوك أهـلـونا	وأبناء العشيرة والجدود (١٩)

ويخاطب أهل الحجاز :

يا جيرة الحرم المزهو ساكنه	سقى العهود الخوالى كل منسكب
لى بينكم صلة عزت أوأصراها	لأنها صلة القرآن والنسب

ويخاطب أهل السودان :

ان جزت يوما الى السودان فارعه	مودة كصفاء الدر مكنونا
عهـد له قد رحيناه بأعيننا	وعروة قد عقدناها بأيدينا
ظل العروبة والقرآن يجمعنا	وسلسل النيل يرويهـم ويروينا (٢٠)

واذا جاوزنا أمثلة الدكتور الحوفى من شعر الأستاذ الجارم
الى مقتطفات أخرى من الشعر العربى الحديث فاننا نجد فى ديوان
الشاعر العراقى معروف الرصافى والشاعر السودانى أحمد محمد
صالح مزيدا من النفحات الشعرية التى تتغنى بمآثر العروبة وتمجد
ماضيها وتعبر عن وحدتها فالرصافى يرحب بالزعيم التونسى عبد العزيز
النهضاتى عند قدومه بغداد سنة ١٩٢٥ قائلاً (٢١) :

(١٩) ديوان الجارم ، الجزء الثانى مطبعة المغارف بمصر ١٩٣٨
ص ١٣٩ — ١٤٠
(٢٠) المجلة ، القاهرة ، يونيو ١٩٥٧ ص ٩٥
(٢١) ديوان الرصافى الجزء الأول الطبعة السادسة مصر ، ١٩٥٩
ص ١٣٤ — ١٣٥

أتونس ان فى بغداد قوما
ويجمعهم واياك انتساب
ودين أوضحت للناس قبلا
فنحن على الحقيقة أهل قربي
وما ضر البعاد اذا تدانت

تurf قلوبهم لك بالوداد
الى من خص منطقهم بضاد
نواصع آيه سبل الرشاد
وان قضت السياسة بالبعاد
أواصر من لسان واعتقاد

ويرحب بالأديب اللبناني الكبير أمين الريحاني فى عام ١٩٢٢
بقوله (٢٢) :

ان العراق بعرضه وبطولاه
يهتز مبتهجا بمقدم ضيفه
بربيب لبنان بريحانيه
أمين جئت الى العراق لكى ترى
فأقم به ولك الغنى بفسراته
وانزل على وادى السلام ممثما

وبرافديه وباسقات نخيله
ويش مبقما بوجه نزيله
بكبير معشره بفخر قبيله
ما فيه من غرر العلا وحجوله
عن قطر مصر وعن موارد نيله
برغيد عيش تحت ظل نخيله

الى أن يقول :

من أين يرجى للعراق تقدم
لا خير فى وطن يكون السيف عند
والرأى عند طريده والعلم عند
وقد استبد قليله بكثيره

وسبيل ممتلكيه غير سبيله
جبانه والمال عند بخيله
غريبه والحكم عند دخيله
ظلما وذل كثيره لقليله

والأستاذ أحمد محمد صالح تهز مشاعره محنة دمشق فى عام
١٩٤٥ ومأساة فلسطين فى عام ١٩٤٨ ، فيخاطب دمشق (٢٣) :

صبرا دمشق فكل طرف باكى
جرح العروبة فيك جرح سائل
جزعت عمان وروعت بغداد

لما استبيح مع الظلام حماك
بكت العروبة كلها لبكاك
واهتزت ربى صنعاء يوم أساك

(٢٢) المصدر نفسه ص ٤٢٣ — ٤٢٤

(٢٣) أحمد محمد صالح : مع الأحرار ، بيروت ١٩٦٩ الطبعة الأولى
ص ٩٣ — ٩٤

وسمعت في الحرمين^(٢٤) أنه شاكى
لما استبد السيف في مغناك
لما تعفر بالثرى خـداك
وغدا يلوح مع النجوم سناك
في تاج أروع من أمية زاكى
وازدان بالاسلام عقد حلاك

وقرأت في الخرطوم آيات الأسى
الزعفران مشت عليه كآبة
والروضة الفيحاء روع ركنها
صبرا دمشقى فكل هم زائل
تتالقين كما عهدتكم درة
في الجاهلية كان عزك باذخا
ويقول عن فلسطين^(٢٥) :

وينعى العـدالة ذاك الخبر
وجار عليها ذئاب البشر
قراصنة السوء في المؤتمر
ولم يرهبوا نابها والظفر
منها اللهب بدا واستعر
وكيف الكفاح وفيهم الخور
وننعم نحن بحلو الثمر
وقولوا لصهيون أين المفر
وسدوا عليهم طريق الظفر
قريع الظبى وأخاكم عمر
وأيامنا الزاهيات الغرر
تراث النبى وذاك الأثر
نداء فلسطين عند الخطر

مشى يتحدى صروف القدر
وقالوا فلسطين قد روعت
لصوص السياسة أهل الدهاء
أباحوا العرين عرين اليبوث
وما وعد بلفور الا الشرارة
وقل للعروبة أين السلاح
أتصلى فلسطين نار السعير
فخونوا لصهيون سوط العذاب
خذوهم بك شديدا المراس
وشدوا العرى واذكروا خالدا
وعهد صلاح وعهد الرشيد
ولسم لأحمد ان لم تصونوا
ولستم لعدنان ان لم تلبوا

وبعد .. ان هذه المقتطفات تصور تصويرا صادقا وحدة الشعور
بين أبناء الأمة العربية ولكنها لا تنهض دليلا على أن الشعر هو منشئ
القومية العربية بل لعلنا نكون أقرب إلى الصواب اذا قلنا ان للشعراء
نصيبا مرموقا في بناء الوحدة العربية فهم حداتها والمعبرون عنها .

(٢٤) وردت في الديوان « بيروت » والصحيح « الحرمين » وفقا

لرواية الدكتور ابراهيم الحارثي .

(٢٥) المصدر نفسه ص ٩١ — ٩٢ .

على أن هناك جانباً هاماً في أبيات الشعر سالف الذكر إذ أنها تكاد تجمع على رد مقومات الأمة العربية إلى الإسلام ولغة القرآن ، والإسلام ليس عقيدة شخصية فحسب — كما تصوره بعض الأقلام البعيدة عن ادراك طبيعته الشاملة — وإنما هو عقيدة وشريعة ومنهج للحياة وحضارة ومجتمع ، له من المقومات ما يجعله قادراً على التفاعل والتأثير والأخذ والعطاء واستقطاب تجارب الإنسانية وثمرات الفكر البشرى والاستجابة لتحديات التغيير دون أن يترخص في قيمه ومعتقداته • وهو في هذا الإطار تراث مشترك لأبناء الأمة العربية على اختلاف نحلهم وملهم وللشعوب الإسلامية على اختلاف ألسنتها وألوانها • ولكن هذا لا يعنى — كما ذكر آخرون — أن الإسلام قد أصبح في نظر الجيل العربى الحديث تراثاً قومياً أكثر منه عقيدة دينية^(٢٦) • انه عقيدة في المقام الأول وتراث من صنع العقيدة •

وإذا كان العرب قد عزوا بالإسلام وبشروا به في مشارق الأرض ومغاربها ، فإن هذا لا يعنى أن الإسلام دين العرب أو دين الجزيرة العربية كما يزعم كثير من المستشرقين ولكن العرب هم الذين حملوا رسالته وشرفوا بها كما شرفت لغتهم بالقرآن ومن هنا كانت أهمية العلاقة بين العروبة والإسلام وأهمية العالم العربى باعتباره حفيظاً على التراث الإسلامى وقاعدة للدفاع عن لغة القرآن ضد المتربصين بها • لقد حذر عمر بن الخطاب رضى الله عنه من لوثة العصبية العنصرية ومن احتكار الإسلام باسم العروبة قائلاً :

« ان العرب شرفت برسول الله ﷺ ولعل بعضها يلقاه الى آباء كثيرة ، مع ذلك والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة فلا ينظر رجل الى قرابة وليعمل لما عند الله فان من قصر به عمله لم يسرع به نسبه »^(٢٧) •

Hisham B. Sharabi, Nationalism and Revolution (٢٦)
in the Arab World, D. Van Nostrand Co. Inc., Princeton, New
Jersey, 1966 p. 6.

(٢٧) تاريخ الطبرى ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٣ ، ج ٤ ص ٢١٠

فالتراث الاسلامى واللغة العربية هما قوام الأمة العربية ومع تسرب تيار العلمانية والفكرة القومية بمعناها الأوروبى الحديث الى العالم العربى خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين فان طبيعة الأمة العربية لم يطرأ عليها تغيير جوهري وظل التراث الاسلامى واللغة العربية بمثابة دعامتين أساسيتين للقومية العربية ويبدو هذا واضحا فى المحاولات التى بذلت لتعريف هذه القومية فى العصر الحديث ، فهى فى رأى الدكتور اسحاق موسى الحسينى « جماع المثل العليا المتأصلة فى العرب والتى لا غنى للوجود العربى عنها » (٢٨) والقومية العربية فى تعريف الدكتور سيد نوفل هى « رابطة فكرية تضم أبناء الأمة العربية جميعا وتعتمد على مقومات أصيلة فى مقدمتها وحدة اللغة والثقافة والتاريخ والنضال المشترك للحرية والتقدم وآمال المستقبل فى الوحدة الشاملة الكبرى » (٢٩) .

أما مؤتمر الأدباء العرب الذى عقد فى القاهرة بين يومى ٩ و ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٧ فيعرف القومية العربية بأنها « حقيقة نابغة من أعماق الذات العربية ومن تفكير كل عربى وشعوره أينما كان منزله وهى تعبير عن شخصية الأمة العربية فى أمانيتها وحاجاتها ومصالحها وما هو قائم بين أبناء العروبة من أواصر التاريخ والموطن والتراث الثقافى واللغة الواحدة والمصير المشترك كما أنها اعراب عن عزم ونضال من أجل حرية الأمة العربية ووحدتها » (٣٠) .

هذه المحاولات لتعريف القومية العربية — رغم ما يشتمل عليه بعضها من ألفاظ غامضة — تكاد تجمع على الأسس التى تستند اليها هذه القومية وهى رابطة الفكر والموطن ووحدة اللغة والثقافة والتاريخ والنضال والمصير المشترك ، وهذا عين ما حققه الاسلام للأمة العربية ولكن على مستوى أرفع وعمق حضارى أبعد مما عرفته القوميات

(٢٨) اسحاق موسى الحسينى ، أزمة الفكر العربى ، بيروت ١٩٥٤ ص ٤٣

(٢٩) سيد نوفل ، القومية العربية فى مواجهة الاستعمار الصهيونى القاهرة ١٩٦٥ ص ٥

(٣٠) المجلة ، القاهرة ، يناير ١٩٥٨ ص ١٨

الحديثة التى نشأت فى أوروبا • وإذا نظرنا الى حياة العرب قبل الاسلام وقد كانت مسرحا للخصام والعدوان والسلب والنهب واذا ذكرنا أرسنقراطية قريش فى مكة والعداء المستعر بين الأوس والخزرج وأرسنقراطية الجاليات اليهودية فى يثرب ، واختلاف اللهجات واستهجان الولاء لسلطان غير سلطان القبيلة وتفشى الأمية والخواء الروحى وتعدد الآلهة وتنوعها لأدركنا أن كل هذه الظواهر ما كانت لتهيء للعرب مناخا ملائما للوحدة فى أية صورة من صورها •

وهناك من الكتاب العرب من يرى أن القومية العربية مرت فى التاريخ بعدة مراحل تغير خلالها حافظها المثير فالدكتور محمد مندور لا يعترض على أن الاسلام والقرآن كانا الحافظ الأول فى نشر اللغة العربية وتكوين العالم العربى ولكن هذه الوحدة — فى رأيه — ما لبثت أن تفككت مع الزمن تحت وطأة الأحداث وانقسام العالم العربى الى دويلات^(٣١) • ويمضى الدكتور مندور قائلا « ثم جاءت الحروب الصليبية فجددت الاحساس بالوحدة الدينية الاسلامية كأساس للقومية العربية ولكنه لم تكد تنقضى الحروب الصليبية وتنسى مأساتها حتى عاد العالم العربى من جديد الى الانقسام »^(٣٢) •

ويلاحظ هنا أن الدكتور مندور يخلط بين وحدة الأمة ووحدة الدولة • ان انقسام العالم العربى فيما يسميه الغربيون بالعصور الوسطى ، أو فى العصر الحديث الى دول لا يعنى أن الأمة العربية قد انقسمت الى أمم ، فاستقلال مصر عن الدولة العباسية فى عهد الطولونيين لم يفصل مصر عن الأمة العربية وانما فصلها من الخلافة العباسية وظهور الدول العربية الحديثة ذات السيادة فى القرن العشرين وتعدد حكوماتها لا يعنى انفصاما فى وحدة الأمة العربية التى صاغها الاسلام وأنضجتها تجارب الأيام وأحكمت رابطتها وشائج القربى وصهرتها الآلام والآمال ووحدت لسانها لغة القرآن •

(٣٢) المصدر نفسه وانصفحة

(٣١) المصدر نفسه ص ١٧

لا شك أنه قد ظهرت تيارات فكرية في وقت ما خلال النصف الأول من القرن العشرين تشكك في عروبة قطرين من أهم وأكبر أقطار العالم العربي ، وهما مصر والجزائر وهي تيارات تمثل تفكيراً شخصياً غذته مؤثرات أجنبية ولكنها تلاشت بعد أن اقتنع دعاة هذا الاتجاه بالخطأ في تصورهم . ففي العدد الصادر بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٣٦ من صحيفة « L'Entente » التي أسسها الأستاذ عباس فرحات عام ١٩٣٣ في الجزائر نشر فرحات مقالته الشهيرة التي جاء فيها : « انني لن أموت في سبيل الوطن الجزائري لأن هذا الوطن لا وجود له . بحثت عنه فلم أجده . سألت عنه التاريخ والأحياء والأموات وزرت القبور فلم يجبني أحد . ان الانسان لا يقيم بنيانه على الرياح » (٣٣) وكان عباس فرحات يقود يومئذ دعوة الاندماج في فرنسا مع زميله الدكتور ابن جلول والدكتور الأخضرى وردت عليه جماعة العلماء الجزائريين على لسان رئيسها عبد الحميد بن باديس في مجلة الشهاب في ابريل سنة ١٩٣٦ : « اننا نحن ففتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة وموجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلال الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح شأن كل أمة في الدنيا . ثم ان هذه الأمة الجزائرية الاسلامية ليست فرنسا ولا تستطيع أن تكون فرنسا لو أرادت بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها » (٣٤) .

Jean Lacouture, Cinq Hommes Et La France, (٣٣)
Paris, 1961 p. 274.

(٣٤) الشهاب ج ١ م ١٢ ص ٤٥ — ٥٠ ، محرم ١٣٥٥ هـ — ابريل ١٩٣٦ ، مقتطفة في محاضرة مدثر عبد الرحيم : « بين الاصلية والتبعية — تجربة الاستعمار وأنماط التحرر الثقافي في البلاد الآسيوية والافريقية — أبو ظبي — ٣ مارس ١٩٧٥ ، محاضرات الموسم الثقافي لعام ١٣٩٤/١٣٩٥ هـ ١٩٧٤/١٩٧٥ م دولة الامارات العربية المتحدة ، ص ١٩١ ، عن كتاب : تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس : فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ، الجزائر ١٩٦٩ ص ٢٣٤ .

على أن الرد العملى على عباس فرحات جاء بعد اعلان الثورة الجزائرية فى بداية النصف الثانى من القرن العشرين عندما كانت فرنسا تردد شعار « الجزائر فرنسية » *Algerie Francaise* فيرد الشعب الجزائرى الثائر بأن « الجزائر مسلمة » *Algerie Musulmane* ويلاحظ الأستاذ « برنارد لويس » أنهم لم يقولوا « الجزائر جزائرية » أو « الجزائر عربية » وانما قالوا : « الجزائر مسلمة » (٣٥) .

أما الدكتور طه حسين فكان يؤمن فى سنة ١٩٣٦ بأن مصر جزء من أوروبا فى كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية ، ويرى أن حياة المصريين المعنوية على اختلاف مظاهرها وألوانها أوروبية خالصة وأنه من السخف الذى ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق (٣٦) .

ان مصر فى رأيه تنتمى الى الحضارة الأوروبية حضارة البحر المتوسط .

وجدير بالتنويه أن الفترة التى جهر فيها طه حسين بهذا القول وبآرائه التى ضمنها كتابه « فى الشعر الجاهلى » (١٩٢٦) (٣٧) انما كانت فترة اعجاب بالحضارة الغربية وتقليد لها حتى جمع بعض المستنيرين من أبناء الأمة العربية الى المغالاة فى الدعوة الى قبول معطيات تلك الحضارة بخيرها وشرها ونجد تفسير هذه الظاهرة فى نظرية ابن خلدون التى ذهب فيها الى « أن المغلوب مولع أبداً بالافتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته وفى سائر أحواله وعوائده والسبب فى ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلب عليها وانتقادت اليه » (٣٨) وينبغى ألا نغفل هنا أن العصر الذى كتب فيه طه حسين وعباس فرحات ،

B. Lewis, Op. Cit. p. 95.

(٣٥)

(٣٦) طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر — دار المعارف — القاهرة

١٩٤٤ ص ٣٢

(٣٧) لمزيد من الاحاطة بالمعركة الادبية والازمة السياسية التى اثارها كتاب طه حسين « فى الشعر الجاهلى » انظر : محمد سعيد العريان : حياة الراحل ، مطبعة الرسالة الطبعة الاولى — ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) ص ١٢٦ — ١٣٠

(٣٨) ابن خلدون (عبد الرحمن) المقدمة ، تحقيق على عبد الواحد وافى لجنة البيان العربى الطبعة الاولى القاهرة ١٩٥٨ ج ٢ ص ٥٠٠ ، ٥١

وظهر فيه كتاب الشيخ على عبد الرازق عن «الاسلام وأصول الحكم»^(٣٩) كان يمثل ضرورة التسلط الاستعماري الأوروبي على العالم العربي والاسلامى .

ولكن الدكتور طه حسين تولى الرد على نفسه مصححا هذه الأفكار فى عام ١٩٥٧ عندما قال فى مؤتمر الأدباء العرب فى القاهرة : « ومن المحقق أن البلاد التى يتألف منها العالم العربى الحديث لا يمكن أن تكون مؤلفة حقا من عناصر عربية خالصة تنسب الى عدنان وقحطان وانما هى عربية بلغتها عربية بشعورها وعقلها ووجدانها وعربية بدينها سواء أكان هذا الدين اسلاميا أم نصرانيا . وهى عربية بكل هذا . آثرت العروبة على غيرها وأصبحت أمة عربية جديدة كونها الاسلام وكونها دون اكراه أو ارغام أو عنف »^(٤٠) .

ومن الكتاب العرب من لا يؤمن بوجود أمة عربية واحدة ومنهم من لا يطمئن الى الحديث عن « الأمة العربية » ويخشى أن تتحول « القومية العربية » الى نوع من التأييد للذاتية الاسلامية وهؤلاء يحلمون بأمة عربية مجردة من مقوماتها الاسلامية وتتمتع بحماية أوروبية وكان يمثل هذا الاتجاه شى مطلع القرن العشرين نجيب عازورى مؤسس « جامعة الوطن العربى »^(٤١) فمصر فى رأى عازورى ليست قطرا عربيا والقومية التى كان يدعو اليها مصطفى كامل قومية زائفة لأنها موالية للاسلام وللدولة العثمانية . هذه الآراء تشبه الى حد ما آراء أنطون سعادة (١٩٠٤ — ١٩٤٩) مؤسس الحزب السورى القومى . وكان « سعادة » يدعو الى القومية السورية التى اعتبرها دينا جديدا يوحد السوريين على اختلاف نزعاتهم ، والعالم العربى فى نظره يمثل مجموعة من الأمم لا أمة واحدة وان كانت لهذه الأمم من روابط الدين

(٣٩) راجع القصة الكاملة لكتاب « الاسلام وأصول الحكم » فى كتاب « الاسلام والخلافة فى العصر الحديث » لمحمد ضياء الدين الرئيس ، منشورات العصر الحديث ، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) .

(٤٠) المجلة ، القاهرة ، يناير ١٩٥٨ ص ١٣ — ١٤

(٤١) Albert Hourani, Arabic Thought In the Liberal

Age, Oxford University Press, 1962, p. 277.

واللغة ما يدفعها الى العمل للوصول الى اتفاق وتعاون في بعض المسائل السياسية والثقافية والاجتماعية^(٤٢) وهو يسمى هذه القومية الاقليمية « العروبة الحققة » .

والأستاذ بيير الجميل يؤمن بأن لبنان « مبدأ روحى ورسالة^(٤٣) وهو — أى لبنان — ينتمى الى الغرب والشرق معا » وهو ضرورى للغرب لأنه يفسر للعرب ثقافة الغرب وأفكاره وقيمه الروحية . وهو ضرورى للشرق العربى لأن هذا الشرق مدين للبنان بنهضته الفكرية فى القرن التاسع عشر » .

أما سلامة موسى فانه يسخر من اللغة العربية الفصحى ويسخر من الذين « يحترمون القدماء بأشخاصهم وعقائدهم » ومن الثقافة الاقطاعية التى تعنى فى رأيه « تأليف الكتب فى العقائد الدينية والتأليف فى ترجمة معاوية بن أبى سفيان وخالد بن الوليد وحسان بن ثابت » فى الوقت الذى يجب أن يؤلف فيه عن هنرى فورد^(٤٤) .

والأستاذ سلامة موسى غاضب على اللغة العربية بوضعها الحاضر وحروفها العربية لأنه يزعم « لن يكون فى بلادنا نهضة علمية ولن ترقى الصناعة الا حين تتخذ الحروف اللاتينية أى لن تستعرب العلوم الا اذا « استلتن » الهجاء العربى »^(٤٥) ، وهو يرى أن اللغة العربية ليست فقيرة فى التعبير ولكن حروفها هى التى تعجز برسمها الحاضر عن التعبير^(٤٦) . وهو بالاضافة الى ذلك يؤيد استخدام اللغة العامية دون الفصحى لأن العامية لغة المستقبل .

وهنا لابد من وقفة لنتبين طبيعة هذه الدعوة التى تبناها

(٤٢) K. H. Karpát, Political and Social Thought in the Contemporary Middle East, London, 1968 pp. 77 - 79.

(٤٣) Karpát, Op. Cit. pp. 108 - 109.

(٤٤) سلامة موسى : انبلاغة العصرية واللغة العربية — القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٦٤ ص ٨ — ٩ — ١٥٤

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٥ (٤٦) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ (٣ — نكبة الأمة العربية)

سلامة موسى وناجح عنها في ذلك الوقت ، وظاهره فيها لويس عوض (٤٧) من بعد ، وذلك نظرا لخطورتها وما قد يبدو عليها في مظهرها من سحر التجديد والابتكار ، ولكن أول ما نعلمه من الذين درسوا تاريخ الدعوة الى اللغة العامية في مصر دراسة احاطة وتجرد وعمق أن سلامة موسى لم يكن من المبتكرين في هذا المجال وانما كان مقلدا وتابعا لمن سبقه من دعاة العامية « والاستلتان » • أما الذين ابتدعوا حملة التشهير بالعربية الفصحى والتأفف منها تمهيدا للقضاء عليها فهم نفر من الغرباء على الوطن العربى واللغة العربية والتراث الاسلامى ، بل نفر ممن تقلدوا بعض المناصب الرسمية في مصر في أوائل عهد الاحتلال البريطانى وعلى رأسهم الدكتور الألمانى « Wilhelm Spitta » « K. Vollers » وكلاهما شغل منصب مدير دار الكتب المصرية ومنهم « J. Seldon Willmore » و « A. Powel » البريطانيين وقد توليا مناصب قضائية في مصر (٤٨) في نهاية القرن التاسع عشر • أما الذى نصح المصريين باستخدام العامية فى الكتابة بدلا عن الفصحى لكى يصبحوا مخترعين فهو مهندس الرى البريطانى « William Wilcok » فى محاضراته التى ألقاها فى نادى الأزبكية بعنوان « لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن (١٨٩٣) » ؟ وزعم فى محاضراته أن العامل الأكبر فى فقد قوة الاختراع لدى المصريين هو استخدامهم العربية الفصحى (٤٩) •

وفى عام ١٩٠١ أصدر القاضى ولور كتابه « العربية المحكية فى مصر » الذى دعا فيه الى كتابة العامية بالحروف اللاتينية وناشد أرباب الصحف أن يبدأوا الكتابة بالعامية واقترح أن يكون التعليم بالعامية اجباريا (٥٠) • وقد تصدى لتنفيذ هذه الدعوة بعض النابهين من أبناء

(٤٧) انظر محمود محمد شاكر : « هذه هى القضية » فى اباطيل وأسما - مطبعة المدنى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ ص ١٢٩ — ١٥٠

(٤٨) نفوسة زكريا سعيد ، تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها فى مصر ، الطبعة الأولى مطبعة دار نشر الثقافة ، الاسكندرية ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٤ ، ص ١٧

(٤٩) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ (٥٠) المصدر نفسه ، ص ١٠٩

مصر فى ذلك الحين حتى خفت صوتها ولكنها تركت آثارها على بعض من فتن بها ومنهم سلامة موسى الذى أعجب بولكوكس وأيد دعوته الى هجر العربية النصحى وفى ذلك تقول الدكتور نفوسة زكريا سعيد : « فلما يؤس دعاة العامية من الأجانب من نجاح دعوتهم وخمد نشاطهم تبعاً لذلك قام أنصارهم ومن نأثروا بهم من أبناء العربية ببث هذه الدعوة والترويج لها باسم الاصلاح والتجديد فى اللغة العربية وآدابها » (٥١) .

ومن ناحية أخرى يبدو أن بعث هذه الدعوة فى عام ١٩٢٦ والسنوات التى تلتها كان صدى وامتداداً لحركة « الاستقلال » التى قادها مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا بعد الغاء الخلافة العثمانية فى سنة ١٩٢٤ وما تبع ذلك من أوامر بالغاء المحاكم الشرعية (٥٢) واحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية التى حرمت ابتداءً من أول نوفمبر سنة ١٩٢٩ (٥٣) وإذا كان الأستاذ ساطع الحصرى يعرف القومية العربية بأنها « اللغة العربية لا أكثر ولا أقل » (٥٤) فإن الدعوة الى العامية تعنى نفس القومية العربية من جذورها ، ولكن الحصرى نفسه يشارك الداعين الى هدم القومية العربية — من حيث لا يشعر — عندما يحاول تجريد فكرة القومية العربية من أساسها الاسلامى ويعتبر « الرابطة الاسلامية » احدى العقبات التى كانت تعترض طريق القومية العربية (٥٥) . وفى رأى الحصرى أن العرب اذا تخلوا عن الاسلام فسيظلون عرباً (٥٦) وهنا يتولى الأستاذ « هودجكن » الرد على الأستاذ الحصرى قائلاً « ان العرب اذا جردوا من القرآن

(٥١) المصدر نفسه ، ص ١٢٢

(٥٢) B. Lewis, The Emergence of Modern Turkey, Oxford University Press, Paperbacks, 2nd Ed. 1968, pp. 272 - 273.

(٥٣) Lewis, Op. Cit. p. 433.

(٥٤) A. Hourani, Op. Cit. p. 313.

(٥٥) ساطع الحصرى ، آراء واحاديث فى اللغة والأدب — دار العلم للملايين — بيروت ، الطبعة الاولى : ١٩٥٨ ص ١٣٥

(٥٦) A. Hourani, Op. Cit. p. 315.

والاسلام فانهم لن يفقدوا عقيدتهم فحسب بل يفقدون تاريخهم ومجتمعهم وتقاليدهم ولغتهم» (٥٧) .

وقد ذهب بعض الكتاب العرب الى الاسراف فى رد القومية العربية وأصول الوعي المشترك بين العرب الى العصور القديمة فالدكتور ابراهيم جمعة يعتبر القومية العربية قديمة قدم العرب وأنها أقدم من الدولة العربية التى ظهرت مع الاسلام (٥٨) ويتخذ ابراهيم جمعة الهزيمة التى حاقت بجيش أبرهة «الأصحم» — أو «الأشرم» — ابن الصباح فى عام (٥٧٠ م) دليلا على وجود وعى عربى قومى وقف فى وجه الغزو الأجنبى (٥٩) وهو يشير بذلك الى قصة أصحاب الفيل التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم غير أنه لم تكن ثمة صلة للوعي العربى بهذا الحدث لأن هلاك أبرهة وجيشه تم من قبل طير أبايل أرسلها الله سبحانه وتعالى « وأرسل عليهم طيرا أبابيل • ترميهم بحجارة من سجيل • فجعلهم كعصف مأكول » (٦٠) • لم يكن هناك لقاء بين جيش عربى وجيش أجنبى • وانما خرجت قريش — عندما سمعت بقدوم أبرهة — فاعتصمت بالجبال ، بينما تولى عبد المطلب جد النبى ﷺ الرد على أبرهة قائلاً « ولكن البيت له رب يحميه ويحرسه » (٦١) • ولئن صح أن انتصار العرب على الفرس فى يوم ذى قار سنة ١٣ ق.هـ (٦١٠ م) كان دلالة على أهمية القيمة العصبية ووجود نوع من وحدة الهدف بين كثرة القبائل العربية (٦٢) فان اتخاذ دليلا على وجود وعى قومى عربى (٦٣) لا يخلو من مبالغة مفرطة •

E. C. Hodgkin, The Times, London, No . 58036, (٥٧) November, 30, 1970, p. 8.

K. H. Karpat, Op. Cit. p. 48. (٥٨)

Karpat, Op. Cit. p. 48. (٥٩)

(٦٠) الفيل : ٣ — ٥ ، انظر : عبد الله الطيب تفسير جزء عم ، بيروت الطبعة الاولى ، سورة الفيل ص ٤١٧ — ٤٢٠

(٦١) المصدر نفسه ص ٤١٩

وراجع أيضا : ابن هشام ، السيرة النبوية ، الطبعة الثانية ، مصطفى البابى الحلبي ، مصر ، ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) ج ١ ص ٥٢ — ٥٣ .

(٦٢) عمر فروخ — تاريخ الجاهلية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٤ ص ١٤٥

Karpat, Op. Cit., p. 48. (٦٣)

ويورد الدكتور سيد نوفل رأيا مشابها لرأى الدكتور ابراهيم جمعة
حول هذا الموضوع فيقول :

« ان أصول الوحدة العربية والوعى العربى المشترك تعود الى
التاريخ القديم عندما نمت تلك الأصول قبيل الاسلام فى الاجتماع
تحت علم النضال ضد المطامع الأجنبية الفارسية والرومانية وفى توحيد
اللهجات اللغوية ونمو الأسواق والتبادل التجارى » (٦٤) .

لقد جرت الأحداث التى استند اليها ابراهيم جمعة وسيد نوفل
فى تأييد وجهة نظرهما فى وقت كان العرب يفتقرون فيه الى الوعى
القومى والوحدة الداخلية ولم تقم لهم بعد دولة تنمى الوحدة القومية
وترعاها ولعل الرابطة التى كانت تجمع القبائل فى ذلك الحين ازاء
العالم المحيط بهم لا تعدو شعورا بالاستعلاء والتفوق العنصرى بينما
حطم الاسلام العنصرية وأقام مكانها الاخوة الاسلامية التى تؤمن
بالكتب المنزلة من عند الله جميعها ولا تفرق بين البشر بسبب اللون
أو السلالة ولا تفاضل بينهم الا بالتقوى وصالح العمل :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل
واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون
من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (٦٥) .

وفضلا عن ذلك لم يعرف العرب الوعى التاريخى قبل الاسلام .
كانت لهم معرفة بالأنساب وبالمعارك القبلية التى سموها « أيام العرب »
ولكن هذه الأحداث كانت معزولة بعضها عن بعض . أما الوعى التاريخى
فقد أخذوه عن القرآن بما أعطاهم من تصور شامل لقصة الانسان
على الأرض وللتاريخ الدينى للبشرية (٦٦) ويمكن القول انه منذ ذلك

(٦٤) سيد نوفل 'مرجع سابق ص ١٠

(٦٥) البقرة : ١٣٦

J. F. Schacht, The Arab Nation, Paths and (٦٦).
Obstacles to Fulfilment 14th. Annual conference on Middle
Eastern Affairs, May 5 - 7, 1960 Middle East Institute,
Washington, D. C. 1961, pp. 19 - 20.

الوقت أخذ العرب يتمتعون بدرجة عالية من الوعي التاريخي وفي رأى « شاخت » أن العرب لم يصبح لهم تاريخ مشترك الا بعد الفتوح الاسلامية^(٦٧) .

لقد ولدت الأمة العربية بظهور الاسلام ونمت في رحابه ولكنها أخذت تستجيب لبوادر الوعي القومى الحديث منذ نهاية القرن التاسع عشر وذلك بعد أن شهدت في تاريخها الطويل ضروبا من الصعاب وعاشت عصورا من القوة والضعف وذاقت ألوانا من نشوة النصر ومرار الهزيمة ولكنها ظلت صامدة متميزة بخصائصها لم تذب ولم تنسثر وما كان استيعابها في اطار الدولة العثمانية في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر بداية لنهايتها وانما كان فاتحة لمشاركتها في دولة الخلافة الاسلامية التي صانت وحدة العالم العربى والاسلامى واستقلاله زهاء أربعة قرون (١٥١٤ - ١٩٠٨)^(٦٨) وحملت أمانة الدفاع عن فلسطين وحمايتها من المطامع اليهودية خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . وحتى في عصور ضعفها كانت الدولة العثمانية — بحق — الملاذ السياسى للشعوب الاسلامية المتطلعة الى العون في جهادها ضد الاستعمار . تطلعت اليها حركة المقاومة الجزائرية ضد الفرنسيين بعد احتلالهم الجزائر واستعانت بها تونس كما تطلعت اليها شعوب القوقاز في نضالها ضد مطامع القيصرية الروسية في القرن التاسع عشر^(٦٩) واتجهت اليها مصر لانقاذها من التدخل البريطانى ولكن الدولة عجزت عن الاستجابة للنداء لأنها بلغت من الكبر عتيا ووقعت تحت التهديد الأوروبى .

وعندما انفتحت الدولة العثمانية على العالم الغربى وهبت عليها رياح التغيير في القرن التاسع عشر ، عاشت معها الأمة العربية هذه

(٦٧) Schacht, op. cit., p. 20.

(٦٨) يوافق هذا التاريخ (١٩٠٨) ثورة الشبان الأتراك التي قضت على الخلافة العثمانية من الوجهة العملية وان كان الغاء الخلافة رسميا تم في مارس سنة ١٩٢٤ ، عندما سيق آخر خليفة عثمانى الى المنفى .

(٦٩) Arnold Toynbee, A Study of History, Oxford University Press, London, 1969 Vol. 8 pp. 962 - 963.

التجربة فشهدت سوريا في النصف الثاني من ذلك القرن نشاط بعثات التبشير الأوروبية والأمريكية كما شهد وادي النيل جهود محمد علي باشا في مجالات الزراعة والتعليم والترجمة وتغريب^(٧٠) الحياة المصرية وأخذت أذهان العرب تتفتح لا على علوم الغرب وتقدمه المادي والعلمي فحسب بل على واقعهم الأليم وعلى ذخائر ماضيهم وأمجادهم الغابرة وفي الوقت ذاته شرعت الدول الاستعمارية الغربية في ابتلاع الأقاليم العربية العثمانية اقليما تلو الآخر فعززت فرنسا احتلالها للجزائر^(٧١) بإعلان الحماية على تونس في مايو سنة ١٨٨١ بحجة المحافظة على الأمن ، ويروى « ولفرد بلنت » أن الأمن لم يكن في حاجة الى من يحافظ عليه^(٧٢) وانفردت بريطانيا باحتلال مصر (١٨٨٢) وضرب الثورة العربية ، واحتلال السودان (١٨٩٦ - ١٨٩٩) وذهبت ليبيا ضحية للاحتلال الإيطالي (١٩١٢) . وهكذا اقترن اللقاء الفكري بين العالم العربي والغربي بالمواجهة السياسية والعسكرية فالاحتلال - أي اقترن التحدي الحضاري بالتحدي الحربي والسياسي - فكانت اليقظة القومية هي الاستجابة لتلك التحديات . ان مؤرخي الحركة العربية في العصر الحديث يكادون يتفقون على أن الفكرة القومية بمعناها الحديث لم تظهر لدى العرب الا بعد منتصف القرن التاسع عشر نتيجة لعدد من المؤثرات والعوامل كالالتقاء بين شعوب الشرق الأوسط والغرب وتسرب الأفكار السياسية الغربية الى العالم العربي ونشاط المبشرين والمستشرقين الغربيين وعنايتهم بدراسة اللغة العربية وتاريخ العرب والاسلام ونمو العلاقات التجارية والسياحية بين أوروبا والبلاد العربية وظهور الصحافة وتنبيه سكان العالم العربي الى وجود عالم جديد يفوقهم علما وقوة وثراء في وقت كان العرب يعانون فيه من الجهل والفقر والضعف .

ويعزو الأستاذ جورج أنطونيوس بداية هذه اليقظة في سوريا

(٧٠) ترجمة لكلمة « Westernisation » .

(٧١) احتلت الجزائر في سنة ١٨٣٠

(٧٢) W. S. Blunt, Secret History of the English Occupation of Egypt, U. K., 1907 pp. 122 - 123.

الى نشاط البعثات التبشيرية الكاثوليكية « والمسيحية »^(٧٣) التي أسست المدارس وجلبت المطابع وساعدت على ظهور الجمعيات الأدبية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر • ووجدت تلك الجمعيات في بعث الأدب العربي أساسا صالحا لبناء المستقبل وارساء الحياة العربية على قواعد جديدة من الاخاء والتراث الأدبي المشترك • ومن الشخصيات العربية التي تبنت هذا الاتجاه الأستاذ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ — ١٨٧١) وبطرس البستاني (١٨١٩ — ١٨٨٣) وقد عرف اليازجي بامتلاك ناصية اللغة العربية حتى استعان به المبشرون الأمريكيان في اخراج كتبهم باللغة العربية لطلاب المدارس التبشيرية وكان اليازجي يرى في بعث الأدب العربي الطريق الأوحده لاشاعة روح التسامح ونبذ التعصب • أما الأستاذ البستاني فكان ضليعا في اللغة العربية ويجيد عددا من اللغات الأجنبية منها العبرية والاغريقية والاطالية واللاتينية والآرامية • وأول جمعية ألفها هذان الأديبان — وتعتبر الأولى في العالم العربي كله — هي جمعية الآداب والعلوم (١٨٤٧) وكانت تضم بعض المبشرين الأمريكيان من أمثال « كونيلىوس فاندايك » و « ايلي سمث » • ثم ظهرت الجمعية الشرقية التي ألفها اليسوعيون في عام ١٨٥٠ برئاسة الأب « هنري دي برونير » وفي سنة ١٨٥٧ أسست الجمعية السورية العلمية التي أعيد تكوينها في عام ١٨٦٨ بعد أن توقف نشاطها فترة من الزمن وكانت تدعو الى تقدم البلاد والاعتزاز بالتراث العربي ويرى « أنطونيوس » في هذه الجمعية أول مظهر للوعي الوطني الجماعي ومهد حركة سياسية جديدة^(٧٤) وان كان أول جهد منظم في حركة العرب القومية يرجع في رأيه الى سنة ١٨٧٥ حين ألفت جمعية سرية في بيروت تضم خمسة أشخاص من خريجي الكلية السورية البروتستانتية وأنشأت لها فروعاً في دمشق وطرابلس الشام وصيدا وكان من أعضائها الدكتور فارس نمر ولم يمض على تأسيس هذه الجمعية بضع سنوات حتى

(٧٣) ترجمة لكلمة «Prespyterian» وهي صفة لكنيسة بروتستانتية

(٧٤) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، تعريب ناصر الدين الأسد واحسان عباس ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٦ ص ١١٨ — ١٢٠

ظهرت منشورات سرية في بيروت تندد بحكم الأتراك وتحرض العرب على الثورة ويرى « ليونارد شتاين » أن حركة القومية العربية ولدت في منتصف القرن التاسع عشر بجهود عدد ضئيل من السوريين واللبنانيين وكانت كثرتهم من النصارى لبناء نهضة أدبية عربية وتذكير العرب بتراثهم الثقافى وأن الكلية السورية — الجامعة الأمريكية فيما بعد — لعبت — تحت اشراف المبشرين الأمريكان — دورا هاما في ظهور هذه النهضة^(٧٥) وفى رأى « شتاين » أن علاقة هذه المؤسسة بنشأة الحركة القومية في سوريا كانت من العوامل التى جعلت وزارة الخارجية الأمريكية فى واشنطن لا تعطف كثيرا على الحركة الصهيونية فى سنة ١٩١٧^(٧٦) ولعله يشير بذلك الى معارضة « روبرت لانسنج » وزير الخارجية الأمريكية الذى نصح الرئيس الأمريكى « ويلسون » ألا يؤيد وعد « بلفور » (انظر الفصل الثالث) .

ان الحديث عن بعض الجمعيات التى ظهرت فى سوريا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر باعتبارها طلائع البعث القومى للأمة العربية فى العصر الحديث لا يخلو من مبالغة بل لعله لا يستند الا على قدر ضئيل من الحقيقة اذ يلاحظ أن هذه الجمعيات ظهرت فى وقت قريب من عهد الاضطرابات الطائفية التى شهدتها سوريا وبخاصة لبنان بين عامى ١٨٤٥ و ١٨٦٠ وقد ذكر أنطونيوس أن هذه الفتن اندلعت بعد انسحاب ابراهيم باشا من سوريا اثر تدخل الدول الأوروبية الذى انتهى بانتزاع سوريا من محمد على ومنحه ولاية مصر بالتوارث (معاهدة لندن ١٨٤٠) وأضاف أنطونيوس أن فرنسا وبريطانيا كان لهما ضلع فى فتنة لبنان عام ١٨٤٥ عندما ظهرت فرنسا الموارنة ووقفت بريطانيا مع الدروز كما ذكر أن الدول الأوروبية اتخذت اضطرابات سنة ١٨٦٠ فى لبنان ذريعة للتدخل فى شئون سوريا^(٧٧)

Leonard Stein, The Balfour Declaration, London, (٧٥)
1961 pp. 86 - 87.

Stein, Op. Cit., pp. 87 - 593 - 594. (٧٦)

(٧٧) أنطونيوس ، المصدر نفسه ص ١٢٢ — ١٢٤

ومع أن ظهور الجمعيات التي أشار إليها أنطونيوس اقترن بنشاط الهيئات التبشيرية الأمريكية فإن ظهورها في تلك الفترة وفي الاقليم السوري بالذات أمر يسترعى النظر ويحتاج الى تفسير . وأقرب التفاسير الى الذهن أن الدعوة الى اتخاذ الأدب وسيلة لنبذ التعصب والخلاف الطائفي كانت تعبيرا عن حالة القلق السائد في بعض أجزاء الاقليم السوري نتيجة خلافات عقائدية تبناها الاستعمار الفرنسي والبريطاني وعمل على تغذيتها لاضعاف سلطة الحكومة العثمانية واحراز المزيد من التدخل في شئونها وكانت المنافسة حادة بين بريطانيا وفرنسا على مواقع النفوذ في الأراضي السورية بعد اخراج محمد علي منها واستغلال الاستعمار للفنن أو اثارها يذكرنا بفتنة الاسكندرية الشهيرة (١١ يونيو ١٨٨٢) التي كان البادئ بالعدوان فيها أحد الرعايا البريطانيين من أهل مالطة والتي استتار شرها وذهب ضحيتها مئات الأبرياء (٧٨) . وقد أشارت بعض أصابع الاتهام فيها اشارات ليس من السهل تجاهلها الى أن الفتنة كانت مدبرة (٧٩) وسواء أثبتت التهمة أم لم تثبت فإن خيران مدفعية الأسطول البريطاني قصفت مدينة الاسكندرية في الحادي عشر من شهر يوليو ١٨٨٢ ايذانا ببداية الاحتلال البريطاني لمصر أي بعد ثلاثين يوما من مذبحة الاسكندرية وقد « أراد الانجليز أن يعزوا هذه المأساة الى عرابي » (٨٠) وهذا اتجاه يصعب قبوله لأن مدبري المأساة اذا ثبت أنها مدبرة — لابد من أن يكونوا من الذين لهم مصلحة في قمع الثورة العرابية أو تبرير التدخل البريطاني المسلح في مصر أو الأمرين معا ولن يكون أحمد عرابي هو صاحب هذه المصلحة بأي حال من الأحوال ، وبما أن الثورة العرابية قد قمعت فعلا بمدافع الأسطول البريطاني واستغلت فتنة الاسكندرية لتبرير

(٧٨) مكي شبكية ، تاريخ شعوب وادي النيل ، نقلا عن عبد الرحمن الرافعي ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٦١٧

(٧٩) محمود الخفيف ، أحمد عرابي ، كتاب الهلال العدد ٢٤٥ يونيه ١٩٧١ ص ٢٠٨ — ٢٠٩

(٨٠) محمود الخفيف المصدر نفسه ص ٣٢٣

الاحتلال فان ذلك ادعى لترجيح القول بأن الفتنة كانت من تدبير الغزاة الطامعين في احتلال مصر .

ان هذه التأملات في صلة الجمعيات الأدبية السورية بنشأة الحركة القومية العربية لا تعنى أن تلك الجمعيات لم تسهم بأي قدر في نمو الحركة اذ لا شك في أنها ساعدت على جعل اللغة العربية والميراث الاسلامي موضع اهتمام عدد قليل من أبناء سوريا وظل هذا العدد يزداد حتى امتدت آثاره الفكرية ونشاطه الاعلامي فيما بعد الى وادي النيل ، عندما ظهرت صحيفة « الأهرام » في الاسكندرية سنة ١٨٧٦ لمؤسسيها سليم وبشارة نقلا وفي القاهرة سنة ١٨٩٨ ، وانتقلت « المقتطف » أقدم المجلات العربية الأدبية والعلمية من بيروت الى القاهرة سنة ١٨٨٤ لصاحبها يعقوب صروف وفارس نمر وظهرت « مصر » لأديب اسحاق سنة ١٨٧٧ وأسس جورجى زيدان^(٨١) « الهلال » في القاهرة سنة ١٨٩٢ وأصدر نجيب الحداد وأمين الحداد وعبد الله بدران « لسان العرب » سنة ١٨٩٤ في الاسكندرية وبعثت ادارة « المقتطف » و « المقطم » خليل ثابت ولبيب جريدينى لتأسيس صحيفة « السودان » في الخرطوم سنة ١٩٠٤^(٨٢) .

غير أن الأستاذ أنطونيوس يذكر أن الهيئات التبشيرية الأجنبية كانت تهدف الى توجيه الولاء الفكري للجيل العربي الجديد نحو الثقافات الأوروبية المختلفة لاسيما الثقافة الفرنسية^(٨٣) حتى ظهر جيل من المتعلمين يألفون اللغة الفرنسية والانجليزية والروسية أكثر مما يألفون لغتهم الأصلية بل أصبح التعليم الغربي التبشيري أداة من

(٨١) جورجى زيدان (١٨٦١ — ١٩١٤) من عرب حوران . نشأ في بيروت وهاجر الى مصر وكان محررا في جريدة الزمان ثم مترجما مع الحملة البريطانية النيلية الى السودان . اشتهر بمؤلفاته التاريخية عن الاسلام وأصدر عددا كبيرا من الروايات التاريخية (عن المنار ج ٨ م ١٧ ص ٦٣٦ ، يونيو ١٩١٤) .

(٨٢) محمد صالحه وسميح معنلى : تاريخ الصحافة العربية ، عمان ١٩٦٦ ص ١٠٩ — ١٤٢

(٨٣) أنطونيوس : المصدر نفسه ص ١٦٥

أدوات التغلغل السياسى وبهذا أفسد ما قام به المصلحون العرب من أتراب البستاني الذين كانوا أول من وقف فى وجه الخلافات الطائفية^(٨٤) .

ويرى آخرون أن نشاط المبشرين الأجانب فى سوريا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كان عائقا ليقظة العرب من حيث أنه أثار شكوك الأكثرية العظمى من السكان المسلمين الذين وقفوا بعيدا عن المؤسسات التعليمية التى أنشأها المبشرون ومن حيث أنه ساعد على اذكاء نار العداوة بين الطوائف المختلفة مما استلزم فى بعض الأحيان تدخل قناصل الدول الأجنبية^(٨٥) .

غير أن المستشرقين والمبشرين الذين عنوا بالدراسات العربية الاسلامية أسهموا — من ناحية أخرى — فى يقظة الأمة العربية ، مع ما عرف عن بعضهم من اسراف وغلو فى عداوتهم للإسلام وقيمه وتراثه الحضارى ، كالأب « هنرى لامانس » و « سير وليام موير » (١٨١٩ — ١٩٠٥) « ويوليوس ولهاوزن » ، يقابل ذلك المعتدلون منهم الذين اتسمت دراساتهم الاسلامية بقدر كبير من الهدوء والعمق كالأستاذ « هـ.ر. جب » ، « ورنارد لويس » ولكن مجرد صدور أحكام هؤلاء وأمثالهم على الاسلام وتاريخه ، من موقع التيشير المسافر والمستتر ، أو بدافع الهوى السياسى والتشيع الدينى لأبناء ملتهم أو من موقع الاستعلاء والصلف الحضارى^(٨٦) ، كل ذلك يوجب النظر فى أعمالهم بكثير من الحذر واليقظة .

(٨٤) أنطونيوس : المصدر نفسه ص ١٦٦

(٨٥) Zeine, N. Zeine, The Emergence of Arab Nationalism Beirut, Khayats, 1966 pp. 46 - 47.

(٨٦) راجع : Edward W. Said, Orientalism, Routledge and Kegan Paul, London, 1978, pp. 236 — 237 .

وراجع أيضا : عبد اللطيف الطيباوى : المستشرقون الناطقون بالانجليزية ومدى اقترابهم من حقيقة الاسلام والقومية العربية ، ملحق كتاب : : محمد البهى ، الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٥٧٩ — ٦١٤

لقد بدأت حركة الاستشراق الأوروبي منذ وقت مبكر وربما تعود الى القرن الثانى عشر الميلادى عندما كان العلماء الأوروبيون يزورون الجامعات العربية فى اسبانيا ويعتبر الأستاذ « Alfred of Bath » أول من حمل لواء الدراسات العربية فى الغرب^(٨٧) وبدأت الحركة فى بريطانيا فى القرن السابع عشر باعداد القواميس العربية وكتب النحو وتحرير المخطوطات وترجمة القرآن ثم فتحت الحملة الفرنسية الى مصر المجال لزيارة الشرق ومن ثم بدأت حركة الاستشراق العلمى على أيدي العلماء الفرنسيين الذين رافقوا الحملة الفرنسية وعلى رأسهم « Silvestre de Sacy » ثم أقبل علماء أوروبا على الدراسات الشرقية من مختلف الأقطار • فمنهم الفرنسيون والألمان والبريطانيون والايطاليون والهولنديون والروس وغيرهم ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال « كارل بروكلمان » و « أول • بروفنسال » و « س • ه • بيكر » و « أ • س • تريتون » و « ت • نولدكه » و « ر • ليفى » و « أ • ح آربرى » و « د • س • مرجليوث » و « ب • لوييس » و « لوى ماسينون » • وكان من هؤلاء المستشرقين من أظهر إعجابه بالحضارة الاسلامية وسكن الى الحياة فى البلاد العربية كالأستاذ « B. W. Lane » (١٨٠١ — ١٨٧٦) الذى زار مصر واتخذها دار اقامة وعرف بالأستاذ الأكبر للدراسات العربية وسمى « منصور أفندى »^(٨٨) ومنهم « ولفرد بلنت » (١٨٤٠ — ١٩٢٢) صديق « محمد عبده » ونصير الثورة العربية وهو مؤلف « التاريخ السرى للاحتلال البريطانى فى مصر » وكتاب « عبد القادر الجزائرى بطل الثورة الجزائرية » فى القرن التاسع عشر وقد استقر فى القاهرة واتخذ الزى المصرى وأصبح لا يتكلم غير العربية^(٨٩) •

كانت الاستجابة لتعصب غلاة المستشرقين وأسلوبهم فى تناول القضايا الاسلامية تجاه الحركة القومية الحديثة فى العالم العربى الى

Bernard Lewis, British Contributions to Arabic (٨٧)
Studies, London, 1941, p. 12.

Lewis, op. cit. pp 21 - 23.

(٨٨)

Lewis, op. cit., p. 27.

(٨٩)

استلهم الاسلام عقيدة وثقافة وحضارة^(٩٠) والتصدى للدفاع عن النفس وعن الكيان الثقافى والحضارى والروحي للأمة العربية والاسلامية . وظهر هذا الموقف الدفاعى بوضوح فى نهاية القرن التاسع عشر فى رد السيد « جمال الدين الأفغانى » على محاضرة « أرغست رينان » التى ألقاها فى السوربون فى مارس ١٨٨٣ عن « الاسلام والعلم » كما تجلى فى مقالات « العروة الوثقى » التى أصدرها الأفغانى ومحمد عبده فى باريس من (١٣ مارس الى أكتوبر ١٨٨٤) وسار مصطفى كامل فى نفس الاتجاه كما تشهد بذلك خطبه التى ألقاها فى زيارته للأقطار الأوروبية وجريدته الأسبوعية « العالم الاسلامى » التى أصدرها فى أول مارس سنة ١٩٠٥ .

هذه الروح الدفاعية التى أثارها تحامل المستشرقين نلمسها على صفحات « العروة الوثقى » « والمنار » وفى حملة الدفاع عن الاسلام التى ظهرت فى النصف الأول من القرن العشرين فى مؤلفات محمد حسين هيكل وطه حسين وعباس محمود العقاد وأحمد أمين وتوفيق الحكيم ومصطفى صادق الرافعى ومجلة « الرسالة » للأستاذ أحمد حسن الزيات . وقد كانت هذه الحملة الدفاعية لازمة فى حينها لا لأنها تولت الرد فحسب على مفتريات دافعها التعصب الأعمى لبعض المستشرقين وجهالهم بحقائق الاسلام ولكن لأنها أعادت لشبان الأمة العربية الذين لم يكن لهم المام كاف بتاريخ أمتهم وهزتهم تلك المفتريات ، أعادت اليهم الثقة بأنفسهم وببلادهم وبتراثهم الحضارى .

على أن تحدى المستشرقين كان له نوع آخر من ردود الفعل وأعنى به اقبال الصفوة الواعية من أبناء البلاد العربية على دراسة الحضارة الاسلامية والتراث العربى دراسة فاحصة ناقدة تستخدم أساليب البحث العلمى الحديث وأدواته وتهدف الى التقويم الموضوعى للحضارة العربية الاسلامية لا تكفى برصد هفوات المستشرقين وتعصبهم ولا تغمض عيونها عن واقعها المرير لتتغنى بأمجاد الماضى فى نشوة

(٩٠) E. I. J. Rosenthal, Islam in the Modern National State, Cambridge University Press, 1965, p. 5.

ذهنية عاطفية ولكنها تشخص الحال التي أصابت الأمة العربية والاسلامية وتدرس عوامل تخلفها الاقتصادي والاجتماعي وتضع الأسس القويمة التي تحقق لأمتهم الانطلاق المعافى والوحدة المنشودة والتقدم والرخاء بعد عصور من الجمود والتفرق والضعف • هذا الاتجاه الجديد نحو قضية التجديد في العالم العربي لا شك أنه أحد نتائج تحديات « الاستشراق » وهو من شأنه أن يدفع أبناء الأمة العربية والاسلامية الى « طرح مشكلة الاسلام والعلم بحيث لا نصبح نبحت في الآيات الكريمة هل ذكر فيها شيء عن غزو الفضاء أو تحليل الذرة وانما نتساءل هل في روحها ما يعطل حركة العلم أو على العكس ما يشجعها وينميها » (٩١) •

أما الصحافة فانها لعبت دورا هاما في ايقاظ الشعور الوطني وتحقيق نوع من التجانس الفكري بين أبناء البلاد العربية في وادي النيل والهلال الخصيب بل امتدت آثار بعض الصحف الى كافة أطراف الوطن العربي وبعض أجزاء العالم الاسلامي كالهند • وقد ذكرنا طرفا من أخبار الصحف التي أسسها في مصر المهاجرون من أبناء الاقليم السوري • وفي سوريا نفسها ظهر عدد كبير من الصحف الأدبية والسياسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر أذكر منها — على سبيل المثال لا الحصر — « حديقة الأخبار » (١٨٥٨) في بيروت لخليل الخوري و « نفير سوريا » (١٨٦٠) لبطرس البستاني و « الجنينة » (١٨٧١) لسليم البستاني و « النجاح » (١٨٧١) للقيس لويس صابونجي و « لسان الحال » (١٨٧٧) لخليل سرقيس و « الشهداء » (١٨٧٧) لعبد الرحمن الكواكبي وهاشم العطار في دمشق و « المقتطف » (١٨٧٦) — قبل انتقالها الى مصر — ليعقوب صروف وفارس نمر وفي مطلع القرن العشرين (١٩٠٨) ظهرت صحيفة

(٩١) مالك بن نبي : انتاج المستشرقين واثره في الفكر الاسلامي الحديث ، دار الارشاد للطباعة ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٢٦

« الاتحاد العثماني » للشيخ أحمد حسن طيارة و « الاخاء العثماني »
(١٩١١) لمحمد شاكر الطيب^(٩٢) .

وهناك صحف أخرى كان لها أثر أكبر في بعث الوعي العربي والاسلامي ومقاومة الاحتلال البريطاني في مصر . ويحدثنا الأستاذ عبد الرحمن الرافعي عن بعض هذه الصحف وميولها فيقول « ان الصحافة في مصر في نهاية القرن التاسع عشر كانت اما موالية للاحتلال وتؤيده واما معارضة في خوف وتردد خشية المصادرة والتعطيل وكانت جريدة «الأهرام» و « الوطن » (لميخائيل عبد السيد) تتحوان هذا النحو من المعارضة ثم حمل لواءها « المؤيد » (للشيخ علي يوسف) في رفق وهوادة . ووصف الرافعي ظهور جريدة المؤيد (ديسمبر ١٨٨٩) بأنه « كان من الحوادث الهامة في عهد وزارة رياض باشا وكانت سياسة تلك الجريدة وطنية اسلامية بعثت الروح الوطنية وأحييت المصلات بين الأمم الشرقية ونبهت الرأي العام في مصر الى تعرف حقائق الحالة السياسية التي وصلت اليها في عهد الاحتلال »^(٩٣) ويمضي الأستاذ الرافعي قائلا « أما الصحيفة الوحيدة التي كانت تهاجم الاحتلال في شجاعة وقوة فهي « العروة الوثقى » (١٨٨٤) وكانت أول صحيفة قاومت الاحتلال في عهده الأول »^(٩٤) .

لم تكن « العروة الوثقى » تقاوم الاحتلال البريطاني فجسب ولكنها كانت تحمل تعاليم الأفغانى وآراءه التي تندد بحكم الفرد وتتحدث عن الحكم الدستوري الذي « تأتى به الأمة فتملكه على شرط الأمانة والخضوع لقانونها الأساسى وتؤكد للحاكم أن التاج سيبقى فى رأسه مادام محافظا أميناً على صون الدستور . أما اذا حنث بقسمه أو خان دستور الأمة فاما أن يبقى رأسه بلا تاج أو تاجه بلا رأس »^(٩٥)

(٩٢) محمد صالحه وسامح مغلى ، مصدر سلف ذكره ، ص ١١٣ — ١٢٠

(٩٣) عبد الرحمن الرافعي : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال : القاهرة ١٩٦٦ الطبعة الثانية ص ٢٠٢ — ٢١٣ — ٢١٤

(٩٤) الرافعي ، المصدر نفسه ص ٢١٤

(٩٥) نقلا عن مكى شببكة ، تاريخ شعوب وادى النيل ص ٥٦٣

لقد كانت تعاليم الأفغانى ضد الحكم الفردى باعتباره منافياً للإسلام لأن الحاكم الإسلامى يستمد سلطته من شعبه ولا يحكم الا برضائه ولكل فرد حق التعبير عن رأيه^(٩٦) . ونظرا لخطورة هذه الآراء حظرت سلطات الاحتلال البريطانى دخول العروة الوثقى فى الهند^(٩٧) ومصر . ومن الصحف الوطنية التى عارضت الاحتلال مجلة « الأستاذ » للسيد عبد الله النديم التى ظهرت فى أغسطس سنة ١٨٩٢ واتهمها لورد كرومر — زورا^(٩٨) بالتعصّب فأوقفها فى سنة ١٨٩٣ وأبعد مؤسسها عن مصر .

ومن المجلات التى حملت رسالة « العروة الوثقى » وسارت فى طريقها مجلة « المنار » التى أسسها الشيخ محمد رشيد رضا وهى شبيهة « بالعروة الوثقى » فى اتجاهاتها ولكنها تبدى اهتماما أكبر بالاصلاح الاجتماعى والاقتصادى والدينى . بدأت جريدة يومية — صدر العدد الأول منها فى ١٧ مارس ١٨٩٨ — ثم أصبحت شهرية وكانت السلطات العثمانية تمنع دخولها أراضى الدولة العثمانية بل صدرت أوامر الى والى بيروت ومتصرف طرابلس باحراق العدد الثانى من السنة الأولى^(٩٩) . وكان من كتاب المنار الشيخ محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وقد شهد محمد عبده بأثر المنار فى تونس عندما زارها فى سنة ١٩٠٣ والمنار هى المجلة التى نشرت مقالات « أم القرى » للكواكبي وحملت لواء المعارضة ضد السلطان عبد الحميد وضد الأتراك الاتحاديين فيما بعد ونددت باتجاهاتهم المعادية للعروبة والإسلام . وكانت « المنار » من أولى المجلات التى نبهت العرب الى خطر الصهيونية منذ عام ١٩١٤ ونشرت ترجمة للبرنامج الصهيونى وعلقت عليه بقولها :

« لو لم ينشر من هذا الكتاب الصهيونى الا هذه الفصول لكفت

(٩٦) W. S. Blunt, Op. Cit. pp. 123 - 124.

(٩٧) Encyclopaedia of Islam, New Ed. Leiden Vol. 2 p. 418.

(٩٨) عبد الرحمن الرافعى : المصدر نفسه ص ٢١٣ — ٢١٤

(٩٩) أحمد العدوى : رشيد رضا الامام المجاهد ، القاهرة ١٩٦٤

من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم عبرة وبيانا لمقاصد هؤلاء الصهيونيين وليعلم من لم يكن يعلم دين هذه الأمة وتاريخها أن الصهيونيين اذا تم لهم ما يريدون فانهم لا يبقون فى أرض الميعاد التى يؤسسون ملكهم الجديد فيها مسلما ولا نصرانيا^(١٠٠) .

أما اتجاه « المقطم » فكان مواليا للاحتلال البريطانى مما دفع طلاب احدى المدارس الى القيام بمظاهرة أمام دار هذه المجلة وكان يقود المظاهرة طالب فى الثامنة عشر من عمره يسمى مصطفى كامل^(١٠١) وقد تجسدت فى شخص هذا الشاب آمال مصر الفتية فى التحرر من الاحتلال البريطانى وبناء الوحدة الاسلامية وقام باصدار عدد من الصحف تعبر عن فلسفته واتجاهاته السياسية منها « اللواء » و « العالم الاسلامى » .

لقد وصف بعض الأساتذة الغربيين حركة الصحافة العربية فى نهاية القرن التاسع عشر بأنها حركة اعلامية قوية ذات طابع سياسى عربى واسلامى وأن الأفكار التى كان يرددها أولئك الصحفيون عن الحرية والاخاء والمساواة لم تكن الا صدى لمبادئ الثورة الفرنسية ولآراء « روسو » و « مونتسكيو » و « فولتير » و « هوجو » و « ماترينى »^(١٠٢) هذا رأى شبيه برأى الأستاذ « برنارد لويس » فى أفكار الأدباء العثمانيين فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وعلى رأسهم « نامق كمال » — فقد كان هذا الصحفي الأديب من دعاة الوحدة الاسلامية والتجديد . ومع اعجابه بالحضارة الأوروبية لم يكن يؤيد تقليدها بل كان يرى أن أفضل ما حققته الحضارة الغربية مقتبس من الحضارة الاسلامية أو له ما يضاويه فى حضارة الاسلام . وكان « نامق كمال » لا يرى فى القانون الطبيعى الذى تحدث عنه

(١٠٠) الثار مجلد ١٧ ص ٧١٧ — ٧١٨ ، ٢٣ أغسطس ١٩١٤ .
A. Goldschmidt, The Egyptian Nationalist Party, (١٠١)
in Political and Social Change in Modern Egypt, Edited by P. M. Holt O. U. P. London 1968 p. 310.
F. Gabrieli, The Arab Revival, London 1961, (١٠٢)
pp. 46 - 47.

« مونتسكيو » شيئاً يختلف فى محتواه عن الأحكام العادلة الرشيدة للشريعة الإسلامية ويرى فى فكرة « سيادة الشعب » نظيرها فى الشريعة الإسلامية أى « البيعة »^(١٠٢) ، غير أن الأستاذ «برنارد لويس» يعتبر نظرية « نامق كمال » السياسية مستمدة — بصفة أساسية — من « روسو » و « مونتسكيو »^(١٠٤) .

ان فكرة « العقد الاجتماعى » و « سيادة الأمة » و « الحقوق السياسية » التى تمثل محور نظريات روسو^(١٠٥) تشبه الى حد ما فكرة البيعة عند فقهاء المسلمين ، غير أن « العقد » الذى تحدث عنه روسو كان مجرد افتراض^(١٠٦) وأن القضايا التى أثارها هو وغيره من الكتاب الغربيين فى مجال الفكر السياسى لا تخرج عن اطار الأفكار والنظريات التى تدور حول ما سماه ابن خلدون « السياسة العقلية » وذلك فى عرضه المرائع لآراء الفقهاء حول ماهية « الخلافة » و « الامامة » و « الملك » اذ يقول :

« لما كانت حقيقة الملك أنه الاجتماع الضرورى للبشر ومقتضاه التغلب والقهر اللذين هما من آثار الغضب والحيوانية كانت أحكام صاحبه فى الغالب جائرة عن الحق مجحفة بمن تحت يده من الخلق فى أحوال دنياهم لحمله اياهم فى الغالب على ما ليس فى طوقهم من أغراضه وشهواته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف فتعسر طاعته لذلك »^(١٠٧) الى أن يقول :

« فوجب أن يرجع فى ذلك الى قوانين سياسية مفروضة يسلمها

B. Lewis, The Emergence of Modern Turkey (١٠٣)
O. U. P. Paperbacks, 1968, pp. 142 - 143 - 173.

Jean Jacques Rousseau - The Social Contract and (١٠٤)
Discourses, London : J. M. Dent and Sons Ltd. 1952.

Translated by G. D. H. Cole, pp. 11, 15, 20 - 27.

(١٠٥) محمد ضياء الدين الرئيس ، النظريات السياسية الإسلامية ،
القاهرة ١٩٦٠ ، الطبعة الثالثة ص ١٦٧

(١٠٦) ابن خلدون : المقدمة ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، الطبعة
الثالثة ١٩٠٠ م ص ١٩٠
(١٠٧) المصدر نفسه والصفحة

الكافة وينقادون الى أحكامها فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها (١٠٨) كانت سياسة عقلية وإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشعرها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث وباطل اذ غايتها الموت والفناء ... فالمقصود بهم انما هو دينهم المنفص بهم الى السعادة في آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع » .

ثم يستطرد ابن خلدون الى بيان خصائص كل من أحكام السياسة والأحكام الشرعية وبيان معنى الخلافة ومعنى الملك فيقول :

« وأحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط » يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا » (١٠٩) ، ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لأهل الشريعة وهم الأنبياء ومن قام فيه مقامهم من الخلفاء .

فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وأن الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة ، والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقل في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار ، والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة اليها ، اذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة ، خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به » (١١٠) انتهى .

(١٠٨) وقياساً على ذلك يمكن أن نضيف الى هؤلاء ، ممثلي الأمة في المجالس النيابية والتشريعية المنبثقة من النظم الدستورية في الدول العلمانية الحديثة « المؤلف » .

(١٠٩) الروم : ٧

(١١٠) المصدر نفسه ص ١٩٠ ، ١٩١

ان « البيعة » و « الخلافة » تجربة عرفها المسلمون ومارسوها في واقع حياتهم السياسية ، تجربة مستخلصة من عقيدتهم ومن فهمهم لقلك العقيدة ، مارسوها يوم بايعوا أبا بكر الصديق رضى الله عنه في فجر الدعوة الاسلامية فقبل البيعة على عهد وموثق ونهض الصديق خطيبا يبين طبيعة هذا العقد ويحدد مسؤولياته ، قائلا :

« أما بعد ، أيها الناس .. فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني • الصدق أمانة والكذب خيانة • والضعيف فيكم قوى عندي حتى أريح عليه حقه ان شاء الله والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله » الى أن قال « أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم » (١١١) •

ان أبا بكر رضى الله عنه لم يستمد السلطة من جمهور المسلمين فحسب وانما أخذ على نفسه عهداً بالنهج الذى اختطه لنفسه وأشهدهم عليه مذكرا اياهم بحقوقهم فى الرقابة عليه تأييدا اذا أحسن وتقويما اذا أخطأ (١١٢) • انها مسئولية تتفق وطبيعة السيادة فى المجتمع الاسلامى وهى سيادة فريدة فى نوعها ، تقترب فيها سيادة الأمة بسيادة القانون أو شريعة الاسلام اقترانا لا انفصام له (١١٣) •

ولعل هذا ما دفع « نامق كمال » — وهو يتحدث فى اطار الفكر السياسى الاسلامى — الى القول بأن الواجب الأول للدولة تحقيق العدالة ، والعدالة لا تعنى اسعاد رعاياها فحسب بل تعنى أيضا مراعاة حقوقهم السياسية وتأمينها بوضع النظم الملائمة لهذا الغرض (١١٤) ولكن الأستاذ « برنارد لويس » يزعم أن « الحرية » بمنعها

(١١١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م ج ٤ ص ٣١١

(١١٢) راجع محمد ضياء الدين الرئيس ، مصدر سلف ذكره ص ٣٤٠

(١١٣) B. Lewis, Islam in History, London, 1973, p. 275

Lewis, op. cit. p. 267.

(١١٤)

الاسلامى فكرة قانونية ليس لها مدلول سياسى ويقول ان كلمة « حر » و « حرية » فى اللغة العربية تشير الى مركز الانسان الحر فى مقابل العبد فهى اذن — فى رأيه — كلمة تخلو من أى معنى سياسى أو اجتماعى^(١١٥) واستنادا الى ذلك يقرر الأستاذ « لويس » أن آراء « نامق كمال » حول الحرية السياسية فى الاسلام لا تمثل تطورا طبيعيا للأفكار الاسلامية التقليدية — كما يصورها « كمال » وانما هى — فى زعم لويس — أفكار مستوردة من أوروبا ومن ترجمة النصوص الأوروبية وبفعل هذا التأثير الأوروبى يتحول مفهوم « العدالة » الى حرية وتصبح الشورى مرادفة للنظم النيابية^(١١٦) !! ولا يخفى ما ينطوى عليه مثل هذا التعليق من سخرية واستخفاف بأصالة الفكر الاسلامى وهى سخرية لا تخطئها العين فى تضاعيف ما يكتبه المستشرقون عن الاسلام ولكن الأستاذ « برنارد لويس » فى هذا المقام جاوز كل ما عرف عنه من تثبت وقدرة على التحليل والتمحيص ، فأثر أن يبحث عن أكبر تجربة فى ممارسة الحرية السياسية عرفها التاريخ الاسلامى ، بين معاجم اللغة وثنايا الكلمات ومدلول الألفاظ !! وبدلا عن استخلاص المعانى من واقع الأحداث التى أثبتتها التاريخ أخذ يستنطق المعاجم اللغوية ليثبت أن ما حدث فعلا لا يتفق مع ما ورد فى المعاجم لفظا !! ولعل مبعث هذه الهمة عند الأستاذ « برنارد لويس » أنه أخطأ المدخل الى فهم الحرية السياسية فى الاسلام فأخذ يبحث عنها تحت لفظ « حر » و « حرية » ولم يفتن الى أن الحرية فى الاسلام انما تنبثق عن التوحيد الذى يحرر المرء من كل معبود سوى الله سبحانه وتعالى^(١١٧) .

ان الكتابين الغربيين والمستشرقين منهم بوجه خاص يجدون صعوبة كبيرة فى تقبل الأصالة التى اتسم بها التراث الاسلامى ويصفون من

Lewis, op. cit. p. 275.

(١١٥)

B. Lewis. The Emergence of Modern

(١١٦)

Turkey, p. 142

(١١٧) راجع محاضرة د. حسن عبد الله أثيرابى عن الدولة الاسلامية المعاصرة مجلة « الأمة » عدد ١٧ — السنة الثانية ، جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ من ١٠ الدوحة ، قطر .

يوجه أنظارهم الى تلك الأصالة بأنهم يلتمسون المعاذير للإسلام عن طريق الدفاع الرومانتيكي^(١١٨) .

وما يثير الدهشة حقا أن كثيرا من هؤلاء العلماء الغربيين لا يرون غضاظة فيما يكتبه بعضهم عن الإسلام وتاريخه وما يصدرونه من أحكام تتسم بالنظرة الذاتية^(١١٩) ولكنهم يجدون كثيرا من المآخذ عندما يتصدى أحد للرد عليهم ، انهم لا يجدون في أفكار الأفغانى ومحمد عبده ونامق كمال ومحمد رشيد رضا الا صدى لأفكار الكتاب الفرنسيين الذين مهدوا للثورة الفرنسية ، وحتى مكانة الأفغانى ومحمد عبده تصبح موضع شك كبير عند بعضهم « لم يكن الأفغانى في حياته محط أنظار المفكرين ورجال السياسة بقدر ما كان موضع مراقبة أقلام المخابرات ورجال الأمن الذين كانت مهمتهم تتبع نشاط المخربين ومثيرى الفتن »^(١٢٠) .

هكذا يزعم الأستاذ « ايلي خدورى » .

ويعيد الأستاذ « خدورى » في كتابه حديثا نشرته — على حد قوله — صحيفة التايمز بلندن عندما أخرج الأفغانى من مصر عام ١٨٧٩ .

(١١٨) لقد سوغ برنارد لويس نفسه أن يصف المسلمين الذين هاجروا الى المدينة مسالمين ، وكفار قريش يلاحقونهم بالادى والعدوان ، وصفهم بأنهم قطاع طرق (خدا) ووصف قريشا يوم خرجت «بجدها وجدها وحديدها» لحرب المسلمين في « أحد » وصفها بأنها فعلت ذلك دفعا للخطر المتصاعد من قبل هؤلاء الدين اتخذوا من النهب موردا للرزق (يعنى المسلمين) .

انظر B. Lewis , The Arabs in History, Hutchinson University Library, London, 1950, pp. 44 - 45.

وانظر خبر غزوة أحد في : السيرة النبويه لابن هشام ، مصدر سلف ذكره ج ٣ ص ٦٤ وما بعدها .

(١١٩) Elie Kedouri, Afghani and Abduh, London, 1966, p. 4.

(١٢٠) من الروايات التى اتخذها خدورى مثلا لتأييد طعنه في عقيدة الأفغانى الرواية التى زعم أنها نقلت عن محمد المخزومى السورى الذى نسب اليه أنه قال : أنه سمع الأفغانى في استانبول يقول ان الاسلام والمسيحية واليهودية متفقة في الأهداف والمبدأ :

خدورى المصدر نفسه ص ١٥ — ١٦ . — راجع حقيقة ما قاله الأفغانى في هذا الصدد في كتاب محمود أبو رية ، جمال الدين الأفغانى ، دار المعارف بمصر ١٩٦١ ص ٦٣ — ٦٧ .

وصففته فيه — أى الأفغانى — بأنه رجل يدعى « جماد » الدين — هكذا وردت — وهو أفغانى ينحدر من سلالة مشكوك فى أمرها وأنه بعد ذلك بسبع سنوات أى بعد عام ١٨٧٩ لم يكن يعرف لدى كرومر ، المعتمد البريطانى فى مصر الا بأنه محرر لصحيفة هدامة تصدر فى باريس اسمها العروة الوثقى وقد منعته السلطات البريطانية من دخول مصر والهند * والفكرة التى يريد الأستاذ « خدورى » أن يثبتها فى كتابه ، أن الأفغانى كان رجلا مشكوكا فى عقيدته (١٢١) يعطن غير ما يقول وأنه كان مجهولا فى عصره وينتمى الى طائفة المخربين ومثرى الفتن وأنه كان على الأرجح عميلا لروسيا بل يرى الأستاذ « خدورى » أن شهرة الأفغانى لا تنبع من عظمة فى شخصه وانما هى نتيجة لما روجه عنه أتباعه ومريدوه فيما بعد (١٢٢) *

ولكن الشيخ محمد عبده يوضح لنا فى مقدمته لكتاب « رسالة فى ابطال مذهب الدهريين » كيف حرفت أقوال الأفغانى وكيف عانى من كيد القنصل البريطانى حتى أخرجه من مصر ، اذ يقول : « عظم أمر الرجل — أى الأفغانى — فى نفوس طلاب العلوم واستجزلوا فوائده الأخذ عنه وأعجبوا بدينه وأدبه وانطلقت الألسن بالثناء عليه ، ولكن تمكن الحاسدون من نسبة ما أودعته كتب الفلاسفة الى رأى هذا الرجل وأذاعوا ذلك بين العامة ثم أيدهم أخلاط من الناس على مذاهب مختلفة كانوا يطرقون مجلسه فيسمعون ما لا يفهمون ثم يحرفون فى النقل منه ولا يشعرون غير أن هذا كله لم يؤثر فى مقام الرجل من نفوس العقلاء العارفين بحاله ولم يزل شأنه فى ارتفاع والقلوب عليه فى اجتماع الى أن تولى خديوية مصر حضرة خديويها الحالى توفيق باشا وكان السيد من المؤيدين لمقاصده الناشرين لمحامده الا أن بعض المندسين ومنهم « مستر فيفان » قنصل انكلترا الجنرال سعى فيه لدى الجانب الخديوى ونقل المفسدون عنه ما الله يعلم أنه برىء منه حتى غير قلب

Kedourie, op. cit., pp. 4 - 5.

(١٢١)؛

(١٢٢) الأفغانى : رسالة فى ابطال مذهب الدهريين ، بيروت

١٣٠٣ هـ المقدمة .

الخديو عليه فأصدر أمره باخراجه من القطر المصرى هو وتابعه أبو تراب
ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ هـ وأقام بحيدر آباد الدكن
وفيهما كتب هذه الرسالة فى نفى مذهب الدهريين « (١٢٣) » .

ان حملة التشهير التى قادتها صحيفة التايمز البريطانية ضد
الأفغانى فى سنة ١٨٧٩ واستند اليها « خدورى » فى كتابه سنة ١٩٦٦
ينبغى أن ينظر اليها فى ضوء الظروف السياسية التى أملتها وهى ظروف
كانت الحكومة البريطانية تحارب الأفغانى وتطارده فيها ، لا لأنه كان من
مثيرى الفتن ولكن لأنها كانت تخشى نفوذه فى العالم العربى والاسلامى
ولأنها كانت تعلم أثر دعوته فى الغاء امتياز شركة التبغ البريطانية
فى ايران عام (١٨٩١ / ٩٢) والخطاب الذى أرسله الى رئيس
المجتهدين فى ذلك القطر حتى أصدر فتوى بتحريم شرب الدخان
وبيعه (١٢٤) وقد وصفت الأستاذة « N. Keddie » الحركة الشعبية
التي أدت الى الغاء امتياز الشركة المذكورة بأنها أول حركة شعبية
ناجحة فى تاريخ ايران (١٢٥) . كذلك كانت الحكومة البريطانية تخشى
نفوذ صحيفة « العروة الوثقى » وما تمثله من خطر على مصالحها فى
الهند والشرق وآمالها فى تركة الرجل المريض . واذا صح — كما يزعم
خدورى — أن الأفغانى لم يكن معروفا فى عصره وهو زعم يعوزه
الدليل ، فان محاربة صحيفة « العروة الوثقى » والحظر الذى ضرب
عليها ومعاقبة من تثبت عليه تهمة حيازتها (١٢٦) كل ذلك يشير الى أن
الحكومة البريطانية لم ترد له أن يعرف .

أما الأستاذ « هولت » فيرى أن التاريخ الحقيقى للقومية العربية
بمعناها الحديث يبدأ بما كتبه الكواكبي ونجيب عازورى (١٢٧) ونشاطهما

(١٢٣) انظر محمود أبو رية ، المصدر نفسه ص ٣٠ — ٣١

(١٢٤) Niki Keddie, Religion and Rebellion in Iran, The

Tobacco Protest of 1891 / 92, Frank Cass and Co. Ltd.

London, 1966, pp. 18 - 19.

Encyclopaedia of Islam, New Ed. Leiden, London, (١٢٥)

1965 Vol. 2 p. 418, (Djamal Al Din Al Afghani) (١٢٦)

P. M. Holt, Egypt and the Fertile Crescent Long-
mans, 1966, p. 257.

(١٢٧) أنطونيوس ، المصدر نفسه ص ١٧٣

ومما يثير الدهشة أن يضع الأستاذ « هولت » آراء الكواكبي ونجيب عازورى على قدم المساواة من حيث الأهمية ، لأن هذا الحكم إذا صدق من بعض الوجوه على الكواكبي فإنه لا يصدق على نجيب عازورى بل يضىء على آراء هذا الكاتب أهمية لا تتفق وحقيقة ما كان يدعو اليه ، لأن دعوة عازورى كما وصفها أنطونيوس « أثارت شيئاً من الاهتمام فى أوروبا فى ذلك الوقت (١٩٠٤ — ١٩٠٧) ولكن أثرها فى الحركة العربية نفسها كان ضئيلاً ، وبغض النظر عن قيمة حركة عازورى فإن ظهورها فى عاصمة أجنبية وبلغه أجنبية كان أمراً فى ذاته يدعو الى شلها والحد منها » (١٢٨) •

أسس عازورى فى سنة ١٩٠٤ الجمعية التى سماها « جامعة الوطن العربى » وأعلن أن هدفها تحرير الشام والعراق من السيطرة التركية وأصدرت الجمعية عدة نداءات عنيفة تدعو الى الثورة ، كما أصدر فى سنة ١٩٠٥ كتاباً باللغة الفرنسية سماه « يقظة الأمة العربية » ومجلة شهرية فى سنة ١٩٠٧ باسم « الاستقلال العربى » •

كان عازورى يدعو الى تأسيس امبراطورية عربية تشمل الجزيرة العربية والهلال الخصيب وتستثنى مصر بوجه خاص لأن المصريين فى رأيه — لا ينتمون الى العرب واقترح أن يختار رئيس هذه الامبراطورية من أفراد الأسرة الخديوية على أن يمارس سلطته السياسية فى حدود الجزيرة العربية وحدها وتكون له سلطة روحية على جميع المسلمين •

ومن الجلى أن نظرة عازورى الى العروبة ينقصها كثير من التحقيق والدقة لأنه لا يرى فى العروبة غير وحدة العنصر العربى وقد انتهت هذه الوحدة — اذا صح أنها قد وجدت من قبل — منذ القرن السابع الميلادى عندما خرج العرب من جاهليتهم ومن جزيرتهم يحملون مشعل الاسلام فانضوت تحت لوائهم شعوب لم تربطها بالعرب صلة قرابة أو رجم ولكنها تعربت باتخاذها لغة القرآن وبانتمائها الى مجتمع الاسلام •

الفصل لثانى

عرب عثمانىون

● عرب واتراك فى ظل الاسلام — بل عرب عثمانيون — اسطورة الاستعمار التركى — تربص الدول الغربية بالخلافة العثمانية — السلطان عبد الحميد المفقري عليه — الفوائل المحيطة بالدولة العثمانية — عبد الحميد والخلافة العربية — عبد الحميد والوحدة الاسلامية — الخلافة العثمانية ملاذ الأقطار العربية والاسلامية — ضعف مركز الخلافة — الدعوة الى الإصلاح — العرب لا يفكرون فى الانفصال — دعاة الإصلاح — الأفغانى — محمد عبده — رشيد رضا — الكواكبي والاستبداد — رشيد رضا وأسعد داغر يؤكدان الوحدة العربية العثمانية — سوء العلاقات العربية التركية فى عهد تركيا الفتاة — بوادر الانفصال — ظهور الجمعيات الإصلاحية والسياسية — المؤتمر العربى الأول — الدعوة الطورانية — كتاب ((قوم جديد)) — التهجيم على الاسلام — جمال باشا السفاح — وضوح الاتجاه العربى نحو الاستقلال — جمعية الاتحاد والترقى تتخسر عن نابها — طبيعة الجمعية ودور اليهود فيها — وزراء صهيونيون — الجمعية وبرنارد لويس — الجمعية تفتح الهجرة اليهودية الى فلسطين — مصر العثمانية — الاحتلال البريطانى — دنشواى — مصطفى كامل — الخلافة العثمانية ع ضد مصر — نذر الحرب — تشديد قبضة الاحتلال — نحو الخديعة .

عرب عثمانيون

لم تكن كلمة « عرب » معروفة في القرن التاسع عشر بالمعنى الذي نعرفه اليوم ولم تكن تطلق — بوجه عام — الا على بدو الصحراء أو السكان الذين يقيمون خارج المدن في الشرق الأوسط^(١) ومن ثم لم تكن هناك قضية عربية في السياسة الدولية آنذاك وبالمثل كانت كلمة « أتراك » لا تتردد على الألسن الا نادرا ويقصد بها البدو من التركمان أو الفلاحين في قرى الأناضول • وحتى كلمة « عثمانيين » لم تكن تحمل معنى قوميا وانما كانت في مدلولها شبيهة بكلمة عباسيين أو أمويين أو سلاجقة • أما الأتراك فكان تعريفهم لأنفسهم أنهم مسلمون ، ولاؤهم للإسلام وليبيت « آل عثمان »^(٢) وكذلك من نسميهم اليوم « العرب » لم يكونوا يصفون أنفسهم بأنهم عرب ازاء الأتراك ، واذا كان لابد من أن نطلق عليهم هذه الصفة فهم « عرب عثمانيون » لأن البلاد العربية انضوت تحت لواء الدولة العثمانية منذ مطلع القرن السادس عشر عندما سقطت سوريا في يد السلطان سليم في موقعة « مرج دابق » (٢٤ أغسطس ١٥١٦) وتبعتها مصر في ٢٣ يناير ١٥١٧ وألقيت الخطب في اليوم التالي في مساجد القاهرة باسم السلطان العثماني^(٣) ومن هناك امتد سلطان العثمانيين الى بقية أجزاء العالم العربي ، الحجاز واليمن والعراق^(٤) •

Z. N. Zein, The Emergence of Arab Nationalism, (١)
Beirut, Khayats, 1966 p. 38.

راجع التطور التاريخي لكلمة عرب في الجاهلية والاسلام ، عمر فروخ : تاريخ الجاهلية بيروت ١٩٦٤ ، ص ٣٨ — ٤٢

B. Lewis, The Emergence of Modern Turkey, (٢)
Oxford University Press Paper Backs, 2nd Ed. 1968, pp. 1—2.

P.M. Holt, Egypt and the Fertile Crescent, Longmans, London, 1966 pp. 38 - 40. (٣)

(٤) انظر تفاصيل الفتح العثماني في الشرق العربي في كتاب محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤ — ١٩١٤) مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ص ١٠٨ — ١٣٩ (غير مؤرخ) •

لم يكن ثمة نزاع بين العثمانيين وسكان الأقاليم العربية لأن العثمانيين إنما أخذوا السلطة من المماليك في الشرق العربي • ولم يكن العثمانيون في نظر العرب غزاة فاتحين بل كانوا اخوة لهم في العقيدة ، وحماة لدار الاسلام • كانت حروب الدولة العثمانية في نظر المسلمين — عربا أم أتراكا — جهادا في سبيل الله وكان العرب لا يرون الدولة العثمانية دولة أجنبية وإنما كان اعتقادهم أنها دولتهم فهي دولة الاسلام^(٥) وعاصمتها « اسلامبول »^(٦) وكان هذا هو الشعور السائد الى نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين لم يكن العرب يلقون بالا الى أن الدولة العثمانية تركية بقدر ما كان يهتمهم أنها اسلامية • ويفند الأستاذ زين نور الدين زين الزعم القائل بأن العرب ظلوا عاجزين تحت رحمة الأتراك أربعة قرون كما ينفي ما يردده بعض المؤرخين بأن الأتراك استنزفوا خيرات البلاد العربية وثروتها أو أن العرب لم يكن يسمح لهم بحمل السلاح أو الخدمة في الجيش العثماني بل يرى زين أن العرب كانوا شركاء في الدولة دون تمييز ، شركاء في الحقوق والواجبات^(٧) وأن حكم العثمانيين كان حماية للعالم العربي والاسلامي ضد التدخل الأجنبي مدى أربعة قرون ، تمتعت خلالها الولايات العربية بقدر وافر من الحكم الذاتي عدا السنوات الأخيرة من حكم السلطان عبد الحميد وفترة حكم الأتراك الاتحاديين دعاة الجامعة الطورانية •

ومع ذلك كانت الدولة العثمانية مثقلة بمشاكلها الداخلية والخارجية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر وهي مشاكل سياسية واقتصادية وعسكرية تمثلت في ضعف المركز المالي للدولة ورهن مواردها للدائنين الأوروبيين وثورات شعوب البلقان وتسلط الدول الأوروبية الكبرى الذي أدى الى سقوط تونس في قبضة الحماية الفرنسية (١٨٨١) واحتلال مصر بمدافع الأسطول البريطاني (١٨٨٢) كذلك كانت مسألة الإصلاح الدستوري من أهم المسائل التي شغلت الأذهان ويعتبر اعلان

(٥) توفيق على برو ، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني القاهرة ١٩٦٠ ص ٤٢

(٦) أي مدينة الاسلام

(٧)

دستور أحمد مدحت باشا في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٧٦^(٨) بداية لعهد الإصلاح المنشود ، أو هكذا يقول بعض الذين أرخوا لهذه الفترة ، كما يقولون ان الأقاليم العربية العثمانية كانت تتطلع الى المشاركة في هذا الإصلاح والى التمتع بقدر أكبر من الحرية في ادارة شئونها الداخلية ، ولكن السلطان عبد الحميد كان له رأى في طبيعة هذا الإصلاح ودوافعه ، بل يذهب بعض المؤرخين الأوروبيين الى القول بأن عبد الحميد قبل اعلان دستور مدحت باشا لتجنب التدخل الأوروبي في شئون دولته^(٩) . ومهما تكن دوافع اصدار الدستور فانه ألغى في ١٤ فبراير عام ١٨٧٨ وحل البرلمان الذي كان يضم ١٣٠ نائبا^(١٠) ، منهم ١٨ نائبا يمثلون الأقاليم العربية ولم يدع الى الانعقاد الا بعد ثلاثين عاما (١٩٠٨) . وخلال هذه الفترة التي عرفت عند الكتاب والمؤرخين الغربيين « بالاستبداد الحميدى » حكم السلطان عبد الحميد بيد حازمة ، في ظروف كانت الأخطار تحيط فيها بالدولة العثمانية من كل جانب .

ويحدثنا السلطان عبد الحميد في مذكراته عن الغوائل التي أحاطت بالدولة في ذلك الوقت والمكائد التي كانت الدول الأوروبية الكبرى تدبرها ضده ، طمعا في الأسلاب التي تنتظرهم بعد انهيار دولة الخلافة الاسلامية ، كما يحدثنا عن بعض المسئولين في حكومته بل رؤساء وزرائه ممن كانت تنقف خلفهم دول أجنبية تغذيهم بالمال الحرام لتحقيق مآربها: « كنت أعلم أن السر عسكر عونى باشا قد أخذ من الانجليز أموالا . ان رجلا من رجال الدولة يأخذ مالا من دولة أخرى لابد وأن يكون قد قدم لها خدمات . يعنى هذا أيضا أن خلع المرحوم عمى السلطان عبد العزيز وتولية السلطان مراد العرش بدله ، لم يكن حقدا فقط من حسين عونى باشا ولكنه مرضاة لرغبة دولة أخرى أيضا »^(١١) .

(٨) Robert Devereux, The First Ottoman Constitutional Period, Baltimore, 1963, p. 15.

Devereux, op. cit. p. 21.

(٩)

Devereux, op. cit. p. 261.

(١٠)

(١١) مذكرات السلطان عبد الحميد ، ترجمة محمد حرب عبد الحميد ،

دار الانتصار القاهرة ١٩٧٨ ص ٣٩

ويستطرد السلطان عبد الحميد قائلاً :

« مدحت باشا أيضا مثل حسين عوفى باشا اتبع سياسة مؤيدة للانجليز وكان دائما يفصح عن ثقته فى الانجليز » (١٢) .

« لم يهزنى شئ فى حياتى هذا ضحما قدرا شخص يرتفع الى مقام قيادة الجيش أو الى مقام الصدارة العظمى — رئاسة مجلس الوزراء — ويقبل نقودا من دولة أجنبية » (١٣) .

« كانت الغوائل تحيط بالدولة فى ذلك الوقت • كنا فى حالة حرب مع الصرب والجبل الأسود ، والروس على وشك اعلان الحرب ، والدول الأجنبية التى اجتمعت فى الترسانة كانوا مؤيدين للروس ، يطلبون اعطاء الأرض للصرب والجبل الأسود والاعتراف باستقلال بلغاريا تحت اسم الاستقلال الذاتى » (١٤) .

« قال مدحت باشا : ان الانجليز والفرنسيين سيقومون معنا مؤيدين لنا • واذا بى فى نفس الوقت ألقى عن طريق موظف خاص من السفارة الانجليزية رسالة من سالسبورى وزير الخارجية الانجليزية يقول لى بصراحة انه فى حالة قبولنا الحرب ضد روسيا فانهم لن يستطيعوا تقديم عون لنا » (١٥) .

« انجلترا كانت دائبة على تسيير الفتن عن طريق الماسونية وكان مدحت باشا لم يكتف باثارة ما أثار من مشاكل فهو من ناحية يريد خلق أزمة فى السراى ومن ناحية أخرى يريد الزج بالبلاد فى أتون الحرب . أعمال كهذه يمكن أن تؤدى — معاذ الله — الى تقويض الدولة من أساسها • كان الملك العثمانى يهتز من أساسه بناء على هذا كله ، كنت أرى أن الصدر الأعظم يؤيد الانجليز ويتعاون معهم سواء بدافع من ماسونيته أو بدافع من أسباب أخرى خاصة جدا به ولم أعد

(١٢) المصدر نفسه ص ٤٠ (١٣) المصدر نفسه ص ٤١

(١٤) نفس المصدر والصفحة . (١٥) نفس المصدر والصفحة

أحتمل ، فاستندت الى صلاحياتى. فى القانون الأساسى وعزلته
— أى مدحت باشا — عن الصدارة العظمى وأبعدته خارج
الحدود» (١٦) .

ومع أن طلاب الاصلاح من العرب فى العهد الحميدى لم يفكروا
فى مسألة الخلافة العربية فان السلطان عبد الحميد كانت تساوره
المساوس خشية أن يتجه قادة العرب الى احياء الخلافة فى بلادهم ،
حتى صارت حكومته تمنع نشر أى كتاب من كتب الكلام أو العقائد
أو الحديث أو التفسير يرد فيه ذكر الخلافة. (١٧) وأخذ فى الوقت ذاته
يدعو الى فكرة الجامعة الاسلامية لتقوية مركزه (١٨) ازاء تدخل الدول
الأوروبية لاحتياط أية مساعى لحياء خلافة عربية وتودد الى قادة العرب
بالكرم والهدايا النفسية (١٩) ويرى بعض الباحثين أنه لم يكن هناك
ما يبرر مخاوف السلطان عبد الحميد من العرب رغم ظهور منشورات
عدائية فى عام ١٨٨٠ فى بيروت لأن ما حملته تلك المنشورات لا يمثل
رأى الكثرة الساحقة من العرب الذين ظلوا على ولائهم واخلاصهم
للدولة العثمانية حتى بعد زوال عهد السلطان عبد الحميد .

ولكن لابد أن نذكر هنا أن خشية السلطان عبد الحميد من فكرة
احياء الخلافة فى الأقطار العربية كان لها ما يؤيدها لا سيما اذا كان
مصدر الفكرة السلطات الانجليزية الحاكمة فى لندن أو فى القاهرة .
وكأنه — رحمه الله — كان يدرك بالحدس ، الخديعة الكبرى الكامنة
خلف فكرة تتبناها بريطانيا لحياء الخلافة العربية ، وهو عين ما تحقق
عندما تجرع العرب خيبة الأمل بعد الوعود الكاذبة التى قطعت فيما بعد
لشريف مكة الحسين بن على ، على لسان ماكماهون وكان حصادها

(١٦) المصدر نفسه ص ٤٣ — ٤٤ .

(١٧) المنار ، المسألة العربية ج ١ مجلد ٢٠ ، ٣٠ يوليو ١٩١٧ ص ٤٢ :

(١٨) لم تكن دعوة السلطان عبد الحميد لفكرة الجامعة الاسلامية

نفاقا كما تزعم بعض المصادر وانما كانت دعوة صادقة منبثقة عن ايمانه
وبحثه الجاد عن صيغة لتوحيد كل المسلمين لمواجهة الخطر الأجنبى الذى ..

كانت تمثله كل من روسيا وانجلترا (راجع : محمد حرب عبد الحميد فى

مذكرات السلطان عبد الحميد ص ٩) .

Zein, op. cit. p. 5.

(١٩)

(٥ — نكبة الأمة العربية)

ذهاب الخلافة العثمانية وخذلان القضية العربية حتى فى صورتها العلمانية !!

أما مصر التى شغلت بالتدخل «البريطانى - الفرنسى» فانت نتيجة فى محنتها نحو السلطان العثمانى لانقاذها من التسلط الاستعمارى الأوروبى .

غير أن الدولة العثمانية واجهت - فى الربع الأخير من القرن التاسع - ثورة مسلحة على أحد ولاة السلطان العثمانى ، استقلت بالجزء الجنوبى من وادى النيل وهى الثورة المهدية فى السودان (٢٠) (١٨٨١ - ١٨٩٨) وقد كانت ثورة لها طابعها الإسلامى الخاص الذى يميزها عن الحركات القومية التى عرفت فى القرن التاسع عشر ولعلنا نلمس جانبا من طبيعتها فى نص الرسالة التى وجهها الخليفة عبد الله التعايشى (خليفة المهدي) الى السلطان عبد الحميد وجاء فيها :

« ومع كونك تدعى أنك سلطان الاسلام القائم بتأييد سنة خير الأنام فمالك معرضا عن اجابة داعى الله الى الآن ومقرا رعينك على محاربة حزب الله المؤمنين مع أهل الكفر والعدوان » (٢١) .

وقد يقال ان ظهور منشورات بيروت (١٨٨٠) وبوادر العداء التى ظهرت فى لبنان فى نهاية القرن التاسع عشر ضد الدولة العثمانية كانت بداية لحركة قومية تهدف الى الاستقلال عن السيادة العثمانية ولكن المؤرخين يؤكدون أن أثر المنشورات البيروتية كان ضعيفا على الجماهير وأن الحركة الانفصالية فى لبنان كانت بواعثها طائفية ولا يمكن اعتبارها حركة قومية عربية ضد حكم الأتراك (٢٢) ومع ذلك فان هذه الحركة التى قام بها بعض الشبان فى لبنان منذ عام ١٨٧٦ انتهت بالفشل الكامل بين عامى ١٨٨٢ و ١٨٨٣ (٢٣) .

(٢٠) لم يكن السودان تابعا تبعية مباشرة للدولة العثمانية ولكنه كان جزءا من ولاية محمد على بمقتضى تسويات عامى ١٨٤٠ - ١٨٤١

(٢١) مكى شبكية ، تاريخ شعوب وادى النيل بيروت ١٩٦٥ ص ٧١٢

(٢٢) Zein, op. cit. pp. 41 - 42 - 46 - 47.

(٢٣) P. M. Holt, op. cit. p. 256.

فحديث بعض الكتاب العرب المعاصرين عن سيطرة الأتراك على العالم العربى باسم الوحدة الاسلامية ووحدة الخلافة واعتبار ذلك نفاقا ، والحديث عن احتقار الأتراك للجنس العربى (*) (٢٤) ، هذا الحديث تدحضه حقائق التاريخ بل هو نوع من الافتراض الذى يعوزه الدليل أو نوع من التأثير بحملة جائرة على الدولة العثمانية ترعمتها أقلام بعض الكتاب والمؤرخين الغربيين ومن اقتفى سيرتهم لدوافع سياسية أو مذهبية . وفى رأى الأستاذ هولت أن القصة التى تصف حكم الأتراك فى العالم العربى بأنه كان عهد شقاء واضطهاد للعرب المغلوبين على أمرهم لا تعدو أن تكون أسطورة ربما كان العامل الأكبر فى ظهورها حكم جمال باشا فى سوريا خلال الحرب العالمية الأولى (٢٥) .

لا شك أن العلاقة قد ساءت بين العرب وجمعية الاتحاد والترقى خلال الفترة ١٩٠٩ — ١٩١٦ ولكن لا يجوز أن يتخذ ذلك دليلا على سوء العلاقات «العربية — التركية» مدى أربعة قرون ، أولا لأن فترة حكم جمعية الاتحاد والترقى (١٩٠٩ — ١٩١٨) تعتبر قصيرة للغاية بالقياس الى عمر الدولة العثمانية ، وثانيا لأن عهد هذه الجمعية كان نشازا فى تاريخ العلاقات بين العرب والأتراك . كذلك لا يجوز أن تتخذ معاملة عثمان رفقى وأضرابه من الشراكسة للجنود المصريين قبيل الثورة العرباية دليلا على غطرسة دولة الخلافة العثمانية واحتقارها للعرب . ان هذا لا يعنى أن الأقاليم العربية كانت راضية عن أسلوب الحكم العثمانى فى العهد الحميدى لأنها كانت تحس بما ينطوى عليه

(*) لم تخل العلاقات العربية التركية فى مطلع القرن العشرين وربما قبل ذلك بقليل من بعض مظاهر الاحتقار للعرب من قبل بعض العنصريين الأتراك ، وقد تكون للفكرة الطورانية أثر فى ذلك ولكن ما يشير اليه أغلب الكتاب فى هذا الصدد انما كان فى المقام الأول ناجما عن تصرفات جمعية الاتحاد والترقى .

انظر : محمد عزه دروزه ، نشأة الحركة العربية الحديثة صيدا — بيروت ، منشورات المطبعة العصرية الحديثة ، ١٩٧١ ، ص ٢٩٥ — ٢٩٦ — ٣٠١ .

(٢٤) محمد مندور ، مؤتمر الأدباء العرب ، القاهرة ديسمبر ١٩٥٧ المجلة عدد رقم ١٣ ، يناير ١٩٥٨ ص ١٧ — ١٨ .

(٢٥) P. M. Holt, op. cit. p. 256.

هذا الحكم من مواطن الضعف ولكن سبيلها الى معالجة الضعف ثم تكن الثورة أو الانفصال بل الدعوة الى الاصلاح والى المساواة فى الحقوق بين العرب والأتراك • ان الكتلة الغالبة من سكان العالم العربى لم تكن تفكر فى الاستقلال • أما قادة العمل السياسى وأكثرهم من تلاميذ الأفغانى فكانوا يدعون الى تقوية الدولة العثمانية عن طريق الاصلاح الادارى واللامركزية وتصحيح العقائد والاعتصام بالرابطة الاسلامية والاسترشاد بتعاليم الاسلام النقية من الشوائب ومن أشهر هؤلاء المصلحين الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ — ١٩٠٥) وعبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩ — ١٩٢٠) ومحمد رشيد رضا (١٨٦٥ — ١٩٣٥) • ويجدر بنا هنا أن نقف قليلا لنتبين طبيعة ما كان يدعو اليه هؤلاء المصلحون وما يدعو اليه أستاذهم جمال الدين الأفغانى •

ويحدثنا الشيخ محمد عبده عن أستاذه الأفغانى قائلا :

« أما مذهب الرجل فحنيفى حنفى وهو ان لم يكن فى عقيدته مقلدا لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل الى مذهب السادة الصوفية رضى الله عنهم وله مثابرة شديدة على أداء الفرائض فى مذهبه • أما مقصده السياسى الذى وجه اليه أفكاره وأخذ على نفسه السعى اليه مدة حياته وكل ما أصابه من البلاء أصابه فى سبيله فهو أنهاء دولة اسلامية من ضعفها. وتنبيهها للقيام على شئونها فيعود للاسلام شأنه وللدین الحنيفى مجده ويدخل فى هذا تنكيس دولة بريطانيا فى الأقطار المشرقية وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية وله فى عداوة الانجليز شئون يطول بيانها • أما منزلته من العلم وغزارة المعارف فليس يحدها قلمي الا بنوع من الاشارة اليها • كل موضوع يلقي اليه يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه فيأتى على أطرافه ويحيط بجميع أكنافه » (٢٦) •

كان الأفغانى الرائد الأول لحركة تحرير الوطن الاسلامى من

(٢٦) مقدمة محمد عبده : رسالة فى ابطال مذهب الدهريين بيروت

الاحتلال الأجنبي ومؤسس الحركة الاسلامية المناوئة للاستعمار الغربى وهو الداعى الى فكرة الجامعة الاسلامية التى تهدف الى توحيد العالم الاسلامى واصلاح أوضاعه السياسية والاجتماعية وبعث الوعى بين أبنائه وارشادهم الى حقائق دينهم وذلك استعدادا لتحرير دار الاسلام من الغزو الأجنبى^(٢٧) وهو غزو حربى سياسى فكرى فى آن واحد ومن ثم كانت حملته على الحكام المسلمين فى عصره الذين وقفوا فى وجه الاصلاح أو تعاونوا مع سلطات الاحتلال الأجنبى •

وكان مبعث المحن التى واجهها فى مصر والآستانة وايران والهند دعوته الى التحرر السياسى الشامل والاصلاح الجذرى والنهضة الفكرية للشعوب الاسلامية ولم تكن الحرب التى شنتها ضده صحف الاستعمار الغربى فى ذلك الوقت سوى رد فعل لهذا النشاط الفياض الذى قام به الأفغانى فى عصر اقسام بالركود والاستسلام لسلطان الغرب • واذا كانت المنية قد عاجلته قبل أن يرى ثمرة غرسه فقد حمل الدعوة تلامذته من بعده وكان من أبرز هؤلاء الشيخ محمد عبده •

ان الاصلاح فى رأى الشيخ محمد عبده يقتضى تحرير العقل من قيود التقليد وتفهم المسلمين لحقائق دينهم ولطبيعة الحضارة المادية على السواء وكانت مجلة العروة الوثقى^(٢٨) أقوى منبر لبث الآراء الاصلاحية التى كان يبشر بها الأفغانى ومحمد عبده فى العالم العربى والاسلامى • ولقد وجه الشيخ محمد عبده باعتباره محررا للعروة الوثقى نداء الى العلماء لاهياء الرابطة الاسلامية وتدارك الخلاف حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطا لروح حياة الوحدة ودعا العلماء والخطباء والأئمة والوعاظ فى جميع أنحاء الأرض للارتباط بعضهم ببعض والأخذ بأيدي العامة « الى حيث يرشدتهم التنزيل وصحيح الأثر حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان

(٢٧) راجع : محمود أبو رية ، جمال الدين الافغانى ، دار المعارف بمصر ١٩٦١ و .

Encyclopaedia of Islam, New Ed. Vol. 2, pp. 416 - 418.

(٢٨) أصدرها الافغانى فى باريس فى ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠١ هـ / ١٣ ، ١٨٨٤ وصدر منها ثمانية عشر عددا فقط .

والقيام بحاجات الأمة اذا عرض حادث الخلل وتطرق الأجانب للتدخل فيها» (٢٩) .

واصلاح الأمة فى رأى محمد عبده « انما يكون برجوعها الى قواعد دينها والأخذ بأحكامه على ما كان فى بدايته وارشاد العامة بمواعظه الواقية بتطهير القلوب وتهذيب الأخلاق وانتقاد نيران الغيرة وجمع الكامة وبيع الأرواح لشرف الأمة» (٣٠) .

أما الأستاذ عبد الرحمن الكواكبي فهو من دعاة الوحدة الاسلامية والنهضة العربية ولكنه لا يرى فى سلاطين آل عثمان القدوة الحسنة للمسلمين لأنهم — فى رأيه — وضعوا مصلحتهم فوق مصلحة الاسلام . اتسمت مقالات الكواكبي « أم القرى » و « طبائع الاستبداد » بالدعوة الى اصلاح العالم الاسلامى والنهضة العربية عن طريق العلم وبث الوعى بين الجماهير ومحاربة جمود الفقهاء ويبدو أن الكواكبي قد تأثر وهو يكتب عن طبائع الاستبداد بالصرامة التى مارس بها السلطان عبد الحميد سلطاته . وهو يعرف الاستبداد بأنه التصرف فى الشئون المشتركة بمقتضى الهوى ويذكر شيئاً عن أسبابه وأعراضه ثم يتحدث عن الحرية السياسية فى الاسلام قائلاً « ثم جاء الاسلام بالحكمة والعزم هادماً للتشريك بالكلية ومحكماً لقواعد الحرية السياسية المتوسطة بين الديمقراطية والارستقراطية فأسس التوحيد وأظهر للوجود حكومة كحكومة الخلفاء الراشدين التى لم يسمح الزمان بمثال لها بين البشر وهذا القرآن الكريم مشحون بتعاليم امارة الاستبداد واحياء العدل والتساوى حتى فى القصص منه » (٣١) .

ويدل كتاب الكواكبي عن الاستبداد على سعة اطلاعه واحاطته بما كتبه الغربيون فى مجال العلوم السياسية والاقتصادية وهو لا يقبل

(٢٩) العروة الوثقى : دار البستانى ، القاهرة ١٩٥٧ ص ١
(٣٠) العروة الوثقى : العدد الثالث ، باريس ٢٧ مارس ١٨٨٤ ص ٣
(٣١) عبد الرحمن الكواكبي : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، مطبعة الدستور العثمانى بشارع محمد على بمصر ص ٢١ — ٢٢
(لم يذكر تاريخ النشر) .

كل ما كتبه الغربيون عن الاستبداد ولكنه يناقش آراءهم ويفند بعضها
استنادا الى ثقافته الاسلامية •

وفى كتابه « أم القرى » عرض الكواكبي آراءه فى الإصلاح وفى
نقد سياسة الدولة العثمانية وسلاطينها فى صورة حوار أجراه المؤلف
على السنة عدد من الشخصيات التقت فى مؤتمر تخيله الكواكبي وجعل
مقره مكة المكرمة وسمى ذلك المؤتمر « جمعية أم القرى » • ويبدو من
هذا الحوار تأثر الكواكبي بما قرأ من مؤلفات ومصادر غربية واقتباسه
منها ولعل هذا ما دفع بعض المؤرخين والكتاب المحدثين الغربيين الى
تصوير آراء الكواكبي بانها صدى لأفكار الكاتب الايطالى
« Alfieri Vittorio » وولفرد بلنت المؤرخ البريطانى^(٣٢) •

ويشير برنارد لويس الى الكتاب الذى وضعه الفيرى عن الاستبداد
(Della Tirannide) وترجمه الى اللغة التركية عبد الله جودت
ونشر فى جنيف لأول مرة سنة ١٨٩٨ وأعيدت طباعته فى القاهرة
سنة ١٩١٩ ، قائلا : ان هذا الكتاب كان - فيما يبدو - أساس أفكار
الكواكبي التى ظهرت فى كتابه « طبائع الاستبداد »^(٣١) غير أن هذه
الآراء عن الكواكبي يجب أن تؤخذ بحذر كبير لاسيما عندما تصدر من
كاتب يجاوز حدود النقد الموضوعى ليطن فى أخلاق الكواكبي ووطنيته
بغير دليل كالأستاذ خدورى الذى يرد « طبائع الاستبداد » الى الفيرى
وينسب « أم القرى » الى « بلنت » ثم لا يقف عند هذا الحد وانما
ينير غبارا حول وطنية الكواكبي للايحاء بأنه كان عميلا للخديو عباس
الثانى وعميلا لايطاليا لأن الكواكبي - كما زعم خدورى - زار الصومال

P.M. Holt, op. cit. p. 257.

(٣٢)

وانظر أيضا Sylvia Haim , Arab Nationalism, An Anthology
University of California Press, Berkeley, Los Angeles, 1962, pp.
25 — 27 .

B. Lewis, Islam in History, Alcove Press Ltd. (٣٣)
London 1973 p. 279.

بالاتفاق مع إيطاليا^(٣٤). ويقول خدوري انه استقى معلوماته عن هذه الزيارة من رسالة وجهها السيد رشيد رضا الى جورج أنطونيوس في ١٠ يناير سنة ١٩٣٥ وأن هذه الرسالة موجودة في أوراق أنطونيوس المحفوظة في دار الوثائق الاسرائيلية^(٣٥).

حقا كان الكواكبي يرى أن للعرب دورا خاصا في حركة البعث الاسلامي^(٣٦) وفي ذلك يقول « فهذه هي الأسباب التي جعلت جمعية أم القرى تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية »^(٣٧).

ويلاحظ أن الكواكبي يتحدث عن جزيرة العرب وأهلها بالنظر الى ما يسميه « السياسة الدينية » ولكن خدوري يزعم أن دعوة الكواكبي الى خلافة عربية ربما كانت دعاية سياسية لعباس حلمي الثاني وطموحه للاستئثار بحكم البلاد العربية^(٣٨) وأن الكواكبي لهذا السبب كان عميلا للخديوي ، غير أن السيد رشيد رضا أبان لنا حقيقة موقف الخديو عباس حلمي بقوله « الا أن المفسدين كانوا يتهمون خديوي مصر عباس حلمي باشا بذلك فكان يسمع لهم لأن مصر بلاد عربية غنية بالمال والرجال وقد تصدى رأس حكومتها الأخيرة « محمد علي باشا » لحرب الدولة العثمانية فقهرها واستولى على سورية والحجاز وتوغل في الأناضول ولولا الانكليزية لاستولى على سائر ممتلكاتها ، ولكن عباس حلمي لم يكن ليطمع بمثل ما طمع به جده الأعلى ولا بمثل ما كان يطمع به جده الأدنى « اسماعيل باشا » من الاستقلال السياسي بمصر والسودان فقط . لمكان الاحتلال الانكليزي الذي جعل السلطة الفعلية في مصر بيد انكلتره دونه ولهذا كان الموسوسون والجواسيس يزعمون أنه على اتفاق

(٣٤) Elie Kedouri, Egypt and the Caliphate 1915 - 52, in the Chatham House Version and other Middle Eastern Studies, London, 1970 p. 195 .

(٣٥) Kedouri, op. cit. p. 424 (53)

(٣٦) عبد الرحمن الكواكبي — أم القرى : حلب ١٩٥٩ ص ٢١٧ — ٢١٨

(٣٧) المصدر نفسه ص ٢٢٢

(٣٨) Kedouri, op. cit. p. 195.

مع الانكليز فى هذا الأمر وكان كثير من المصريين وغيرهم يصدق ذلك ومنهم من لم يرجع عن هذا التصديق الا بعد نشر كتاب « عباس حلمى الثانى » للورد كرومر اذ صرح فيه بأن حياة عباس مع الاحتلال كانت حياة خلاف وشقاق » (٣٩) .

وقد رأينا أن الكواكبي تحدث فى « طبائع الاستبداد » عن الحرية السياسية فى الاسلام وعن حكومة الخلفاء الراشدين وعما جاء فى القرآن من أمر بالعدل واجتناب للظلم ، فاذا أضفنا الى ذلك ان البيعة والشورى من المبادئ الأساسية فى الفقه الدستورى وأن الامامة فى رأى فقهاء المسلمين « عقد حقيقى » مبنى على الرضا (٤٠) ، فاننا ندرك أن الكواكبي كان فى غنى عن الاستعانة بالكاتب الايطالى لرفض الاستبداد بوجه خاص .

أما آراء السيد محمد رشيد رضا الحسينى فقد عبر عنها فى مجلته « المنار » وهو من المؤمنين بصلاحية الاسلام نظاما للحياة ولكنه يرى أن الاسلام فى حاجة الى بعث جديد ولعله من الطريف أن نستمع الى رأى الشيخ رضا فى الاصلاح الذى بدأ باسم التنظيمات فى الدولة العثمانية منذ عهد السلطان محمود الثانى (١٨٠٨ — ١٨٣٩) الى عهد السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ — ١٩٠٩) لأن السيد رشيد رضا كان من أعلام الفكر العربى الاسلامى فى عصره وأحد قادة الحركة العربية الذين اخلصوا للدولة العثمانية ومحضوها النصيح ثم ثاروا عليها بعد اليأس منها . انه أحد مؤسسى جمعية الشورى العثمانية — وهى أول جمعية سياسية تألقت فى نهاية القرن التاسع عشر فى الآستانة — وأحد الأعضاء المؤسسين لحزب اللامركزية الادارية العثمانى فى مصر عام ١٩١٢ . وفكرة التنظيمات التى تبنتها الدول الأوروبية فى القرن التاسع عشر تهدف الى تنظيم الجيش ونظم الادارة والحكم فى الدولة العثمانية على أسس غربية والخروج عن التنظيم الاسلامى للدولة

(٣٩) المنار ج ١ م ٢٠ ، ٣٠ يوليو ١٩١٧ ص ٣٧.

(٤٠) محمد ضياء الدين الرئيس : النظريات انسياسية الاسلامية الطبعة الثانية مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٠ ص ١٦٥ — ١٦٦ .

والمجتمع وتوجيه المجتمع نحو التشكيل العلماني ومركزية السلطة في
القسطنطينية والولايات (٤١) .

ان اصلاح التنظيمات في رأى رشيد رضا كان اصلاحا شكليا
عنى بالمظهر دون الجوهر ، فعند السلطان محمود مصليا بتغيير الزي
الرسمى ونظام الجندية والسلطان عبد الحميد مصليا بانشاء نظارة
العدلية ومصطفى رشيد باشا مصليا بادخال الدولة في سلك الدول
الأوروبية ومدحت باشا وأعوانه مصليين باقتباس القوانين الغربية
ومحمد علي باشا وأحفاده مصليين بفرنجة البلاد المصرية ولم تتوجه
همة واحد الى اصلاح الأخلاق والعادات وجمع الكلمة التي فرقها
المذاهب واللغات « فما زاد الأمة ذلك الاصلاح الصورى الا ضروبا من
الفساد وأن ما تم لم يكن علاجا لهذه الأمة وان كان أكثره ضروريا ،
فالأمة بعد هذه المعالجات لم تزد الا مرضا وذلا وفقرا وضعفا وفسادا
واسرافا في النفاق وكان ما أدخل فيها من علوم الأمم القوية وقوانينها
وآدابها كالجسم الغريب الذى يدخل البنية فيفسد مزاجها لأنه لم يكن
على حسب استعدادها وحاجتها بل تقليدا صوريا أو عارضا وقتيا» (٤٢) .

ومن الطريف حقا أن يكون نقد السيد رشيد رضا للاصلاح الذى
تم في عهد التنظيمات شبيها بنقد نامق كمال (١٨٤٠ — ١٨٨٨) وأثرابه .
فالتنظيمات في رأى نامق كمال كانت عملا شكليا لارضاء الغرب ومظهرا
ليست وراءه ثمرة حقيقية وهو يأخذ على سياسة عهد التنظيمات أنهم
أغفلوا القوانين الاسلامية ونقلوا الى تركيا صورة ممسوخة من قوانين
الغرب لا هي غربية ولا هي اسلامية وليس لها أثر وتركت للسلطان
سلطاته المطلقة دون قيد ويستطرد نامق كمال قائلا ان التنظيمات تحدثت
عن صيانة الأرواح والممتلكات والحرية الشخصية ولكنها لم تذكر حرية
الرأى وسيادة الشعب وحكم الشورى ولو أنها فعلت ذلك لاتخذت
صورة ميثاق أساسى من أجل خلافة اسلامية ويقول أتراب نامق كمال

(٤١) محمد أنيس : مرجع سابق ص ٢١٣

(٤٢) المنار ج ١ م ١٧ ، ديسمبر ٢٨ سنة ١٩١٣ ص ٣ — ٤

أن التنظيمات أخذت من الشعب الحقوق التي كفلتها له الشريعة الإسلامية ولم تعطه شيئاً من الحقوق التي تكفلها نظم الحكم الأوروبية وأن سياسة التنظيمات فتحو البلاد للتدخل الأجنبي وأضافوا إلى الاستبداد الداخلى الاستغلال الخارجى (٤٣) .

لم تكن الدعوة إلى الإصلاح فى العهد الحميدى قاصرة على رجال السياسة وحملة الأقلام فى الأقاليم العربية وإنما كانت جهادا مشتركا بين هؤلاء وبين دعاة الإصلاح من الأتراك أنفسهم وفى هذا يقول السيد رشيد رضا : « ولكن أهل الرأى وحملة الأقلام من العرب لم يقصروا فى التعاون مع أمثالهم من الترك على السعى لإصلاح حال الدولة والقضاء على الاستبداد الحميدى فلما أسس شبان الترك جمعية الاتحاد والترقى ونشروها فى الولايات دخل فيها كثيرون من شبان العرب وكانت شعبها فى سورية أعظم منها فى غيرها وأسس بعض العرب جمعية أخرى كجمعية الاتحاد بعد ضعف شأن هذه فى مصر وسورية وهى جمعية الشورى العثمانية وأدخلوا فى لجنتها المركزية أشهر رجال الاتحاديين الذين كانوا فى مصر وغيرهم من العثمانيين فكان هم طلاب الإصلاح من العرب فى عهد عبد الحميد هو هم طلاب الإصلاح من الترك (٤٤) .

وحتى المؤتمر العربى الأول الذى عقد فى باريس فى شهر يونيو عام ١٩١٣ فى عهد الأتراك الاتحاديين لم يطلب الاستقلال عن الدولة العثمانية وإنما حصر مطالبه فى الإصلاح الإدارى وذلك على الرغم من أن الشبان الذين تولوا أمر عقد هذا المؤتمر كانوا من المتأثرين بالتفكير « العلمانى » وهم عونى عبد الهادى وندرة مطران وعبد الغنى العريسى وشكرى غانم وجميل معلوف ومحمد محمصانى وشارل دباس وجميل مردم (٤٥) . وقد وصف السيد رشيد رضا هذا المؤتمر بأنه أول مؤتمر

(٤٣) B. Lewic, The Emergence of Modern Turkey, (١٣) O.U.P. 1968 , pp. 170 - 172 .

(٤٤) المنار : المسألة العربية ج ١ م ٢٠ ، ٣٠ يوليو ١٩١٧ ص ٤٠ .

(٤٥) مقدمة الشيخ رشيد رضا لكتاب المؤتمر العربى الأول ، مطبعة

البسفور القاهرة ١٩١٣ وأيضا : Zein, op. cit. p. 186.

عربى عرف كثيرا من الأمم الغربية بالتاريخ الجديد الذى دخل فيه العرب العثمانيون^(٤٦) .

عقد المؤتمر جلساته بين يومى ١٣ و ١٨ رجب سنة ١٣٣١ هـ (١٨ — ٢٣ يونيو ١٩١٣) فى قاعة الجمعية الجغرافية فى باريس وكان رئيس المؤتمر السيد عبد الحميد الزهراوى (مندوب حماة) . وقد وصفت رسالة المؤتمر بأنها تمثل « تطلعات طبقة المتنورين لطرح رداء الخمول والأخذ بأسباب الحياة للافادة من القوى والخصائص التى خص الله بها رافعى معالم العمران من سكان جزيرة العرب من عموماتهم فى العراق وما بين النهرين ووادى الأردن وسهول الشام وجبالها وسواحلها ونجودها »^(٤٧) وفى الحديث عن الأهداف وصف المؤتمر بأنه « وسيلة لحفظ كيان الأمة العربية وازالة العقبات عن طريق ارتقائها حتى يتسنى لها التهجز بأدوات الحضارة والانتفاع بتجارب العلم فتقوى بذلك ويقوى مجموع الدول العثمانية بقوتها »^(٤٨) ومن أهدافه أيضا « اصلاح أمور بلادنا على قاعدة اللامركزية . ومن المسائل التى طرحت للبحث الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال وحقوق العرب فى المملكة العثمانية وضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية والمهاجرة من سوريا واليهما » .

وفى حديث لرئيس المؤتمر السيد الزهراوى مع محرر صحيفة الطان الفرنسية قال : انه يتحدث بلسان العرب العثمانيين باعتبارهم أهم عنصر فى الدولة ويؤكد السيد الزهراوى أن المؤتمر ليست له صفة دينية وأنهم لا يريدون الانفصال عن تركيا بل على العكس يطالبون بتحسين حالة الدولة والعنصر العربى معا لحفظ صرح الدولة من السقوط^(٤٩) وردا على سؤال آخر أجاب السيد الزهراوى أنهم لا يتمسكون بالوحدة السياسية من أجل الرابطة الدينية بل رغبة منهم

(٤٦) رشيد رضا المصدر نفسه .

(٤٧) كتاب المؤتمر العربى الأول ص ٣ .

(٤٨) المصدر نفسه ص ٥

(٤٩) المصدر نفسه ١٩

« فى ايجاد مجموع عثمانى قوى يرتقى فيه مجموعنا العربى »^(٥٠) وعندما سئل عما اذا كان هذا الرأى يوافق رأى الشعب ، أجاب بأنه يترجم عن رأى « الفئة المتنورة » وبما أن هذه الفئة المتنورة استطاعت أن ترى هذا الرأى من غير أن يكون ذلك ما يمس مبادئها الدينية فلا أرى هناك مانعا يمنع الشعب من التوصل الى فهم هذه الحقيقة » •
اننا نلمح فى حديث السيد الزهراوى اتجاهها علمانيا مشوبا بكثير من الحذر •

لقد اتخذ المؤتمر العربى فى باريس عددا من القرارات ، منها المطالبة باصلاحات جذرية وعاجلة فى الدولة العثمانية وبالحقوق السياسية للعرب بصورة تمكنهم من المشاركة فى ادارة الدولة وادخال نظام لا مركزى ملائم فى كل ولاية عربية والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية فى البلاد العربية •

على أن المؤتمر العربى الأول لم يكن بداية العمل العربى المنظم للمطالبة بالاصلاح واللامركزية فقد سبقه عدد من الجمعيات التى ظهرت فى القسطنطينية وبعض أجزاء العالم العربى خلال الفترة (١٩٠٨ - ١٩١٣) منها جمعية الأخاء العربى العثمانى والمنتدى الأدبى (١٩٠٩) والعلم الأخضر والجمعية القحطانية (١٩٠٩) وجمعية بيروت الاصلاحية والنادى الوطنى العلمى فى بغداد وجمعية البصرة الاصلاحية والجمعية العربية الفتاة (١٩١١) وحزب اللامركزية الادارية العثمانى فى مصر (١٩١٢) ومن بعد ، جمعية العهد التى أسسها عزيز على المصرى فى عام ١٩١٤ وكانت عضويتها للعسكريين وحدهم ومن بين الجمعيات سالفة الذكر تعتبر الجمعية العربية الفتاة وحزب اللامركزية الادارية العثمانى أهمها على الاطلاق^(٥١) •

تأسست جمعية « الفتاة » عام ١٩٠٩ فى باريس وكانت تحمل اسم جمعية الناطقين بالضاد ثم غير اسمها الى الجمعية العربية الفتاة •

(٥٠) المصدر نفسه ص ٢٠ .

Zein op. cit. pp. 93 - 96 .

(٥١)

كان المؤسسون لها الطلبة العرب ومنهم الأستاذ توفيق الناطور الذى أدلى بحديث الى الأستاذ زين نور الدين قائلاً ان كل هدف هذه الجمعية كان الحصول على المساواة التامة فى الحقوق والواجبات بين العرب والأتراك فى نطاق الامبراطورية التى يرومونها أن تتكون من قوميتين تركية وعربية^(٥٢) .

أما حزب اللامركزية الادارية العثمانى فكان أكثر الأحزاب العربية تنظيماً والصوت المعبر بحق — كما يقول الأستاذ زين نور الدين عن الأمانى العربية • وخير من يحدثنا عن هذا الحزب وأهدافه الأستاذ رشيد رضا لأنه من أقطابه البارزين وأحد أعضائه المؤسسين • يقول السيد رشيد رضا : ان هذا الحزب تألف فى مصر فى عام ١٩١٢ بعلم الحكومة العثمانية لمطالبة الدولة العثمانية بتغيير شكل ادارتها فى المملكة كلها وان كان جميع مؤسسيه من العرب السوريين وجدير بالذكر أن حزب اللامركزية هو الذى نظم المؤتمر العربى الأول وأسند أمر المؤتمر الى السيد عبد الحميد الزهراوى واسكندر بك عمون^(٥٣) • وأن ما دفع بعض أهل الغيرة « على تأسيس حزب اللامركزية صوت سمعوه من باريس تذكر فيه فرنسا حقها فى سورية ، فخرج هؤلاء الغيورون الى رؤوف باشا المعتمد — القومسير — العثمانى فى مصر وكاشفوه بخوفهم على سورية أن تغير عليها فرنسا كما أغارت ايطاليا على طرابلس (ليبيا) وألفوا من أنفسهم لجنة للسعى الى الدفاع عن سورية وطلبوا منه أن يكتب الى الباب العالى بذلك يطلبون منه المساعدة على الاستعداد للدفاع الوطنى عن البلاد ولكن المعتمد لم يجبههم الى طلبهم »^(٥٤) ويستطرد السيد رشيد رضا قائلاً : ان حزب اللامركزية عثمانى محض ليس فى برنامجه ولا فى بياناته كلمة واحدة تدعو الى الجنسية العربية أو تنفر من الجنسية التركية وانما هو يدعو جميع العثمانيين الى مطالبة

Zein op. cit. p. 94.

(٥٢)

(٥٣) المنار مجلد ١٧ ج ٣ ، ٣ ربيع الأول ١٣٣٢ هـ / ٢٥ يناير ١٩١٤

ص ٢٣٤ — ٢٣٥

(٥٤) المنار ج ٥ م ١٧ — ٢٥ أبريل ١٩١٤ ص ٣٩٥ — ٣٩٦

الحكومة بالادارة اللامركزية بالطرق المشروعة القانونية • نعم ان فكرته قد انتشرت في العرب لأن المؤسسين له من العرب ولم يقدرُوا على نشر دعوتهم في غير الشعب العربي^(٥٥) • وقد تقدم الحزب بمشروع الى جمعية الاتحاد والترقي يشتمل على ضروب الاصلاح التي ينشدها الحزب كانشاء مدارس حكومية لتدريس اللغة العربية في دمشق وبيروت واتخاذ العربية لغة رسمية في الولايات العربية وغير ذلك

ان اتفاق ظهور هذه الجمعيات الاصلاحية والأحزاب السياسية والعسكرية مع فترة حكم الأتراك الاتحاديين له دلالة العميقة وهي أن معالم القضية العربية أخذت تتضح في صورة العمل الجماعي المنظم ولكنها لم تأخذ بعد طابع الحركة الاستقلالية أو الانفصالية حتى عام ١٩١٦ وينفى السيد رشيد رضا عن العرب تهمة العمل للانفصال عن تركيا في ذلك الوقت في شيء من التفصيل ويوضح الأسباب التي دعت العرب الى المحافظة على وحدة الدولة العثمانية وهي أسباب تختلف كل الاختلاف عن الأسباب التي كانت تتذرع بها بريطانيا للمحافظة على تماسك الدولة العثمانية وحمايتها • وفي ذلك يقول السيد رشيد رضا : « كان الترك يتهمون العرب بالميل الى الاستقلال دونهم والسعى لذلك وأنه لا يمنعهم منه الا ضعفهم وعجزهم أمام قوة الترك وقد ذكرت في مقالات « العرب والترك » التي كتبتها في الآستانة ونشرتها في جرائدها ثم في المنار أنني لا أعرف لهذه التهمة أصلا الا ما كان من افتراء جواسيس السلطان عبد الحميد وطلاب المنافع عنده أو استغلال أوهامه بل أقول ان هذه التهمة لم تكن معقولة في عهد السلطان عبد الحميد لأن النهوض بأمر الاستقلال اما أن يكون من جانب الأمة بهما تتوسل به اليه من الجمعيات السياسية والعصابات المسلحة ولم تتصد الأمة العربية لذلك ألبتة واما أن يكون من جانب الأمراء المستقلين بالادارة في بعض الأقطار أو من دونهم من الزعماء أصحاب العصبية ولم نعلم أن أحدا

من أمراء جزيرة العرب أو من الزعماء في الولايات العربية العثمانية كان مظنة أو موضعاً لهذه التهمة» (٥٦) .

« وأما كبراء العرب في ولايات سورية والعراق من العلماء والوجهاء فقد كانوا أشد تعصباً للترك من الترك أنفسهم (٥٧) . تلك حال كبراء البلاد وخاصتها والعامّة تبع لهم لم يسمع لأحد منهم نبأ ظاهرة ولا دعوة خفية إلى عداوة الترك أو القيام عليهم أو الاستعداد لتأسيس حكومة عربية تستقل في البلاد اللهم إلا ما كان قد قيل من أن شيعة الماسون كانت تسعى لجعل الأمير عبد القادر خديوياً لسورية» (٥٨) .

ويمضي السيد رشيد رضا متحدّثاً عن أسباب عدم تصدى العرب لإنشاء دولة مستقلة لهم في ذلك الوقت : « تبين مما شرحناه من الحقائق أن عدم تصدى العرب لإنشاء دولة جديدة لم يكن سببه الخوف من قوة الدولة (العثمانية) كما كان يتوهم الترك ، فإن العرب أقوى من اليونان والبلغار وغيرهما من الشعوب التي انفصلت عن السلطنة العثمانية وصارت دولا مستقلة ولم يكن سببه تفرق العرب وتعذر اتفاق أمرائهم وزعمائهم كما يتوهم الكثيرون منهم وإنما كان السبب الصحيح لسكون العرب وسكوتهم عن طلب استقلالهم وتجديد دولة لهم هو الاسلام وأوروبية دين الاسلام وسياسة دول أوروبية سببان مستقلان أو سبب واحد مركب لكل من جزئيه ، تأثير خاص في صرف العرب العثمانيين عن السعي للاستقلال والحق أن الباعث الأخير لاعتراف أكثر المسلمين بخلافة سلاطين الترك هو كونهم أمسوا حصناً لبقية البلاد الاسلامية في وجه أوروبية » (٥٩) .

ويؤيد الأستاذ أسعد داغر ما ذهب إليه السيد رشيد رضا من

(٥٦) المنار ج ١ م ٢ — ١١ شوال ١٣٣٥ هـ / ٣٠ يوليو ١٩١٧ ص ٣٦ — ٣٧

(٥٧) المصدر نفسه ص ٣٨

(٥٨) المنار : المصدر نفسه والصفحة .

(٥٩) المصدر نفسه ص ٤١ — ٤٢

أن قادة الحركة العربية لم يفكروا — قبل أن يطفح كيل الأتراك
الاتحاديين — فى الانسلاخ عن الدولة العثمانية قائلا :

« لم يكن شبان المنتدى الأدبى فى أول الأمر يفكرون فى الانسلاخ
عن السلطة العثمانية بل كان غرضهم تقويتها بتقوية العرب الذين يؤلفون
أكثرية سكانها والقيام بالاصلاحات اللازمة لرفع شأنها ودرء الأخطار
المحدقة بها بالتعاون التام بين العنصر التركى الحاكم والعناصر العثمانية
الأخرى ولا سيما العرب ، وكان هذا رأى رأى عزيز على
(عزيز المصرى) وحزب العهد وجمعية العربية الفتاة وسائر الأحزاب
والجمعيات السرية • أما حزب اللامركزية والجمعيات الاصلاحية فى
بيروت والبصرة فكانت مطالبها تنحصر فى توسيع اختصاصات الولايات
على قاعدة اللامركزية ولكن هذه الآراء كانت تتبدل على نسبة التبدل
الذى رافق السياسة التركية فى السنوات التى سبقت الحرب العالمية
الأولى وأستطيع أن أجزم الآن بأنه لم يكن بين العرب يوم اعلان تلك
الحرب من فكر فى الانتفاض على الترك أو الاساءة اليهم بل كان
تفكيرهم كله منصبا على محاولة منعهم من الاشتراك فيها والتعاون معهم
على اجتناب ويلاتها ودرء أخطارها » (٦٠) •

غير أن سياسة جمعية الاتحاد والترقى — لاسيما بعد وقوعها
تحت تأثير الدعوة الطورانية — ساعدت على تقوية الشعور بالذاتية
العربية • والدعوة الطورانية التى اعتنقها قادة الأتراك الاتحاديين تهدف
الى احياء العصبية التركية والجمع بين العناصر التركية التتارية والشعوب
المنتمية اليها كالشعب البلغارى وشعوب القوقاز وبعث النزعة العسكرية
فى الأتراك • لم يكن قادة جمعية الاتحاد والترقى متأثرين بهذه الدعوة
الطورانية فحسب بل كانوا يؤيدونها ويقدمون لها الاعانات المالية
« وتسمى اعانات المالية التركية ، وكان كبار قادة الاتحاديين أعضاء

(٦٠) أسعد داغر : مذكراتى على هامش القضية العربية ، الطبعة
الأولى القاهرة ١٩٥٩ ص ٧٠٠ — ٧١

(٦١ — نكبة الامة العربية)

منتمين اليها»^(٦١) ومن هذه القاعدة استمدوا سياسة فتريك الشعوب العربية والشعوب العثمانية الأخرى •

ويحدثنا المراسل الخاص لشركة سنترال نيوز فى عام ١٩١٦ عن الحركة الطورانية قائلا « فى خلال بضع السنوات الأخيرة بدت فى بلاد تركيا طلائع حركة جديدة تعرف بنهضة « بنى طوران » أو الطورانية الحديثة وغرضها هدم المدنية الاسلامية واحياء العصبية التركية على أنقاضها والجمع بين العناصر التركية التترية والشعوب المنتمية اليها ومنها الأمة البلغارية • أما القائلون بهذه الحركة فهم قوم مشهورون بعدائهم للاسلام وتعصبهم عليه وكثيرا ما يجاهرون بأقوالهم وكتاباتهم بذلك الكره بحجة أن الاسلام يسعى لقتل العصبية القومية ويحول دون نشوء المدنية التركية ولذلك فهم يسعون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال • ومما يقولونه أيضا ان الاسلام لا محل له فى المدنية ولا يمكن أن يعيش طويلا الا اذا أدخلت عليه تنقيحات عديدة تلائم المذاهب التركية القومية • ولهذه النهضة وجهتان احدهما أدبية والأخرى سياسية • فغاية الوجهة الأولى تمجيد الشعوب الطورانية ونشر تاريخها المجيد ، وغاية الوجهة الثانية القضاء على العصبية العربية • فجنكيزخان هو فى نظرهم نموذج الملوك ورجال السياسية فكل مملكة ينشئونها يجب أن تقوم على المثال الذى رسمه • وأما العرب فى نظرهم فهم مصيبة على الأتراك ولذلك يجب القضاء عليهم أو ادماجهم فى العنصر التركى حتى ينسى العالم تاريخهم وتقاليدهم • أما لغتهم فلا بد من محوها واحلال اللغة التركية محلها فى كل صقع وناد »^(٦٢)

لم تكن الحركة الطورانية تحمل فى طياتها بذور العداء للعرب فحسب بل كانت جسورة على الطعن فى الاسلام والكيد له كما يشهد بذلك كتاب « قوم جديد » مؤلفه عبيد الله أفندى الذى عينته جمعية

(٦١) المنار مجلد ١٩ ج ٤ ، ٢٨ سبتمبر ١٩١٦ ص ٢٣٥ — ٢٣٦

(٦٢) المصدر نفسه ص ٢٣٥ ، عن الأهرام الصادرة بتاريخ ١٤

سبتمبر ١٩١٦

الاتحاد والترقي مدرسا في جامع أيا صوفيا « وجعلوا حوله الجلاوزة والشرطة (البوليس والضابطة) يحمونه من اعتداء المسلمين عليه » (٦٣) .
وقد قامت مجلة المنار بترجمة أجزاء من كتاب « قوم جديد » وذكرت أن الكتاب يحرف القرآن وجعل الصيام والصلاة والحج والزكاة دين القدماء المسلمين وعبر عنهم بكلمتي « قوم عتيق » وصرح بعدم جواز العمل بكتب فقه الأئمة الأربعة وفي مقابل ذلك بين الكتاب أركان دين « قوم جديد » وهي العقل وكلمة الشهادة والأخلاق الحسنة والجهاد مالا وبدنا والسعي لأعداد لوازم الحرب بالاتحاد تحت راية الخلافة الاسلامية العثمانية . والاشارة في كتاب « قوم جديد » الى الجهاد تحت راية الخلافة الاسلامية في عهد الأتراك الاتحاديين تثير العجب لأن جمعية الاتحاد والترقي فضلا عما كان يحيط بها من شبهات فيما يتعلق بصله قاداتها باليهودية العالمية لم يكن يربطها بالخلافة الاسلامية سوى الاحتفاظ بخليفة رمزي لا يملك حولا ولا قوة .

كانت سياسة تنريك الأقاليم العربية واحياء العصبية الطورانية والكيد للاسلام ومساندة الصهيونية لتحقيق أطماعها في فلسطين عوامل أساسية في تحويل اتجاه القضية العربية على عهد الأتراك الاتحاديين نحو الاستقلال ، وساعد على ذلك الهزات العنيفة التي أصابت الدولة العثمانية في ذلك العهد بين عامي (١٩٠٨ و ١٩١٣) والتي بدأت بمحاولة السلطان عبد الحميد استرداد مركزه والقضاء على جمعية الاتحاد والترقي ولكن محاولته لم تنجح وانتهت بعزله ونفيه في ابريل سنة ١٩٠٩ وخلفه الأمير رشاد « محمد الخامس » ولكن السلطة الحقيقية ظلت في أيدي زعماء الاتحاديين .

وخلال سنوات الحرب (١٩١٤ — ١٩١٨) أثمرت سياسة البطش والارهاب التي اتبعها أحمد جمال باشا حاكم سوريا وكانت ثمرتها الأولى ثورة الشريف حسين على الدولة العثمانية واتجاه العرب في

الهلال الخصيب الى الاستقلال التام • وكان ذلك أخطر تحول فى المنطقة العربية منذ أن هبت عليها رياح الوعي السياسى فى نهاية القرن التاسع عشر • ودخلت القضية العربية مرحلة جديدة لم يعد العرب فيها عرب عثمانيين وانما أصبحوا يتطلعون الى استعادة مركزهم القيادى فى العالم الاسلامى عن طريق تحقيق الاستقلال التام والوحدة الشاملة •

لقد ثار العرب على الأتراك الاتحاديين بعد أن استنفدوا كل وسائل التعاون فى سبيل الاصلاح مع جمعية الاتحاد والترقى وفى ذلك يقول السيد رشيد رضا أن طلاب الاصلاح من العرب والترك كانوا « يشتغلون متعاونين والمواصلات بين جمعياتهم لا تنقطع ولا سيما جمعية الاتحاد والترقى فى أوروبا وجمعية الشورى العثمانية بمصر » ظلوا على ذلك الى أن ظفروا بإعادة الدستور فظن العرب كما ظن غيرهم من الأجناس الذين تتألف منهم المملكة العثمانية أنهم فازوا بما جاهدوا فى سبيله الى أن قلب لهم المتغلبون على جمعية الاتحاد والترقى وعلى الدولة ظهر المجن وأوقعوهم فى هوة اليأس من الدولة « (٦٤) » •

« وهوة اليأس من الدولة » هى التى دفعت الشريف حسين ابن على وقادة الحركة العربية فى سوريا الى الوقوع فى فخ الوعود البريطانية التى بدأت يمراسلات « حسين — ماكماهون » ، دون أن يعلموا أنهم مساقون الى أكبر خديعة فى تاريخهم الحديث •

وقبل أن ندخل فى الحديث عن طبيعة هذه الخديعة وأبعادها يجدر بنا أن نذكر شيئاً عن سياسة جمعية الاتحاد والترقى التى دفعت العرب الى الثورة ، وعن مصر التى ظلت منعزلة عن الثورة العربية فى الهلال الخصيب لأنها كانت تخوض معركة أخرى ضد الاحتلال البريطانى الذى ابتليت به منذ عام ١٨٨٢ •

كانت جمعية الاتحاد والترقى صاحبة السلطة الحقيقية فى الدولة

العثمانية بين عامي (١٩٠٨ و ١٩١٨) وهي الفترة التي نشطت فيها الجمعيات والأحزاب السياسية العربية داعية إلى الإصلاح ولا مركزية الإدارة ، وخلال هذه الفترة اتسم حكم جمعية الاتحاد والترقي بالعنف والقضاء على الحريات ونفى زعماء المعارضة وأدت سياستهم الداخلية والخارجية آخر الأمر إلى تحطيم الدولة العثمانية وهزيمتها في عام ١٩١٨ مع حليفها ألمانيا وتقسيم أقاليمها بين الغزاة المنتصرين .

لقد كانت جمعية الاتحاد والترقي موضع شبهات منذ وقت مبكر اذ اتهمت بأنها جمعية يهودية وأن أعضاءها لم يكونوا أتراكا ولا مسلمين غير أن الأستاذ برنارد لويس^(٦٥) ، العالم اليهودي الشهير يعترض على هذه التهم ويدافع عن جمعية الاتحاد والترقي ولا يخفي إعجابه بها لأنها مهدت الطريق لتركيا الحديثة ، تركيا العلمانية الكمالية^(٦٦) . يقول الأستاذ لويس « لا يبدو أن هناك دليلا قط — في كل ما كتب باللغة التركية عن الشبان الأتراك — أن اليهود لعبوا أي دور له أهمية في مجالس الاتحاديين قبل الثورة أو بعدها ولا ما يثبت أن دور الماسونية كانت أكثر من أماكن استخدمها الضباط الاتحاديون من وقت آخر لعقد اجتماعاتهم السرية»^(٦٧) وثورة الشبان الأتراك في رأس لويس — ثورة وطنية قام بها أتراك مسلمون لانقاذ الامبراطورية العثمانية من الأخطار المحدقة بها . ومع ذلك فإن الأستاذ لويس لم ينف أن اليهود لعبوا دورا في مجالس الاتحاديين ولكنه يصف هذا الدور بأنه ليس بذي أهمية . ويبدو أن الأستاذ لويس لا يقيم وزنا كبيرا للتقارير المعاصرة التي كانت ترد من الآستانة حول طبيعة النفوذ الصهيوني على حركة تركيا الفتاة ومن هذه التقارير ما يرويهِ فيليب جريفز مراسل صحيفة التايمز البريطانية في القسطنطينية قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى اذ يقول :

(٦٥) الأستاذ برنارد لويس أحد المستشرقين اليهود الذين أسهوا بنصيب وافر في دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية ، شغل منصب رئيس شعبة التاريخ وكرسي الآستانية لتاريخ الشرق الأوسط في جامعة لندن . من مؤلفاته « العرب في التاريخ » و « ظهور تركيا الحديثة » و « الشرق الأوسط والغرب » و « الإسلام في التاريخ » .

(٦٦) نسبة إلى كمال أتاتورك .

B. Lewis, op. cit. p. 212 .

(٦٧).

«ان اليهود نشطوا في العهد الجديد (عهد تركيا الفتاة) وأصبحوا أداة اتصال هامة بين النظام الجديد (نظام الاتحاديين) وألمانيا وكان مركزهم الرئيسي في سالونيكاً وهي في الوقت ذاته مركز نشاط جمعية الاتحاد والترقي» (٦٨) ♦

ويقول جريفز في موضع آخر: «ان الحكومة البريطانية علمت في نهاية عام ١٩١٦ أن ألمانيا كانت تتجه الى كسب تأييد الصهيونيين مقابل عروض معينة تقدمها لهم كما ترددت أقوال مؤداها أن طلعت باشا ، الصدر الأعظم في تركيا (هو أحد دعائم جمعية الاتحاد والترقي) اتصل بصهيونيين بارزين من الألمان والمحايدين لنفس الغرض» (٦٩) ♦

ومن التقارير التي تحدثت عن علاقة جمعية الاتحاد والترقي بالصهيونية ما تلقتة مجلة المنار في القاهرة من مراسل خاص شهد الأحداث التي قضت على آخر محاولة لاعادة الحياة الدستورية الى الدولة العثمانية في سنة ١٩١٣ نتيجة للانقلاب الذي قاده أنور بك في مطلع ذلك العام فقد ذكر مراسل المنار في تقريره أسماء الوزراء الذين تم تعيينهم في وزارة محمود شوكت الصدر الأعظم وهي الوزارة التي جاءت الى الحكم عن طريق انقلاب أنور بك وضمت ثلاثة من الوزراء وصفهم التقرير على النحو التالي (٧٠) : « بساريا » أو « باتزاريا أفندي » ناظر النافعة (أي وزير الأشغال) وكان رئيس تحرير « جون تورك — تركيا الفتاة » ومراقبا لما يكتب فيها من قبل الجمعية « وجون تورك » جريدة صهيونية ♦ « نسيم مازلياح » ، ناظر التجارة والزراعة ومبعوث أزمير الاسرائيلي سابقا ومفوض الجمعية الصهيونية ، أما الوزير الثالث الذي وصف بأنه صهيوني فهو « جاويد بك » وزير المالية ♦

وعلقت مجلة المنار على هذا التقرير بقولها « ومما جاء مصدقا

(٦٨) Philip Graves, Briton and Turk, London, 1941. p. 137 .

(٦٩) Philip Graves, Palestine, The Land of Three Faiths, London, 1923 pp. 41 - 42 .

(٧٠) المنار ج ٢ مجلد ١٦ فبراير ١٩١٣ ص ١٥٦ — ١٥٧

لسوء ظننا في الجمعية (الاتحاد والترقي) أنها جعلت في وزارتها الجديدة ثلاثة وزراء من حزب اليهود الصهيونيين وجعلت في أيديهم نظارة النافعة ونظارة الزراعة والتجارة أي ينابيع الثروة في البلاد» (٧١) .

أما إذا نظرنا الى سياسة جمعية الاتحاد والترقي نحو الهجرة اليهودية الى فلسطين في ضوء الوثائق الرسمية فاننا نجد لها سياسة موالية للصهيونية ، بينما كانت السياسة التي درج السلاطين العثمانيون على اتباعها منذ عام ١٨٤٠ وحتى عزل السلطان عبد الحميد في عام ١٩٠٩ على أيدي ضباط الاتحاديين لا تساوم ولا تتردد في حماية فلسطين من الهجرة اليهودية ، مع السماح لليهود بزيارتها لأداء شعائهم الدينية . ولعله من المفيد أن نقارن بين سياسة السلاطين العثمانيين وسياسة جمعية الاتحاد والترقي ازاء هجرة اليهود الى فلسطين . لقد كان اليهود منذ منتصف القرن التاسع عشر يستعطفون الحكومة البريطانية للضغط على سلاطين آل عثمان واغرائهم للسماح لليهود بالهجرة الى فلسطين والاستقرار فيها وكانت رسالة بالمرستون وزير خارجية بريطانيا في عام ١٨٤٠ الى السفير البريطاني في الآستانة في تلك السنة احدى نتائج هذا الاستعطاف ولكنها من ناحية أخرى كانت تمثل عزم الحكومة البريطانية على مقاومة النفوذ الفرنسي في الشرق الأوسط لأنها كانت ترى في تأييد فرنسا لمحمد علي وهويسمى الى الاستيلاء على سوريا ، تهديدا لسلامة الامبراطورية العثمانية وايدانا بتقطيع أوصالها (٧٢) . وقد ورد في رسالة بالمرستون :

« هناك شعور قوى بين اليهود المشردين في القارة الأوروبية بأن الوقت الذي تعود فيه أمتهم الى فلسطين قد حان ومن ثم أصبحت رغبتهم أشد من ذي قبل في العودة اليها وصار اهتمامهم أعظم بوسائل تحقيق هذه الرغبة ، ومن المعروف جيدا أن يهود أوروبا يملكون ثروة طائلة ومن الجلي أن أي قنطر يختاره عدد كبير منهم للإقامة فيه سوف

(٧١) المصدر نفسه ص ١٦٠ .

(٧٢) L. Stein, The Balfour Declaration, London 1961

يجنى فائدة عظيمة من الثروات التي يجلبونها معهم الى ذلك القطر وسواء أقبل محمد على الأمر الأول أم الثاني (الذي سيعرض عليه قريبا) فانه من الأهمية الواضحة للسلطان أن يشجع اليهود على العودة الى فلسطين والاقامة فيها لأن الثروة التي سوف تتدفق اليها بمجيئهم ستزيد من موارد الأقاليم التابعة للسلطان * وإذا عاد الشعب اليهودي الى فلسطين بدعوة من السلطان وبأذنه وتحت حمايته فانهم سيكونون ترياقا مضادا لأية خطط شريرة قد يفكر فيها محمد على أو من يخلفه في المستقبل» (٧٣) *

تلك هي توجيهات وزير خارجية بريطانيا الى السفير البريطاني في القسطنطينية مستر بونسونبي عام ١٨٤٠ ، وفي رسالة أخرى طلبت الحكومة البريطانية من الحكومة العثمانية أن تسمح لليهود فلسطين وللذين يريدون الاقامة فيها أن يتقدموا بظلاماتهم الى السلطان العثماني عن طريق السفارة البريطانية في القسطنطينية ولكن الحكومة العثمانية لم تستجب لهذا الرجاء (٧٤) وفي ١٧ فبراير ١٨٤١ كتب بالمرستون مرة أخرى الى سفير بريطانيا في القسطنطينية يحثه على الاتصال بالحكومة العثمانية لاقتناعها بتغيير موقفها ازاء الهجرة اليهودية الى فلسطين حتى تسمح لليهود بالاقامة ولو لفترة محدودة كعشرين سنة مثلا (٧٥) *

وفي عهد السلطان عبد الحميد أصدرت الحكومة العثمانية أمرا قاطعا يمنع الهجرة اليهودية الى فلسطين ابتداء من عام ١٨٨٤ (٧٦)

Palmerston to Ponsonby F. O. 78 (No. 134) (٧٣)
Foreign 11 Aug. 1840, Hyamson, The British Consulate in Jerusalem, London, 1939, Vol. I pp. 33 - 34 .

F.O. 195 /185 (No . 19) Constantinople, 21 Jan. (٧٤)
1841 Ponsonby to Pulmerston, Hyamson op. cit. pp. 35 - 36.

F.O. 78 (427) No 33 Foreign Office, 17 Feb. (٧٥)
1841 Palmerston to Ponsonby, Hyamson op. cit. pp. 37 - 38.

F.O. 78 (5479) No. (542) Sir N. R. O'conor to (٧٦)
Marquess of Salisbury, Constantinople 13 Oct. 1898, Hyamson, op. cit . p. 529 - 531 .

ولكن سمح لليهود الأجانب الذين يقصدون الحج بزيارة فلسطين على ألا تتجاوز اقامتهم فيها ثلاثة أشهر • وعندما أخطرت الحكومة البريطانية رسميا بهذه القيود على اقامة اليهود في فلسطين ، أعلن السفير البريطاني في القسطنطينية سير وليام وايت عن رفضه لهذه الاجراءات وواعد حكومته بأنه سيبعث الى الحكومة العثمانية بمذكرة مشتركة يسانده فيها سفير فرنسا وسفير الولايات المتحدة الأمريكية في القسطنطينية يعترضون فيها على القيود التي فرضتها الحكومة العثمانية على الهجرة اليهودية • وفي ٢٨ مايو ١٨٨٨^(٧٧) وجه السفير البريطاني الى الحكومة العثمانية رسالة يطالب فيها بالغاء القيود التي تحدد اقامة اليهود الأجانب في فلسطين ولكن حكومة السلطان عبد الحميد لم تستجب لهذا الرجاء ولم تكف بذلك وانما رفضت أيضا تسجيل العقارات في القدس باسم الاتحاد « الانجليزى - اليهودى » فاضطر السفير البريطاني أن يقترح على حكومته تسجيل العقارات بأسماء أشخاص من الاتحاد من غير اليهود حتى لا تعترض الحكومة العثمانية^(٧٨) •

ويبدو أن القنصل البريطاني في القدس لم يلتزم في عام ١٨٩٨ بتنفيذ سياسة الدولة العثمانية فيما يتعلق بالهجرة اليهودية فبعثت وزارة الخارجية العثمانية في ١٩ سبتمبر ١٨٩٨ بمذكرة الى السفارة البريطانية في القسطنطينية توجه نظرها الى الأمر الصادر عام ١٨٨٤. بمنع الهجرة اليهودية الى فلسطين وتطلب منها أن تصدر توجيهاتها الى القنصل البريطاني في القدس ليمتنع عن وضع العقبات في سبيل تنفيذ تلك السياسة^(٧٩) وكان هذا القنصل ، جون ديكسون قد تلقى رسالة من الحاكم العثماني لمدينة القدس يخبره فيها بصور أوامر صارمة من

F.O. 195 /1607 Sir William White to G. Jackson (٧٧)
Eldridge and N. T. Moore, Hyamson, op. cit. p. 443.

(No. 395) F. O. 195 /2026 , Hyamson, op. cit. (٧٨)
Constantinople to John Dickson 25 Aug., 1898, Hyamson, op. cit.
p. 518.

F.O. 78/5479 (N.V. No. 200) S.P.Le 19 Sept . (٧٩)
1898 A. L' Ambassade De S. M. B. , Hyamson op. cit. p. 531.

الحكومة العثمانية تمنع دخول جميع اليهود الأجانب في فلسطين — بغض النظر عن الجنسية التي يحملونها — ما لم يقدموا ضمانا بمغادرة البلاد خلال ثلاثين يوما^(٨٠) فرد القنصل بأنه ليست لديه توجيهات من حكومته في هذا الصدد وأنه سيقدم احتجاجا اذا طبق أمر المنع على اليهود من الرعايا البريطانيين^(٨١) واحتجت الحكومة البريطانية على هذا المنع على لسان سفيرها في القسطنطينية واعتبرته خرقا لما سمته بالحقوق التي كفلتها لهم معاهدتهم مع الدولة العثمانية بل ذهب السفير البريطاني أوكونور «N.R. O'Connor» الى أبعد من ذلك في رسالته الى وزير الخارجية البريطانية سالسبري حيث قال «ان الحكومة العثمانية أخذت تبدي مزيدا من الجزم في ممارسة ما تدعيه من حق في الحد من الهجرة اليهودية الى فلسطين وفي اعتقادي أنه من المرغوب فيه أن نخطر الباب العالي بالحدود التي يستطيع أن يمارس في نطاقها ذلك الحق المزعوم»^(٨٢) وكانت الحكومة البريطانية تأمل ألا يطبق أمر حظر هجرة اليهود الى فلسطين على اليهود البريطانيين ، علما بأن الهجرة اليهودية كانت تتدفق على فلسطين من جهات متعددة لا سيما من روسيا والنمسا وبولندا ولكن أوامر الحكومة العثمانية الأخيرة كانت صريحة في حظر الهجرة على جميع اليهود الأجانب بغض النظر عن جنسياتهم ، ويبدو أن الحكومة العثمانية أصدرت في عام ١٩٠٠ تعديلا يقضى بحد فترة الإقامة المسموح بها لليهود في فلسطين الى ثلاثة أشهر كما كانت من قبل بدلا عن شهر واحد .

لم تكتف الحكومة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد باتخاذ

(٨٠) F.O. 195 / 2028 , John Dickson to The British Ambassador Constantinople, Jerusalem 24 Aug . 1898, Hyamson op. cit. p. 518 .

(٨١) F. O. 195 / 2028 (No. 41) John Dickson to M. De Bunzen Jerusalem, 25 Aug . 1898, Hyamson op. cit. pp. 518 — 19 .

(٨٢) F.O. 78 /5479 (No. 542) N. R. O'conor to Marquess Salisbury, Constantinople 13 Oct. 1898, Hyamson op. cit. pp. 529 - 30 .

هذه التدابير لحماية فلسطين من الهجرة اليهودية ولكنها أصدرت مزيدا من اللوائح في عام ١٩٠٠^(٨٣) لتشديد الرقابة على الهجرة وتشتمل اللائحة التي تسلمها السفير البريطاني في القسطنطينية سير أوكونور في نوفمبر عام ١٩٠٠ على أربع مواد • وبمقتضى هذه اللائحة يتعين على جميع اليهود القادمين الى فلسطين أن يسلموا جوازات سفرهم الى السلطات العثمانية التي تمنحهم بطاقات خاصة توضح مهنة كل زائر يهودي وجنسيته والغرض من زيارته كما تمنحهم اذنا مؤقتا بالاقامة والانتقال في فلسطين لمدة لا تزيد على ثلاثة أشهر • ووضع نظام دقيق لمراجعة هذه البطاقات لمعرفة من يخالفون الأمر • كذلك نصت اللائحة على ابعاد كل من تجاوز اقامته المدة المقررة اما عن طريق الشرطة أو عن طريق القنصل المختص^(٨٤) وحذرت اللائحة الموظفين الذين يقومون بتنفيذ الأمر من مغبة التهاون في أداء مهمتهم •

ويفهم من هذا التحذير أن بعض الموظفين في الادارة العثمانية قد يضعف أمام أساليب الاغراء التي كان يمارسها اليهود المهاجرون مع بعض الموظفين لدخول فلسطين بطرق غير مشروعة وقد أشار السفير البريطاني في ملحق تقريره الى وزارة الخارجية البريطانية الى أن اليهود كانوا يدخلون فلسطين عن طريق مينائى حيفا وبيروت لقاء رشوة يقدمونها للموظفين المختصين في حدود خمسة جنيهات^(٨٥) •

وجدير بالملاحظة أن الأمر العثماني بمنع هجرة اليهود الى فلسطين صدر في عام ١٨٨٤^(٨٦) وشددت الرقابة في عامي (١٨٩٨ و ١٩٠٠) وهذه التواريخ تتفق تماما والتحرك اليهودي الصهيوني لتنظيم الهجرة

F. O. 78 / 5479 , Enclosure 1 to No. 440 , Nov. 21 , (٨٣)
1900 Hyamson op. cit. p. 561 .

F. O. 78 / 5479 (No. 34) Sir Nicholas O'conor to (٨٤) .
Marquess of Lansdowne, Constantinople, 27 Jan. 1901, Hyamson
op. cit . pp. 560 — 62 .

F.O. 178 / 5479 (Enclosure 2 to No. 440) (٨٥)
Duplicate No. 7 Beirut, Jan. 13, 1901, Hyamson op. cit. p. 562
(٨٦) وليس في عام ١٨٨٨ كما ذكر آلان تيلر في كتابة تاريخ الحركة
الصهيونية تعريب بسام أبو غزالة ، بيروت ١٩٦٦ ص ١٣ •

اليهودية واستعمار فلسطين • ففي عام ١٨٨٢ شرع اليهود في تأسيس مستعمراتهم في فلسطين وهناك من يقول ان حركة استعمار فلسطين بدأت منذ عام ١٨٧٨ ولكنها لم تكن حركة منظمة ومن أوائل المستعمرات التي أسست في ذلك الوقت مستعمرة «Petah Tikvah» ولكن حركة الاستعمار اليهودي المنظم بدأت في عام ١٨٨٢ بتمويل البارون أدموند روتشيلد وهو أحد أثرياء اليهود الشهيرين في باريس وبلغ عدد المستعمرات التي مولها البارون أدموند أربعة أضعاف ما أسسه اليهود الآخرون بجهودهم الخاصة^(٨٧) وفي عام ١٨٨٢ نفسه نشأت حركة «عشاق صهيون» في روسيا وكانت تدعو الى احياء اللغة العبرية واستيطان فلسطين وفي سنة ١٨٩٦ نشر كتاب «الدولة اليهودية» لتيودور هرتزل في فيينا وتلا ذلك انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في «بال» بسويسرا عام ١٨٩٧ • ومؤتمر «بال» هو الذي وضع دستور الصهيونية وحدد أهدافها وهذا ما دفع هرتزل الى القول بأن «الدولة الصهيونية أسست في «بال»^(٨٨) ومن تلك الأهداف خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين تحت حماية القانون العام»^(٨٩) •

ولعل هذا النشاط الصهيوني في نهاية القرن التاسع عشر يفسر لنا اهتمام السلطان عبد الحميد بمقاومة الهجرة اليهودية الى فلسطين وتشديد الرقابة عليها في تلك السنوات مع أن السياسة العثمانية كانت واضحة منذ سنة ١٨٤٠ وهي تقوم على حماية فلسطين من الغزو اليهودي • أما في عهد جمعية الاتحاد والترقي فقد تغيرت سياسة الدولة العثمانية تغيرا تاما لصالح الصهيونية ووضح هذا التغير بصفة خاصة بعد انتهاء فترة الاضطراب السياسي الذي ساد فترة السنوات الخمس الأولى من حكم الجمعية (١٩٠٨ - ١٩١٣) •

Israel Margalith , Le Baron Edmond Rothschild (٨٧)
Et La Colonisation Juive En Palestine, Paris, 1957, pp. II, 144-145.

Mrs. Blanche Dugdale, The Balfour Declaration (٨٨)
Jerusalem 1940, p. 14.

Theodor Herzl : The Jewish State, 9th Ed. London, (٨٩)
1946 p. 5.

لقد ظل نفوذ الصهيونية ينمو فى دوائر الحكومة العثمانية منذ أن استولى الاتحاديون على السلطة وذلك عن طريق نشاط اليهود الألمان لاحتراز مواقع للنفوذ اليهودى فى جمعية الاتحاد والترقى ومن ثم فتح الباب للهجرة اليهودية الى فلسطين^(٩٠) وقد جاء فى رسالة للسفير البريطانى فى القسطنطينية سير جيرارد لوثر الى وزير خارجية بريطانيا سير ادوارد جراى مؤرخة ٢٤ ابريل ١٩١١ ، أن جميع البعثات الدبلوماسية فى القسطنطينية — بايعاز من السفارة الفرنسية — تقدمت الى الحكومة العثمانية بمذكرة حديثة تطلب فيها الغاء القيود القائمة التى تمنع اليهود الأجانب من امتلاك الأراضى فى مقاطعتى سوريا والقدس (أى فلسطين) ويفسر السفير البريطانى مبادرة السفارة الفرنسية فى هذا الموضوع بأنه — فيما يبدو — نتيجة لايعاز من أسرة روتشيلد اليهودية فى باريس عن طريق الحكومة الفرنسية^(٩١) . وردت الحكومة العثمانية على هذه الرسالة بأنها تحتفظ لنفسها بحق التصرف لأن الموضوع من صميم شئونها الداخلية^(٩٢) .

كذلك ذكر السفير البريطانى فى رسالته أنه تلقى برقية من وكيل الحكومة البريطانية فى القاهرة تفيد أن القنصل البريطانى فى غزة كان يقوم خلال الأشهر الثلاثة المنصرمة بشراء الأراضى بين العريش ورفح لصالح منظمة استعمارية يهودية .

ومن ناحية أخرى ذكر السفير أن بعض وزراء الدولة العثمانية — نقلا عن الصحف الصادرة بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩١١ — هاجموا الصهيونية^(٩٣) ووصفوها بأنها ضرب من الخيال وأنها ضد الفكرة العثمانية . وقد يفسر موقف الحكومة العثمانية — وفقا لما ورد فى تقرير السفير البريطانى — وتصريحات بعض الوزراء ضد الصهيونية

Sir Gerard Lowther to Sir Edward Grey No. 16084 (٩٠)
with 9103 (No . 271) Constantinople 24 April 1911, Hyamson
op. cit. pp. 576 - 577 .

Hyamson, op. cit. p. 577 .

(٩١)

Hyamson, op. cit. p. 577 .

(٩٢)

Hyamson, op. cit. pp. 576 - 577 .

(٩٣)

فى عام ١٩١١ بأن هذا هو الموقف الرسمى لجمعية الاتحاد والترقى وممن أخذ بهذا التفسير الأستاذ محمد رفعت ^(٩٤) والأستاذ أحمد طربين اذ يقول « ولما ثار فتیان الترك بالسلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨ تابع اليهود نشاطهم واعتقدوا أن موقف الاتحاديين سيكون أكثر تساهلا ومودة ولكن الحكومة الجديدة سارت على نفس سياسة عبد الحميد وتزايد عدااء الحكومة العثمانية للصهيونية • وبدأ جليا فى عامى ١٩١١ و ١٩١٢ عندما هاجم كثير من النواب الصهيونية وأوعزت الحكومة الى السلطات المحلية فى فلسطين أن تشدد الرقابة على تنفيذ الأنظمة التى تحظر على اليهود امتلاك الأراضى » ^(٩٥) •

غير أن ما حدث فى عام ١٩١٣ وما بعدها وأثبتته الوثائق الرسمية يؤكد أن سياسة جمعية الاتحاد والترقى كانت — على نقيض سياسة الدولة العثمانية لا سيما فى عهد السلطان عبد الحميد — موالية للصهيونية فيما يتعلق برفع الحظر على الهجرة الى فلسطين وامتلاك الأراضى فيها • وفى ٢١ ديسمبر ١٩١٣ بعث السفير البريطانى فى القسطنطينية سير ماليت تقريراً الى سير ادوارد جراى وزير الخارجية يحيطه بالنجاح الذى أحرزته الصهيونية بالغاء جوازات السفر الحمراء التى كان يتعين على اليهود الأجانب حملها عند وصولهم أرض فلسطين والتى كانت تحدد فترة اقامتهم فيها بثلاثة أشهر ^(٩٦) •

أما القنصل البريطانى فى القدس «McGregor» فقد كتب الى السفير البريطانى فى القسطنطينية فى ١٥ يناير ١٩١٤ يخطره رسميا بأن العقوبات

(٩٤) محمد رفعت : قضية فلسطين « اقرا » دار المعارف للطباعة والنشر بمصر : القاهرة ١٩٤٧ ص ٢٦

(٩٥) أحمد طربين : محاضرات فى تاريخ القضية الفلسطينية ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٢٢

(٩٦) Sir L. Mallet to Edward Grey, 1913 / No. 58134
with 6584 (No . 1023) Constantinople 21 Dec . 1913 , Hyamson
op. cit . p. 583 .

فى سبيل الهجرة اليهودية الى فلسطين وامتلاك الاراضى فيها قد زالت
بفضل موقف السلطات الذى يدعو للارتياح^(٩٧) .

وقد زار جورجى زيدان — صاحب مجلة الهلال — فلسطين فى
سنة ١٩١٣ ونشر عددا من المقالات^(٩٨) فى مجلته يصف فيها مشاهداته
فى فلسطين فتحدث عن السهول الخصبة بين حيفا واليرموك وقال
« ان اليهود باذلون جهدهم فى ابتياع الاراضى فى فلسطين بكل وسيلة
ممكنة بمساعدة الجمعية الصهيونية وأن غور بيسان كان معروضا للبيع
فى صيف عام ١٩١٣ وقد احتج اعيان الوطنيين على الحكومة لما بلغهم
عزمها على بيعه لبعض الأجانب أو اليهود فتوقفت الحكومة عن بيعه
مؤقتا »^(٩٩) .

ويواصل جورجى زيدان حديثه قائلا « ورغم احتجاج المسلمين
والمسيحيين وغيرهم من الوطنيين على بيع الأرض لليهود فانهم يتعاونها
ويصلحونها ويغرسونها أو يبنونها ويعولون فى استعمارها على أحدث
الطرق الفنية » شاهدنا فى يافا محلة أو مستعمرة اسرائيلية اسمها
نل أبيب أدهشنا ما رأيناه فيها من نظام الشوارع واتقان البيوت فى
بنائها على الطراز الصحى وقد شادت هذه المحلة شركة يهودية لسكنى
اليهود وهى تؤجرهم اياها بطريق الاستهلاك بشروط سهلة بحيث
يصبح المنزل لسكانه بعد مدة غير طويلة »^(١٠٠) .

فكيف نفسر سياسة حكومة الأتراك الاتحاديين تجاه الهجرة
اليهودية وامتلاك أراضى فلسطين فى عامى (١٩١١ — ١٩١٢) وموقفها فى

P.J. C. McGregor to Sir L. Mallet 1914 No. 16140 (٩٧)
(No. 16 Conf.) Jerusalem, 15 March 1914, Hyamson, op. cit.
p. 583.

(٩٨) نشرت هذه المقالات عن فلسطين فى الهلال ابتداء من العدد
الصادر فى أول أكتوبر سنة ١٩١٣ السنة الثانية والعشرون حتى أول يونيو
سنة ١٩١٤ (السنة الثالثة والعشرون) .

(٩٩) جورجى زيدان : رحلة صاحب الهلال الى فلسطين — الهلال
ج ٧ السنة الثالثة والعشرون أول ابريل ١٩١٤ ص ٥١٧

(١٠٠) المصدر نفسه ص ٥١٨ .

عام ١٩١٣ وما بعده عندما رفعت القيود عن الهجرة اليهودية ؟ لعل تطور الأحداث السياسية في الدولة العثمانية بين سنتي (١٩١١ و ١٩١٣) يعيننا على الاهتداء الى ذلك التفسير .

لقد كانت جمعية الاتحاد والترقي — بعد عزل السلطان عبد الحميد ونفيه الى سالونيك سنة ١٩٠٩ — تتطلع الى استقرار الحكم في قبضتها ولكن تطلعاتها لم تتحقق لأنها واجهت معارضة عنيفة طوال عامي (١٩١١ و ١٩١٢) وشاهدت تحول الرأي العام ضدها فظهر في أوائل سنة ١٩١١ حزب مناويء للاتحاديين يدعو الى دعم الحقوق المقدسة للخلافة والسلطنة وينادي بتعديل الدستور لتحقيق هذا الهدف^(١٠١) وفي ٢١ نوفمبر سنة ١٩١١ ظهر اتحاد الأحرار الذي ضم كل المعارضين لجمعية الاتحاد والترقي وكون معارضة برلمانية ضد الاتحاديين فاضطر هؤلاء الى حل البرلمان في يناير عام ١٩١٢ واجراء انتخابات في ابريل سنة ١٩١٢ جاءت بمن يريدون وسميت انتخابات العصا الغليظة^(١٠٢) ولكن في شهرى مايو ويونيو سنة ١٩١٢ تجمع عدد من الضباط في القسطنطينية عرفوا بفرقة الانقاذ وكان من أهدافهم اسقاط جمعية الاتحاد والترقي وبرلمانها وحكومتها واعادة الحياة الدستورية وفرضت هذه الحركة تعديلا جذريا أدى الى تكوين ما سمي بالوزارة العظيمة برئاسة أحمد غازي مختار في ٢١ يوليو سنة ١٩١٢ التي حققت مطالب المعارضة في ابعاد جمعية الاتحاد والترقي — مؤقتا — عن السلطة وحل برلمانها في ٥ أغسطس ١٩١٢ وكانت الدولة العثمانية في ذلك الوقت مشغولة بحرب البلقان (أكتوبر ١٩١٢) وبالعديوان الايطالي على ليبيا (١٩١١) فدبر الاتحاديون انقلابا مضادا لاستعادة السلطة بقيادة أنور بك في ٢٣ يناير سنة ١٩١٣ وأسقطوا الوزارة العظيمة وقتلوا وزير حريبتها ناظم باشا وفي ١١ يونيو ١٩١٣ عادت جمعية الاتحاد والترقي الى السلطة في صورة دكتاتورية ثلاثية يترعها أنور وطلعت وجمال^(١٠٣) .

B. Lewis op. cit. p. 220 .

B. Lewis op. cit.

B. Lewis op. cit. pp. 223 - 225.

(١٠١)

(١٠٢)

(١٠٣)

ولخص أحد المراسلين المعاصرين للأحداث حالة الاضطراب التي سادت الآستانة بين عامي (١٩٠٨ و ١٩١٣) قائلا « منذ أربعة أعوام قلب الجيش حكم عبد الحميد وأنشأوا حكومة دستورية ثم قام الجيش فقلب تلك الحكومة ثم قام رجال تلك الحكومة فقلبوا بعض طوابير ذاك الجيش ثم عاد ضباط الجيش الكرة الرابعة منذ شهور وقلبوا ذاك الحكم فقام الاتحاديون اليوم وقلبوا حكومة ذلك الجيش وهي خامس ثورة حدثت في أربعة أعوام في سبيل القبض على الحكومة ليس غير » (١٠٤) .

في مثل هذه الظروف التي نازعت فيها المعارضة سلطة الاتحاديين بل نزعتها منهم في النصف الثاني من عام ١٩١٢ لا نتوقع من حكومة الاتحاديين أن تجد الأمن والثقة الكافية التي تمكنها من اتخاذ موقف ودي تجاه هجرة اليهود الى فلسطين ولكن موقفها وضع بعد حوادث ١١ يونيو ١٩١٣ ، لأنها قضت على المعارضة قضاء تاما وأصبحت صاحبة السلطان المطلق بقيادة الدكتاتورية الثلاثية التي أطفأت آخر قبس من الحرية على مسرح السياسة التركية وقادت الدولة العثمانية الى الدمار في الحرب العالمية الأولى التي انتهت بهزيمتهم في سنة ١٩١٨ .

هذا — فيما يبدو — هو التفسير الأرجح لنجاح الصهيونية في عام ١٩١٣ مع قادة الأتراك الاتحاديين لرفع القيود عن الهجرة اليهودية الى فلسطين وإباحة امتلاك الأرض الفلسطينية لليهود الأجانب على النحو الذي ورد في تقرير سفير بريطانيا في القسطنطينية وقنصلها في القدس .

أما مصر العربية العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين فقد تربع على عرشها اللورد كرومر (إيفلين بيرنج) منذ سنة ١٨٨٢ رغم تبعيتها الرسمية للخليفة العثماني وكان كرومر يستمد سلطته في حكم مصر من تفويض الحكومة البريطانية ، وقوته العسكرية ، من جيش الاحتلال المربط في أرض مصر ، ومن ثم كان الاحتلال الأجنبي المشكلة الكبرى التي واجهت مصر منذ ذلك الحين فوجه قادتها الوطنيون كل جهدهم لتحرير أرضهم في إطار العلاقة

(١٠٤) المنار ج ٢ م ١٦ ص ١٥١ ، ٦ فبراير ١٩١٣

(٧ — نكبة الامة العربية)

الخاصة التي تربط وطنهم بالدولة العثمانية قبل هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى وكان قادة الحركة الوطنية في مصر قبل انفجار الثورة العرابية مدركين لطبيعة هذه العلاقة ، لا سيما بعد المذكرة المشتركة التي بعثت بها الحكومتان البريطانية والفرنسية في ٧ يناير ١٨٨٢ الى ممثليهما في القاهرة تحمل تهديد الدولتين بالتدخل المسلح للابقاء على الوضع السياسى في مصر وبالتالي لحماية مصالحهما * وفى ذلك يقول بلنت « ان نتائج المذكرة المشتركة أن بات الناس يتجهون نحو السلطان بصفته منقذا لهم وأصبحوا ينظرون الى عرابى أنه عضد السلطان فى مصر والملاذ الذى تتجه اليه أنظارهم لتحقيق آمالهم ، بعد أن يئسوا كل اليأس من توفيق » (١٠٥) .

ويقول الأستاذ محمد فؤاد شكرى « كان من آثار المذكرة المشتركة التي بعثت بها بريطانيا وفرنسا الى الخديو عن طريق ممثليهما فى القاهرة أن اعتبرها الثوار الوطنيون دليلا ماديا على عزمهما التدخل فى شئون بلادهم فزادت من تعلقهم بتركيا كمنقذ للبلاد على أساس أن السلطان العثمانى هو صاحب السيادة » (١٠٦) .

أما تأييد قادة الحزب الوطنى فى مصر للسلطان العثمانى فى عام ١٨٨٢ مع حرصهم على استقلال بلادهم فقد أثبتته الأستاذ بلنت فى صحيفة التايمز البريطانية بتاريخ أول يناير سنة ١٨٨٢ عندما نشر بياننا تلقاه من بعض الزعماء الوطنيين منهم الشيخ محمد عبده ومحمود سامى البارودى وعرابى * جاء فيه « يرى الحزب الوطنى المحافظة على الروابط الودية الحاصلة بين الحكومة المصرية والباب العالى واتخاذ هذه الروابط ركنا يستند عليه فى عمله ويعترف بالسلطان عبد الحميد كمتبوع وخليفة وامام للمسلمين ولا يريد تبديل هذه الصلات والروابط ما دامت الدولة العلية فى الوجود » (١٠٧) .

(١٠٥) محمود الخفيف ، احمد عرابى ، دار الهلال ج ١ العدد ٢٤٥ يونيو ١٩٧١ ص ١٧٠

(١٠٦) محمد فؤاد شكرى ، مصر والسودان أو وحدة وأدى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر دار المعارف — القاهرة ١٩٦٣ ص ١٩٩

(١٠٧) مكى شبكية ، المصدر نفسه ص ٥٨١ — ٥٨٢

ظهر الحزب الوطنى المصرى فى ابريل سنة ١٨٧٩ ثم أعيد تكوينه فيما بعد بقيادة أحمد عرابى^(١٠٨) . وبعد فترة اليأس التى تلت القضاء على الثورة العرابية وظهر مصطفى كامل (١٨٧٤ — ١٩٠٨) نشطت المقاومة ضد الاحتلال البريطانى بتشجيع الخديو عباس الثانى (١٨٩٢) الذى نال فى سنواته الأولى اعجاب الوطنيين وتقديرهم لنزعته الوطنية وحرصه على ممارسة سلطاته وقيادته لجبهة وطنية قاومت الاحتلال وكان من أعضائها مصطفى كامل وأحمد لطفى السيد ، على أن صلته قد انقطعت بمصطفى كامل بعد الوفاق « البريطانى — الفرنسى » فى سنة ١٩٠٤^(١٠٩) .

كان ظهور مصطفى كامل معلما من معالم الحركة الوطنية فى مصر فقد ظهر كما قال الأستاذ عبد الرحمن الرافعى سنة ١٨٩٠ « على حين فترة من الحركة الوطنية وهجعة من الكفاح القومى وانحلال فى الروح المعنوية فنهض يدعو الى الحرية والاستقلال فى وقت تحالفت فيه عوامل اليأس وتضافرت أسباب الجمود والضعف . ودعا دعوته فبدأت غريبة عن الأذهان بعيدة عن الأفهام ولكن وطنية مصطفى كامل كانت أقوى من الجيل الذى ظهر فيه وأقوى من العوامل المثبطة فأخذ يثابر على دعوته ويناضل عنها حتى استجابت الأمة لندائه »^(١١٠) .

كان مصطفى كامل رمزا لتاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٠ الى سنة ١٩٠٨ وهى فترة حافلة باليقظة الوطنية والجهاد الذى لا يكل من أجل استقلال مصر واسترداد حريتها وكان سلاح مصطفى كامل فى هذه المعركة عزمته القوية وقلمه المطواع وخطابته التى تأخذ بمجامع القلوب ، وكانت استراتيجيته تعبئة الشعور الوطنى فى الداخل واثارة رأى العام الأوروبى فى الخارج ضد الاحتلال ، واحترام العلاقة

(١٠٨) Mahmud Zayid, The Origins of the Liberal Constitutional Party in Egypt, Political and Social Change in Modern Egypt. Ed. by P. M. Holt, op. cit, p. 334.

(١٠٩) المصدر نفسه ص ٣٣٦

(١١٠) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية — مكتبة النهضة المصرية الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٦٢ ص ١٣

الخاصة التي تربط مصر بالدولة العثمانية ، حامية الوطن الاسلامى من التدخل الأجنبى ، وهذا ما دفع الوطنيين فى مصر الى التطلع الى الدولة العثمانية — خاصة بعد ضعف موقف فرنسا اثر حادثة فاشودة — (١٨٩٨) لمساعدتهم فى تحقيق الجلاء .

وكان مركز مصر الشرعى حتى سنة ١٩١٤ — وفقا لمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠ وفرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ — أنها خاضعة للسيادة العثمانية^(١١١) ، ولكن المشكلة التي شغلت أبناء مصر منذ سنة ١٨٨٢ كانت الاحتلال البريطانى لا السيادة العثمانية بل كان الوطنيون يخشون أن تزول السيادة العثمانية عن مصر والاحتلال البريطانى جائم على أرضها فتتول السيادة بذلك تلقائيا الى دولة الاحتلال^(١١٢) ، وعلى رأس هؤلاء الوطنيين كان مصطفى كامل الذى أصابه رشاش من التهم التي كالمها المواليون للاحتلال البريطانى^(١١٣) فوصفوه بأنه داعية الى نقل مصر من حكم الاحتلال الى الحكم العثمانى وقد رد عليهم : « أما دعوتكم أن الوطنيين المصريين يريدون الانتقال من استعباد الى استعباد وأنهم انما يطلبون خروج الانجليز من مصر ليدخلوا تحت رحمة حكم جديد فهي دعوى لا يقبلها ذو لب ولا سلم بها أحد من العقلاء فاننا نطلب استقلال وطننا وحرية ديارنا ونتمسك بهذا المطلب الى آخر لحظة من حياتنا »^(١١٤) ، وقال مصطفى كامل فى خطبة ألقاها فى ٢١ يناير ١٩٠٧ « يستحيل علينا أن يطلب واحد منا ملكا أجنبيا عنا فنحن لا نود الا أن نكون قوة معارضة للدولة العلية ننصرها وتنصرنا ونعتز بها وتعتز بنا »^(١١٥) .

(١١١) المصدر نفسه ص ٣٦٠

(١١٢) الرافعى ، المصدر نفسه (نقلا عن الوقائع المصرية عدد ١٩

ديسمبر ١٩٠٤) ص ٣٦١

(١١٣) كانت مجلة المقطم وصاحبها ، يعقوب صروف وفارس نمر من الموالين للاحتلال وفقا للرواية آرثر جولد شميدت (Arthur Goldschmidt)

The Egyptian, Nationalist Party , 1892 - 1919 Ed. By P.M.

Holt, op. cit, p. 310.

(١١٤) الرافعى ، المصدر نفسه ص ٣٦٦ ، نقلا عن اللواء عدد ٢

مايو ١٩٠٦

(١١٥) المصدر نفسه ص ٣٦٧

ويروى الأستاذ أسعد داغر في مذكراته أن مصر كانت ترى في الأتراك اخوانا منقذين اذ يقول « وما يؤسف له أن العرب التابعين للسلطنة العثمانية لم يكونوا على تفاهم تام مع العرب الذين وقعوا تحت نير الاستعمار الأجنبي فمصر مثلا كانت تعاني من مظالم الانجليز وغطرستهم ما أنساها مظالم الترك (لعله يعنى الأتراك الاتحاديين) وجهلهم وفساد حكمهم وجعلها ترى فيهم اخوانا منقذين وخصوصا بعد اعلان الدستور العثماني في حين أن العرب الباقين تحت سيطرتهم كانوا ينظرون اليهم نظره إلى أعداء مخربين قساة ظالمين • من أجل ذلك كان العرب شرقي قناة السويس مجمعين على كره الترك ومحاولة التخلص منهم بينما اخوانهم في غربي القناة عقدوا كل آمالهم في الخلاص من الأجانب على قوة تركيا ودهاء رجالها وقادة أمورها » (١١٦) •

ان حديث الأستاذ أسعد داغر — وقد عاصر الحركة العربية في ذلك الوقت يعزز القول بأن قادة الحركة الوطنية في مصر في مطلع القرن العشرين كانوا يرون الأتراك منقذين لا أعداء متربصين وقد تجلى ذلك بوضوح في حادثة العقبة أو « طابة » — كما تسمى أحيانا — عندما اعتزمت تركيا في سنة ١٩٠٦ مد سكة حديدية من معان إلى العقبة — وفي ذلك تقوية لتركيا على حدود مصر وتهديد لمركز الاحتلال البريطاني — فاعترضت بريطانيا ولكن القوات التركية احتلت موقع « طابة » فثارت ثائرة بريطانيا وتوعدت وهددت ، فوقفت الأمة المصرية إلى جانب تركيا وهاجم مصطفى كامل بريطانيا وأثار الجماهير ضدها وأحست بريطانيا لأول مرة منذ عام ١٨٨٢ بأن مركزها مهدد في مصر (١١٧) ويرى بعض الكتاب أن موقف مصر في حادثة العقبة ربما كان له أثر في الأحكام الصارمة التي أصدرتها محكمة دنشواي (٢٧ يونيو ١٩٠٧) على واحد وعشرين من المواطنين المصريين ، أعدم منهم أربعة (١١٨) ونفذ

(١١٦) أسعد داغر المصدر نفسه ص ٤٧

Arthur Goldschmidt, op. cit.

(١١٧)

(١١٨) انظر تفاصيل الحادث والمحاكمة في كتاب الرافعي : مصطفى

كامل ص ١٩٩ — ٢٠٧

الحكم ببشاعة فاقت كل القصور ويذكر الأستاذ جولد شمت أن الغرض من هذا الحكم كان إرهاب الوطنيين من دعاة الوحدة الإسلامية و إرغامهم على الاستسلام^(١١٩) ولكن محاكمة دنشواي أكسبت مصطفى كامل مزيداً من التأييد ، وقد ندد بالحادثة وبالسياسة البريطانية في مقالة شهيرة بعنوان « إلى الأمة الإنجليزية والعالم المتمدن » نشرتها جريد الفيجارو الفرنسية في عددها الصادر بتاريخ ١١ يوليو ١٩٠٦ وكان من نتائج تلك المقالة ، اقالة لورد كرومر من منصبه ، فيما يروى الأستاذ عبد الرحمن الرافعي^(١٢٠) .

كان اتجاه مصطفى كامل الوطني والإسلامي امتداداً لدعوة الأفغانى وكان فى جهاده الوطنى يستلهم الإسلام ويدفع عنه افتراءات الأقلام الغربية على نحو ما فعل الأفغانى ومحمد عبده فى «العروة الوثقى» ولهذا الغرض أصدر صحيفة « العالم الإسلامى » فى أول مارس سنة ١٩٠٥ وجاء فى العدد الأول منها أنها صدرت :

« لنشر ما يهم العالم الإسلامى معرفته وترجمة ما تكتبه صحف الغرب ويقول خطبائؤه عن الإسلام والمسلمين ليعرف كل واحد من أفراد الجامعة الإسلامية ما يقال عن قومه وبنى دينه فينهض القاعد وينشط الكسول ويخجل المتلاهى ويتفق المفرقون وبالجمله تقوم للأمة الإسلامية قائمة » .

« أما الأكاذيب والمفتريات فان نشرها على المسلمين ينبه أفاضل علمائهم والغيورين من كتابهم للرد عليها فى الصحف التى صدرت فيها واقناع العالم المتمدن أننا لسنا كما يظن بعض رجاله ندين بدين يعادى العلم والنور والإصلاح والنظام »^(١٢١) .

(١١٩) Arthur Goldschmidt, op. cit. p. 320.

(١٢٠) الرافعى المصدر نفسه ص ٢٠٨

(١٢١) العالم الإسلامى ، العدد الأول ص ١ ، ٤ محرم سنة ١٣٢٣ هـ / أول مارس ١٩٠٥ م .

وجاء في رسالة لمصطفى كامل من لندن الى دام جوليت آدم
الكاتبة الفرنسية الشهيرة — التي مهدت له الاتصال بأشهر صحف فرنسا
وكتابها — ما يلى :

« لندرة فى ١٨ يوليو ١٩٠٦ »

« قرر مسلمو لندرة (لندن) مصريين كانوا أو أتراكا أو هنودا
أو غيرهم وجميعهم من المثقفين اقامة احتفال عظيم مساء الثلاثاء تحية
الى واحتفاء بى وسأخطب فيهم عن نهوض الاسلام » (١٢٢) .

ومن جراء نشاطه السياسى الذى غلبت عليه النزعة الوطنية
الاسلامية تعرض مصطفى كامل لمضايقات شديدة من أنصار الاحتلال
البريطانى والنفوذ الأجنبى ولنفسح له المجال ليحدثنا بنفسه عن هذه
المضايقات فى رسالة بعث بها الى دام جوليت جاء فيها :

« القاهرة فى ١٥ ديسمبر ١٩٠٥ »

سيدتى العزيزة

أسألك العذر اذا لم أكتب اليك فى هذه اليومين فانى كنت فى
حرب عوان . ذلك أن أعدائى أرادوا بذر بذور البغضاء بينى وبين
الأوروبيين القاطنين فى مصر بما تقولوه على من أنى هجت فى « اللواء »
أبناء دينى على المسيحيين وقد ناضلت مثبتا الضد وعلى ذلك عادوا بخفى
حنين لما قدمته من البراهين على أنى انما أنتقد السياسة الأوروبية
ولا أخص النزلاء الأوروبيين بالمسئولية عن خطة حكوماتهم ، الحادثة
التي وقعت بشأنها المناقشة بسيطة جدا ليست الا مشاجرة سببها بعض
رعاع اليونان مما جسم الأمر » (١٢٣) .

ويلاحظ أن توجيه هذا النوع من التهم الى الوطنيين لم يكن
غريبا فى ذلك الوقت فقد اتهم أحمد عرابى من قبل على لسان لورد

(١٢٢) رسائل « مصرية — فرنسية » — ترجمة على فهمى كامل ،
القاهرة ١٩٠٩ ص ٢٤٩ .

(١٢٣) المصدر نفسه ص ٢٢٩

جورج لويد بأن ثورته كانت تهدف الى اضطهاد المخالفين له في الدين :

« لو لم نتدخل لقمع الثورة العربية لتطورت — دون شك — الى اضطهاد لا رحمة فيه لكل المخالفين له في الدين وكان على السلطات البريطانية أن تحذر تعصب السكان واستعدادهم لتصديق كل ما يقال لهم » (١٢٤) *

لقد كان مصطفى كامل يعتبر الحزب الوطني ، حزب الجلاء ، موجودا منذ بدأت الحركة الوطنية في مصر ولكنه اتجه قبل وفاته ببضعة أشهر الى تنظيمه ودعا الى أول جمعية عمومية للحزب في ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧ ولكن المنية عاجلته في ١٠ فبراير ١٩٠٨ فخلفه على رئاسة الحزب محمد فريد (١٨٦٧ — ١٩١٩) وقد أخذت سلطات الاحتلال بعد تقاعد كرومر (مايو ١٩٠٧) وتعيين جورست «Eldon Gorst» تعمل على إضعاف الحركة الوطنية عن طريق إنشاء أحزاب جديدة كحزب الأمة (١٩٠٧) الذي كان يضم كبار الأثرياء ويدعو الى التعاون مع سلطات الاحتلال ونبذ أفكار دعاة الوحدة الإسلامية » (١٢٥) *

وعندما هاجمت إيطاليا ليبيا في سنة ١٩١١ وخلف كتشنر جورست على دار العمادة في مصر كان الحزب الوطني يجمع التبرعات لمجهود الدفاع التركي ثم واجه الحزب موجة من الاضطهاد من قبل السلطات البريطانية الحاكمة وانتهى نشاطه بنشوب الحرب العالمية الأولى * وقد رأينا أن التمهيد للاتصال مع شريف مكة بدأ قبل اندلاع الحرب بوقت قصير وهو التمهيد للخديعة الكبرى التي واجهها العرب في مصر والهلال الخصيب في وقت واحد *



Lord G. Lloyd, Egypt Since Cromer, Macmillan (١٢٤)
& Co. London, 1933, Vol. 1 p. 36.

Arthur Goldschmidt, op. cit. pp. 321 - 22.

(١٢٥)

الفصل الثالث

الخديعة الكبرى

● القضية العربية في طور جديد — ارهاب جمال باشا
يعجل بالثورة العربية — بريطانيا صديقة العرب ضد
الأتراك !! — اعلان الحماية في مصر — السلطان حسين
كامل — الملك فيكم آل اسماعيل — الاتصالات الأولى بشريف
مكة من القاهرة — تطويق الحركة العربية — كتشنر —
ماكماهون — ستورز — وينجت — هوجارث — كلايتون —
الوجه الآخر للسياسة البريطانية : بلفور — سايكس —
صمويل — وايزمان — محور (براندايس — ويلسون —
وايزمان) — مراسلات حسين/ماكماهون — اعادة الخلافة الى
العرب — ثقة الشريف حسين في الشرف البريطاني — اتفاق
سايكس/بيكو — اعلان الثورة العربية في الحجاز —
الأهمية الحربية للثورة العربية — وعد بلفور — وعود أخرى —
تناقض الوعود البريطانية — مؤتمر الصلح في باريس —
لجنة كنج كرين — رسائل : (ويلسون — فرانكفورت) —
فلسطين تتأهب لاحباط المشروع الصهيوني — الصهيونية
توجه وزارة الخارجية البريطانية — لجنة صهيونية تزور
فلسطين — الاعداد لتنفيذ المشروع الصهيوني — ثورة ١٩١٩
— زغلول وفصل امام مؤتمر الصلح في باريس .

الخديعة الكبرى

دخلت القضية العربية في مصر والهلال الخصيب طورا جديدا بعد نشوب الحرب العالمية الأولى (١٤ يوليو ١٩١٤) واعلان بريطانيا الحرب على ألمانيا (٤ أغسطس ١٩١٤) وانحياز تركيا الى صف ألمانيا (٢٩ أكتوبر ١٩١٤) وكان أهم معالم هذا التحول اتجاه الحركة العربية في سوريا والحجاز نحو الاستقلال السياسى والاستعانة ببريطانيا في تفجير ثورة مسلحة ضد الأتراك واتخاذ بريطانيا مظهر الدولة المناصرة لحركة التحرير العربية ، بعد أن اتخذت من دخول تركيا الحرب ذريعة لاضفاء نوع من الشرعية على وجودها في مصر باعلان الحماية عليها •

ففى ١٨ ديسمبر عام ١٩١٤ أعلنت الحماية البريطانية على مصر ثم « ذهب المستر ملن شيتام القائم بأعمال الوكالة البريطانية في القاهرة والمستر ستورز سكرتيرها الشرقى الى القصر الذى يقيم فيه الأمير حسين كامل باشا وقدموا اليه بلاغ الحكومة البريطانية المؤذن بجعل القطر المصرى تحت حمايتها وبجعله سلطانا من قبلها لمصر » (١) وصدر بيان رسمى من السلطات البريطانية فى القاهرة نشر فى الصحف المصرية وورد فيه « ان جميع الحقوق التى كانت لسلطان تركيا والخديو السابق قد سقطت منهما وآلت الى جلالة ملك بريطانيا وان أفضل وسيلة لقيام بريطانيا العظمى بمسئوليتها نحو مصر أن تعلن الحماية البريطانية اعلانا صريحا وان حكومة البلاد (مصر) تحت هذه الحماية تكون بيد أمير من أمراء العائلة الخديوية طبقا لنظام ورائى يقرر فيما بعد » (٢) كذلك أشار البلاغ الى أن الاتصال بين حكومة مصر وممثلى الدول الأجنبية لا يتم الا عن طريق وكيل الحكومة البريطانية فى القاهرة •

(١) المنار ، ج ١ م ١٨ - ١٤ غراير ١٩١٥ ص ٥٣ - ٥٦

(٢) المصدر نفسه •

وفى اليوم القالى تم خلع الخديو عباس الثانى الذى كان فى
الاستقانة فى ذلك الحين •

وفى احتفال كبير أقيم يوم ٢٠ ديسمبر عام ١٩١٤ تم نصب
الأمير حسين كامل سلطانا لمصر وكان أحمد شوقى أحد الشعراء الذين
شاركوا السلطان الجديد ابتهاجه فى ذلك اليوم بقصيدته الشهيرة :

الملك فيكم آل اسماعيل	لازال بيتكمو يطل النيل
لطف القضاء فلم يمل لوليكم	ركن ولم يشف الحسود غليلا
هذى أصولكم وتلك فروعكم	جاء الصميم من الصميم بديلا
أنتم بنو المجد المؤثل والندى	لكمو السيادة صبية وكهولا
أحيا أبوكم شاطئيه وابتنى	مجدا لمصر على الزمان أثيلا
نشر الحضارة فوق مصر وسوريا	وامتد ظلا للحجاز ظليلا
وأعاد للعرب الكرام بيانهم	وحمى الى البيت الحرام سبيلا ^(٣)

وقد سبق اعلان الحماية البريطانية على مصر اعلان الأحكام
العرفية (٢ نوفمبر ١٩١٤) والرقابة على الصحف والاجتماعات العامة^(٤)
وخفت صوت الحركة الوطنية خلال الفترة (١٩١٤ — ١٩١٨) ، حتى
إذا وضعت الحرب أوزارها انفجرت الثورة الوطنية ضد الاحتلال
بقيادة سعد زغلول فى سنة ١٩١٩ •

ان ما حدث فى مصر بعد اعلان الحرب العالمية الأولى هو ما كان
يخشاه قادة الحركة الوطنية منذ بدأوا يقاومون الاحتلال فتحقق ما كانوا
يحذرون وانقطع حتى ذلك الخيط الرفيع الذى كان يربط مصر بدولة
الخلافة العثمانية لتنفرد بريطانيا بالسيادة على مصر من الناحية الواقعية
ومن هذا الموقع أخذت بريطانيا تباشر سياستها الجديدة نحو الحركة
الوطنية فى مصر والهلال الخصيب •

(٣) المصدر نفسه ص ٥٩

(٤) P.M. Holt (Editor) Political and Social Change
In Modern Egypt (MahmudZaid) op. cit., pp. 334 - 341.

وفى عامى ١٩١٥ و ١٩١٦ أفلحت بريطانيا بمساعى ممثليها فى مصر والسودان فى اكتساب ثقة الحركة العربية بقيادة شريف مكة الحسين بن على ، لكنها لم تكسب تلك الثقة بمعاهدات تلتزم بها بل بوعود يمكن انكارها أو تفسيرها بما يتفق ومصالحها ، وهذا ما لم يفتن اليه قادة الحركة العربية آنذاك لأنهم كانوا يثقون فى شرف بريطانيا من ناحية^(٥) وكانوا من ناحية أخرى يخوضون معركة ضارية وهم عزل ضد جمال باشا قائد الجيش الرابع التركى فى سوريا ، معركة سقط فيها عشرات الشهداء فى أنهر من الدماء وشردت فيها مئات الأسر رجالا ونساء وأطفالا^(٦) ومن ثم ساعدت سياسة جمال باشا وفتكه بقيادة الحركة العربية على دفع العرب دفعا الى الوقوع فى فخ الوعود التى كانت بريطانيا تنثرها ذات اليمين وذات الشمال بين عامى ١٩١٤ و ١٩١٨ ولعب عدد من الشخصيات البريطانية الشهيرة دورا هاما فى تطويق الحركة العربية فى الهلال الخصيب وقمعها فى مصر ، منهم لورد ككتشنر وريجنالد وينجت وآرثر هنرى ماكماهون ورونالد ستورز ود. ج. هوجارث وجلبرت كلايتون كمالعب آخرون من المسئولين البريطانيين فى الوقت ذاته دورهم على صعيد آخر لتحقيق أحلام الصهيونية فى احتلال فلسطين وهم آرثر بلفور ومارك سايكس وهربرت صمويل فى لندن ، يشد أزورهم لوى براندايس وفيلكس فرانكفورتز لدى البيت الأبيض الأمريكى فى واشنطن .

وقبل أن نطرق موضوع الوعود البريطانية لتسريف مكة يجدر بنا أن نلقى نظرة على مسرح الحوادث فى سوريا (الشام) حيث بدأ جمال باشا تنفيذ سياسة العنف الرامية الى القضاء على الحركة العربية الوليدة . وجمال باشا أحد الطغاة الثلاثة الذين حكموا الدولة العثمانية فى تلك الفترة بالحديد والنار ، أولهم أنور وثانيهم طلعت وثالثهم جمال .

(٥) عبر الشريف حسين عن ثقته فى شرف الانجليز مع استثناء لويد جورج فى لقائه مع جورج ألتونويس فى ربيع سنة ١٩٣١ ، انظر بقظة العرب ص ٢٧٥ .

(٦) أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٧٣

دخل أحمد جمال باشا دمشق في الخامس من شهر ديسمبر عام ١٩١٤^(٧) ليتسلم أعماله قائدا للجيش الرابع التركي وأخذ يقرب اليه قادة الحركة العربية الاصلاحية من أمثال عبد الكريم الخليل معتمد الشبيبة العربية في الآستانة والدكتور عبد الرحمن شهبندر الذي اتخذه جمال طبيبا خاصا ومحمد كرد علي وعبد الغنى العريسي * ويبدو أن سياسة التودد هذه كانت ذريعة للفتك بتلك الصفوة من قادة العرب الذين أخلصوا للدولة العثمانية ولم يتخلوا عنها في أحلك الساعات إذ لم يكن يخطر على ذهن أحد أن عبد الكريم الخليل الذي قدم من الآستانة الى سوريا غداة اعلان التعبئة العامة في أغسطس عام ١٩١٤ ليجمع الصف العربي على مؤازرة الدولة العثمانية^(٨) سيكون جزاؤه الاعدام بأمر جمال باشا في ٢١ أغسطس عام ١٩١٥ ولكن هذا ما حدث وكان اعتقال عبد الكريم الخليل في أواخر شهر يونيو عام ١٩١٥ ايذانا ببداية حملة الابادة التي شنها جمال باشا لتصفية الحركة العربية وكان حصادها اعدام الرعيل الأول في ٢١ أغسطس عام ١٩١٥ ومن بينهم عبد الكريم الخليل وصالح حيدر ومسلم عابدين ومحمد المحمصاني ومحمود المحمصاني وسليم عبد الهادي وغيرهم وفي ٦ مايو سنة ١٩١٦ فازت أرواح الفوج الثاني من قادة العرب على أعواد المشانق التي نصبها جمال باشا في بيروت ودمشق ومن هؤلاء - على سبيل المثال لا الحصر - عبد الحميد الزهراوى وشكرى العسلى وعبد الوهاب الانكليزي ورشدي الشمعة ورفيق رزق سلوم وعبد الغنى العريسي والشيخ أحمد طيارة ، وحكم بالاعدام غيايبا على السيد محمد رشيد رضا ورفيق العظم وفارس نمر وجميع زعماء حزب التلامركزية المقيمين في مصر^(٩) وقد روى الأستاذ أمين سعيد صورا من بطولة هؤلاء الشهداء وهم يستقبلون الموت على أيدي جلادى جمال باشا^(١٠) .

(٧) المصدر نفسه ص ٥٨

(٨) المصدر نفسه ص ٥٧ - ٥٨

(٩) المصدر نفسه ص ٦٠ - ٦٢ .

(١٠) المصدر نفسه ص ٨٦

وجاء فى البيان الذى أصدره جمال باشا دفاعا عن فعلته اتهام لعبد الكريم الخليل ورضا الصالح بأنهما كانا يدبران عصيانا فى سوريا وفلسطين واتهم الكثرة من الذين نفذ فيهم حكم الاعدام بالانتماء الى حزب اللامركزية الادارية العثمانى فى القاهرة بالاضافة الى عدد قليل لا يجاوز بضعة أفراد اتهموا بأنهم كانوا يعملون تحت حماية فرنسا وارشادها ولمصلحتها من أمثال نخلة مطران ويوسف الهانى وهذه فئة لا صلة لها بقيادة الحركة العربية الذين كانوا يؤيدون الدولة العثمانية خوفا من وقوع البلاد العربية فريسة للدول الأوروبية^(١١) ولكن جمال باشا وصفهم جميعا بالخيانة والعصيان دون تميز بين هؤلاء وأولئك وفى هذا يقول الأستاذ أمين سعيد :

« وثمة جريمة أخرى ارتكبها جمال باشا فقد وصم جميع الذين شنقهم ونفاهم أو حكم عليهم بالاعدام غيابيا بتهمة الخيانة للدولة والتآمر عليها ولئن صحت هذه التهمة بالنسبة لنخلة المطران ويوسف الهانى وبترو باولى وقد كانوا يمهدون لاستيلاء فرنسا على سورية فانها لا تصح بالنسبة للشهداء الآخرين الذين لم يقتربوا ذنبا ولم يرتكبوا خيانة يستحقون أن يحاكموا عليها فضلا عن اعدامهم لولا الرغبة فى التخلص منهم والقضاء على الحركة العربية فى أشخاصهم »^(١٢) .

ويلاحظ أن عددا لا يستهان به من قادة الحركة العربية الذين أعدمهم جمال باشا أو حكم عليهم غيابيا كانوا من حملة الأقلام كعبد الغنى العريسي صاحب جريدة «المفيد» البيروتية والشيخ أحمد طيارة صاحب جريدة «الاتحاد العثمانى» بيروت ، وشكرى العسلى صاحب جريدة «القبس» الدمشقية وعبد الحميد الزهراوى الحموى صاحب جريدة «الحضارة» فى الآستانة والسيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار» فى مصر والدكتور فارس نمر صاحب «المقطم» وداوود بركات محرر «الأهرام» .

(١١) انظر هامش (٥٩) من الفصل الثانى .

(١٢) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ٩٨

وقد روى جورج أنطونيوس أن الأمير فيصل بن الشريف حسين كان في دمشق عندما بلغته أنباء اعدام الرعيل الثاني من الشهداء وكان مقيما مع آل البكري في ضاحية قرب دمشق «فقفز واقفا وانتزع الكوفية من على رأسه وقذف بها على الأرض وداسها بعنف وصاح : طاب الموت يا عرب» (١٣) .

أما في الحجاز فقد كانت المؤامرات التي يدبرها وهيب باشا القائد التركي للاطاحة بالشريف حسين والقضاء على سلطانه عاملا آخر في تهيئة المناخ لانفجار الثورة .

في هذه الظروف التي سادها الألم والترقب والتوجس والحذر ، بدأت مراسلات «حسين — مكامهون» التي انتهت بانحياز الحركة العربية الى جانب الحلفاء وعلان الثورة على الأتراك .

ليس هذا مجال الحديث عن تلك المراسلات التي أثارت كثيرا من الخواطر والتعليق والنقد والتي ظلت موضع عناية الباحثين وقتا طويلا ولكن سنشير اليها هنا بالقدر الذي يساعد على ايضاح طبيعة الخداع الذي مارسه المسئولون البريطانيون في بناء علاقاتهم السياسية مع الأمة العربية بعد دخول تركيا الحرب العالمية الأولى .

ويجدر بنا أن نذكر هنا أن قادة الحركة العربية في دمشق كانوا على استعداد لاضرام الثورة في سوريا (١٤) وبعد وصول فيصل عقب زيارته الى الآستانة في عام ١٩١٥ واتصاله برجال الجمعيات العربية السرية في دمشق في سراي آل البكري تم تنسيق العمل بين قادة الحركة العربية في كل من الحجاز وسوريا وكان هؤلاء القادة حريصين كل الحرص ألا يعلنوا ثورتهم الا بعد الحصول على ضمانات كافية بتحقيق استقلال البلاد العربية وقد أعد قادة حزبي الفتاة والعهد بيانا بالشروط التي رأوها ضرورية لقيام الثورة العربية (١٥) ولكنهم لم يظفروا بشيء

(١٣) جورج أنطونيوس : المصدر نفسه ص ٢٨٥ .

(١٤) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ١٠٩ .

(١٥) George E. Kirk, A Short History of the Middle East, University Paperbacks, Methuen, 1963, pp. 125.

وكان ستورز وكلايتون على اتصال بعزيز على المصرى وغيره لاقناعهم بفكرة الثورة العربية دون أن يقدموا الضمانات المطلوبة .

وقد مهد لمراسلات « حسين — مكامهون » لورد كتشنر ، معتمد بريطانيا فى مصر قبيل الحرب ، فى اتصالات أجراها مع الأمير عبد الله ابن الحسين فى سنة ١٩١٣ كما قام الأمير عند قدومه القاهرة فى يوليو عام ١٩١٤ بالاجتماع بكتشنر وحضر الاجتماعين مستر ستورز وفى الاجتماع الثانى جرى حديث عن العلاقات العربية البريطانية أوضح فيه كتشنر أن سياسة بريطانيا نحو العرب تتحدد فى إطار العلاقات الودية التى تربط بريطانيا بالدولة العثمانية^(١٦)، ولكن عندما لاحت نذر الحرب ووقفت تركيا مع ألمانيا بعث كتشنر من لندن الى رونالد ستورز برقية فى ٣١ أكتوبر عام ١٩١٤ ذكر فيها أن ألمانيا أغرت تركيا بالوقوف الى جانبها وشرت تأييدها بدراهم معدودات ، رغم استعداد بريطانيا وفرنسا وروسيا لضمان سلامة الامبراطورية العثمانية ، اذا لزمته تركيا الحياد فى الحرب القادمة وأن بريطانيا تضمن للعرب عدم التدخل فى الجزيرة العربية وتقديم لهم كل عون ضد العدوان الأجنبى اذا ساعد العرب بريطانيا فى الحرب^(١٧) . وكانت هذه البرقية الثانية من كتشنر الى ستورز فقد سبقتها برقيته الأولى فى ٢٤ سبتمبر ١٩١٤ ، ومن ثم بعث ستورز رسولا اسمه على البزاز يحمل توجيهات كتشنر الى الشريف حسين ، الذى لم يعد بريطانيا شيئا ولم يقطع علاقاته بتركيا^(١٨) . وتسلم الرسالة الأمير عبد الله وكان نصها :

« الى الشريف عبد الله بك . .

بما أن الدولة العثمانية قد ضربت بصداقتها التقليدية مع بريطانيا العظمى عرض الحائط وانضمت الى صفوف أعداء بريطانيا الألمان فان بريطانيا ترى نفسها فى حل من تلك التقاليد التى كانت تربطها بتركيا من القديم فهل أنتم وسمو والدكم المعظم على رأيكم الأول فى

(١٦) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ١٢٦

Storrs, The Memoirs , p. 166.

(١٧)

Storrs, Op. cit., pp. 163, 165, 166.

(١٨)

(٨ — نكبة الأمة العربية)

إلقيام بما يؤول الى استقلال العرب استقلالاً تاماً ؟ فان كنتم وسموه على ذلك الرأى الى الآن فان بريطانيا العظمى على استعداد لامداد الحركة العربية بكل ما هى فى حاجة اليه» (١٩) .

بعد هذا الاتصال التمهيدى بفترة تقرب من ستة أشهر بدأت مراسلات « حسين — ماکماهون » عندما بعث الشريف حسين الى هنرى ماکماهون معتمد بريطانيا فى القاهرة رسالة مؤرخة فى ١٤ يوليو سنة ١٩١٥ . ومعها رسالة شخصية من الأمير عبد الله الى ستورز تطالب بتأييد بريطانيا لاستقلال العرب وتقترح حدوداً معينة للدولة العربية المستقلة ومن ناحية أخرى أذنت الحكومة البريطانية لحاكم عام السودان فى إبريل عام ١٩١٥ أن يعلن أن بريطانيا سوف تشترط فى معاهدة السلام بقاء الجزيرة العربية والأماكن الإسلامية المقدسة فى يد دولة مستقلة ذات سيادة (٢٠) .

لقد كانت الرسالة الأولى المؤرخة ٢٨ رمضان سنة ١٣٣٣ هـ (١٤ يوليو سنة ١٩١٥ م) من الشريف حسين الى هنرى ماکماهون واضحة فى تحديد الأهداف العربية وحرص العرب على الفوز بحريتهم المطلقة ومطالبة بريطانيا أن تعترف « باستقلال البلاد العربية من مرسين — أدنة حتى الخليج الفارسى شمالاً ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً ومن المحيط الهندى للجزيرة جنوباً — يستثنى من ذلك عدن التى تبقى كما هى — ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى سيناء غرباً على أن توافق إنجلترا أيضاً على اعلان خليفة عربى على المسلمين » (٢١) .

ورداً على هذه الرسالة استهل ماکماهون رسالته الى الشريف

(١٩) مذكرات الملك عبد الله ، الطبعة الثانية ، عمان ، الأردن ،

١٩٤٧ ص ١٣٨

Storrs, op. cit., p. 166.

(٢٠).

(٢١) جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين القاهرة ، ١٩٥٧ — المجموعة الأولى (١٩١٥ — ١٩٤٦) وثيقة رقم (١) من الشريف حسين الى السير هنرى ماکماهون ص ٧ — ٨

حسين المؤرخة ١٩ شوال ١٣٣٣ هـ (٣٠ أغسطس ١٩١٥ م)
بهذه المقدمة :

« الى السيد الحسين النسيب سلالة الأشراف وتاج الفخار وفرع
الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الأحمدية صاحب المقام الرفيع
والمكانة السامية السيد ابن السيد والشريف ابن الشريف السيد الجليل
والمبجل دولتو الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة قبلة العالمين
ومحط رحال المؤمنين الطائعين عمت بركته الناس أجمعين » ثم خلاص
الى لب الموضوع فأوضح لشريف مكة أن بريطانيا ترحب باسترداد
الخلافة الى يد عربى صميم « من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة »
ولكنه اعترض من أول وهلة على الحدود التى اقترحها الشريف حسين
فى رسالته المؤرخة ١٤ يوليو سنة ١٩١٥ للدولة العربية المستقلة (٢٢)
وكانت تلك الحدود طبقا لما جاء من الهيئة المركزية لحزب العربية
الفتاة (٢٣) فى سوريا . وقد كان ماكماهون حذرا فى تقديم اعتراضه
لأنه اكتفى فى تلك المرحلة بتوجيه نظر الشريف حسين الى أن مسألة
الحدود سابقة لأوانها « وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم
فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لأوانها وتصرف الأوقات سدى فى
مثل هذه التفاصيل فى حالة أن الحرب دائرة رحاها ولأن الأتراك
أيضا لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالا فعليا » (٢٤) .
لم يقبل الشريف حسين تحفظ ماكماهون حول مسألة الحدود ، بل
أكد له فى رسالته الثانية (٢٩ شوال ١٣٣٣ هـ - ٩ سبتمبر ١٩١٥ م) أن
الحدود المقترحة هى مطالب شعب أجمع على أن حياته فى تلك الحدود (٢٥)
لكن ماكماهون أصر على تحفظات حكومته وذكر للشريف حسين أن مرسين
واسكندرونة وبعض الأقسام السورية الواقعة غربى دمشق وحمص
وحماة وحلب لا يمكن أن يقال عنها انها عربية محضة وأنه يجب أن
تستثنى من الحدود المقترحة وأن بريطانيا مستعدة - على أساس هذه

(٢٢) المصدر نفسه ، الوثيقة الثانية ص ٩

(٢٣) مذكرات الملك عبد الله ص ١٣٩

(٢٤) جامعة الدول العربية : المصدر نفسه ص ٩

(٢٥) أمين سعيد : المصدر نفسه ص ١٣٣ - ١٢٤

التعديلات — أن تعترف باستقلال العرب وتقدم لهم المساعدة في حدود اقتراحات شريف مكة^(٢٦) وعلى أن يكون ذلك في الأراضي التي تستطيع انجلترا العمل فيها بحرية دون أن توقع ضررا بحليفتها فرنسا !! اننا نلمح في تحفظات ماكماهون ما ينبئ عن أمر خطير تضرره بريطانيا ولا تود أن تبوح به في ذلك الوقت وقد وضح فيما بعد أن هذا الأمر هو تقسيم الأراضي العربية بين بريطانيا وحليفتها فرنسا وفقا لاتفاق «سايكس — بيكو» ووعد بلفور باتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود فكان — كما وصف بحق — وعدا من لا يملك لمن لا يستحق ، ولكن هذه الحقائق المذهلة ظلت حتى سنة ١٩١٧ سرا دفينا عن شريف مكة الذي قبل أخيرا تعديلات ماكماهون واعترف بأنه تساهل في قبولها لتجنب كل ما من شأنه أن يسيء الى تحالف انجلترا وفرنسا والاتفاق المعقود بينهما^(٢٧) . وفي آخر رسالة من ماكماهون الى الشريف حسين ، مؤرخة في ١٠ مارس سنة ١٩١٦ أبلغ المندوب السامي البريطاني شريف مكة «أن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم»^(٢٨) (على أساس التعديل) وفي ١٠ يونيو سنة ١٩١٦ أعلن الشريف حسين الثورة على الدولة العثمانية وأطلق بنفسه الرصاصة الأولى على قلعة الأتراك في مكة ايدانا باعلان الثورة^(٢٩) .

لم يكن الخلاف بين العرب وبريطانيا على حدود الدولة العربية المستقلة يدور حول مسألة شكلية وما كان خلافا على التفاصيل كما زعم ماكماهون في إحدى رسائله ولكنه اختلف في المبدأ والأهداف : العرب يتحدثون عن حرية مطلقة ودولة عربية شاملة تستظل بخلافة عربية ، وبريطانيا تظهر عظما على العرب وتخفي نواياها فيما تعترجم القيام به

(٢٦) من ماكماهون الى الشريف : القاهرة ٢٤ أكتوبر ١٩١٥ م / ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٣٣ هـ ، أمين سعيد : المصدر نفسه ص ١٣٦ .

(٢٧) من الشريف الى ماكماهون : مكة : ٢٥ صفر ١٣٣٤ هـ / أول يناير ١٩١٦ ، أمين سعيد : المصدر نفسه ص ١٤١ — ١٤٢

(٢٨) من ماكماهون الى الشريف ، ١٠ مارس ١٩١٦ ، أمين سعيد : المصدر نفسه ص ١٤٣

(٢٩) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ص ٢٢٩

رعاية لمصالحها في الشرق الأوسط والهند وحرصا على مصلحة حليفتها فرنسا ، وعندما تتحدث عن عونها للعرب فان حديثها يتسم بالعموض .

كان العرب يتطلعون الى التحرر واحياء الخلافة في دارهم بينما كانت بريطانيا تخطط لاحتواء الحركة العربية الوليدة وتحديد مسارها . كانت مهمة ماكماهون في مصر غداة اندلاع الحرب العالمية الأولى العمل على عزل العرب عن تركيا^(٣٠) التي استنفرت العالم الاسلامي للجهاد ضد الحلفاء ووضعت بريطانيا في قفص الاتهام بأنها تعادي المسلمين وتحتل ديارهم . ومن السخرية أن تكون الحكومة التي حرّضت العالم الاسلامي على الجهاد هي حكومة الأتراك الاتحاديين ، حكومة أنور باشا ، ولكن لم يكن في وسع بريطانيا أن تتجاهل هذه الدعوة الخطيرة ، لأن مركزها في مصر والهند كان مبعثا للحرص . انها تخشى غصبة ستين مليوناً من المسلمين في الهند^(٣١) وتحذر عطف دعاة الوحدة الاسلامية في مصر وتأييدهم لدولة الخلافة العثمانية ، وفي رأي ستورز أن مخاوف بريطانيا من الوحدة الاسلامية كان لها أساس من الحقيقة حتى اندلاع الحرب^(٣٢) . هذا وكانت المقترحات لتشجيع الشريف حسين على الانفصال عن الدولة العثمانية تغمر وزارة الخارجية البريطانية عن طريق اللورد كرومر من ريجنالد وينجت في الخرطوم^(٣٣) وكلايتون في القاهرة وكان وزير خارجية بريطانيا لورد كيززون في ربيع سنة ١٩١٥ يبدى ارتياحه في جدوى تلك المقترحات ولكن ممثلي الحكومة البريطانية كانوا يعدون أنفسهم لمواجهة شعور عدائي واسع النطاق في العالم الاسلامي نتيجة اعلان الجهاد من جانب تركيا وما قد ينجم عن ذلك من

(٣٠) Elie Kedourie, *The Chatham House Version and other Middle Eastern Studies*, London, 1970, p. 14.

Storrs, op. cit. p. 92. (٣١)

Storrs op. cit. p. 92. (٣٢)

Kedourie, op. cit. p. 14, Quoting Wingate Papers, (٣٣)
File 141/4 .

نتائج فى مجال الأمن الداخلى والعمليات الحربية^(٣٤) ومن ثم كانوا يسعون الى احداث انقسام فى الصف الاسلامى ، وتشجيع شريف مكة على الثورة ضد دولة الخلافة كان خطوة هامة فى تحقيق ذلك الانقسام وكان كلايتون ووينجت يؤكدان للدوائر البريطانية المعارضة فى لندن والهند أن الحسين بن على يتمتع بنصيب وافر من مقومات الخلافة وأنه أصلح من يقوم بهذه المهمة ، بل كان وينجت يرى أن مشروع الوحدة العربية فى ذلك الوقت يصلح ترياقا مضادا لدعوة الوحدة الاسلامية التى كانت تقودها الامبراطورية العثمانية^(٣٥) وأن الحركة العربية من شأنها أن تحفظ توازن القوى فى قلب العالم الاسلامى وكان وينجت يتصور أنه فى الامكان اقامة اتحاد للدول العربية شبه المستقلة تحت رقابة أوروبية وحماية بريطانية .

وكان المسئولون البريطانيون فى الهند يخشون عاقبة احياء الخلافة فى العالم العربى أو تكوين اتحاد عربى ، ولكن وينجت يؤيد مكلایتون - كان يرد على أولئك المتشككين بأنه لا ضرر من قبول مقترحات الشريف حسين ، فاذا وئدت الدولة العربية فى مهدها فان كافة الوعود البريطانية تسقط تلقائيا ، واذا تحققت الفكرة فان لديهم من الضمانات الكافية ما يجعلهم قادرين على كبح جماح الدولة الجديدة وتفتيتها حتى لا تتحول الى مصدر للخطر الذى تخشاه حكومة الهند^(٣٦) .

ومن الوجهة الاستراتيجية ، كان ممثلو بريطانيا فى الشرق الأوسط (القاهرة) يدركون أن الثغرة التى يستطيع الأتراك أن ينفذوا منها لتهديد مصر - وقطع شريان مواصلات الامبراطورية البريطانية - هى صحراء سيناء، لأن حدود مصر الشمالية من ناحية البحر المتوسط كانت آمنة لتفوق بريطانيا فى السيطرة على البحار ، وكانوا يدركون أيضا أن الوسيلة الوحيدة للعبور تجاه مصر من الحدود الشرقية هى سفينة

Kedourie, op. cit. p. 16.

(٣٤)

Kedourie, op. cit. p. 17, Quoting Wingate Papers, (٣٥)

File 139/6 .

Kedourie, op. cit. pp. 18 , 19.

(٣٦)

الصحراء (الجمال) ، وأن عرب الحجاز هم أقدر الناس على تعبئة قوافل الصحراء وأساطيلها^(٣٧) ، ومن هنا كان اهتمامهم بحياد الجزيرة العربية في الحرب ، إذا تعذر ادخالها في تحالف مع بريطانيا ضد تركيا .

ويبدو أن الدوائر السياسية في لندن اقتنعت بوجهة نظر ممثلها في القاهرة لتأييد الحركة العربية باعتبارها حركة قومية لا اسلامية على أساس أن الحركة القومية أقل خطرا من الحركة الاسلامية^(٣٨) . ومع أن تأييد بريطانيا للحركة العربية كان محدودا فانها تدافع عن موقفها ازاء الشريف حسين وتبريء نفسها من تهمة الخنث بعهودها ، وفي هذا الصدد يؤكد وينجت أنه لم يكن مؤمنا بقيام مملكة عربية موحدة بقيادة الشريف حسين وأن أية فكرة من هذا النوع كانت بعيدة كل البعد عن تفكيره ، ويقول انه حتى اذا تمت الموافقة على كافة الادعاءات الفرنسية في سوريا فانه لا يمكن اتهام بريطانيا بأنها نقضت عهدها مع الشريف حسين بدرجة خطيرة^(٣٩) ، ويقول كلايتون انهم كانوا حريصين ألا يلزموا أنفسهم بشيء فيما يتعلق بمطالب الشريف حسين . ويدلى د.ج. هوجارت مدير المكتب العربي التابع للجيش البريطاني في القاهرة بعد ذلك بفترة ، أنه لم يكن هناك سوى عدد قليل يعتقد أن الشريف كان المتحدث باسم أمه عربية متحدة توشك أن تنهض من أنقاض الحرب وأنه لم يكن لديهم اعتقاد بأن هذه الدولة ستقوم سواء أكانت برئاسة الشريف أم بزعامة غيره ومن ثم فانهم لم يتقدموا بأية ضمانات واضحة ولا بوعدهم للشريف أو لعربي غيره وأن الوعدة الوحيدة التي قطعوه هو تحرير جزيرة العرب من الأتراك^(٤٠) .

أما ستورز فانه يعلن «أن الشريف حسين وأهل الحجاز كان يكفيهم خروج الأتراك من بلادهم وحصولهم على ضمانات ضد العدوان الخارجي على أماكنهم المقدسة (مكة والمدينة) مع استقلال موطنهم الأصلي

Storrs, op. cit. p. 162.

(٣٧)

Kedourie, op. cit. p. 20.

(٣٨)

Kedourie, op. cit., p. 22.

(٣٩)

Kedourie, op. cit. p. 22.

(٤٠)

وهو الحجاز فاذا شاءوا أن يسموا هذه الرقعة وهذه الدولة «خلافة» فهذا شأنهم وحدهم ، ولكن الشريف كان على صلة — عن طريق ابنه فيصل — بالثوار في سوريا وكان يتطلع الى رئاسة مملكة عربية شاملة وهو يعلم أنه لا حق له في هذا^(٤١) .

من هذا المنطق كانت بريطانيا لا ترى في مراسلات «حسين — ماکماهون» ما يحول بينها وبين اتفاق مع فرنسا على تقسيم الشرق العربي بينهما الى مناطق للنفوذ المباشر ومناطق للتسلط السياسى والاقتصادى ، بل لم تكن ترى ما يمنعها من النظر في أمر اقتطاع فلسطين من الوطن العربى لتصبح في المستقبل القريب وطنا قوميا لليهود ، ولكنها لم تجرؤ على اعلان موقفها هذا لقادة الأمة العربية آنذاك بل وجدت في تلوى العرب بوعود ماکماهون شاغلا لهم طوال فترة الحرب ، ومن ثم بدأت خلال شهرى ابريل ومايو سنة ١٩١٦ المحادثات السرية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا وكانت نقيجتها اتفاق «سايكس — بيكو»^(٤٢) الذى قام على مبدأ تصفية الامبراطورية العثمانية وقسمت بمقتضاد الأقطار العربية في الهلال الخصيب بين بريطانيا وفرنسا فكان نصيب فرنسا منطقة رمز اليها باللون الأزرق شملت الشريط الساحلى لسوريا بما في ذلك لبنان حيث خولت فرنسا سلطة انشاء ادارة مباشرة أو غير مباشرة ومنحت منطقة نفوذ داخل سوريا (حرف أ) شملت دمشق وحمص وحماة وحلب . أما بريطانيا فكان نصيبها منطقة ما بين النهرين في العراق وحيفا وعكا على البحر المتوسط وهى ما رمز اليها باللون الأحمر ، ولبريطانيا أن تقيم فيها ادارة مباشرة أو غير مباشرة بالاضافة الى منطقة نفوذ (حرف ب) داخل العراق .

Storrs, op. cit., p. 167.

(٤١).

(٤٢) انظر النص الكامل للاتفاق في :

E. L. Woodward and R. Butler

Documents on British Foreign Policy, First Series, 1919 —
1939, H. M. S.O., London, 1952 Volume 4, pp. 246 - 251.

وانظر أيضا : جامعة الدول العربية الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين
وثيقة رقم (٢٣) ص ٨٤ — ٨٦ .

ومما نص عليه الاتفاق تأسيس دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تخضع لرئيس عربي في منطقتي (أ) على أن يكون لفرنسا نفوذ مماثل في منطقة (ب) وإنشاء دولة في المنطقة ذات اللون الأسمر (فلسطين) يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبقية الحلفاء وشريف مكة .

وصف أنتوني ناتنج^(٤٣) اتفاق « سايكس - بيكو » بأنه كان وثيقة مخجلة « لأن بريطانيا ما كادت تنهي محادثاتها مع شريف مكة حتى شرعت في محادثات سرية مع فرنسا تستهدف تحقيق مطامع الدولتين في الهلال الخصيب باقتسام سوريا والعراق ، ولما تمضى ستة أسابيع على آخر رسالة من ممثل بريطانيا في مصر هنري ماكماهون إلى الشريف حسين» ويستطرد ناتنج قائلا « أن بريطانيا أخفت أنباء الاتفاق عن الشريف حسين مع أن سايكس وبيكو زاراه في جدة بعد سنة من تاريخ توقيع الاتفاق^(٤٤) وبعد أن كشف البلاشفة في روسيا أمر الاتفاق (الذي أذاعه جمال باشا في بيروت في ديسمبر ١٩١٧) واستوضح شريف مكة بريطانيا حقيقة الأمر ، أصدر آرثر بلفور وزير الخارجية البريطاني توجيهاته إلى وينجت في القاهرة أن ينقل إلى الشريف حسين أن الأتراك هم الذين شوهوا الغرض الحقيقي للاتفاق وأغفلوا النصوص الخاصة باستطلاع رأى الشعوب التي يعينها الأمر ورعاية مصالحها » ويعلق ناتنج على هذا التعبير بأنه كان محض اختلاق « وأن بلفور كذب على الشريف حسين الذي أحسن الظن بوزير خارجية بريطانيا وصدقته فيما قال دون أن يطلب الاطلاع على نصوص الاتفاق ولو أنه فعل ذلك لتبين له أن الاتفاق لم ترد فيه كلمة واحدة عن موافقة الشعوب التي يعينها الأمر أو استطلاع رأيها^(٤٥) .

(٤٣) Anthony Nutting أحد رجال السياسة البريطانية ومن المهتمين بالدراسات والشئون العربية . كان وزير دولة للشئون الخارجية في حكومة أنتوني آيدن سنة ١٩٥٦ وقد استقال منها على أثر غزو بريطانيا لمنطقة قناة السويس بالتضامن مع فرنسا وإسرائيل في أوائل نوفمبر ١٩٥٦ ، بعد تأميم الشركة العالمية لقناة السويس في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦

(٤٤) Anthony Nutting, The Arabs , A Mentor Book, New York 1964 , p. 290.

Nutting , op. cit, p. 291 .

وكان من المسائل التي ذكرها وينجت دشاغا عن موقف بريطانيا وحفاظا على ماء وجهها أن الوثائق التي نشرت لم تكن اتفاقا مبرما ، ثم ذكر أن الوضع السياسي تغير تغيرا تاما بعد انفجار الثورة العربية والنجاح الذي حققته وبعد انسحاب روسيا من الحرب ، وقد فسر بيان وينجت بأن بريطانيا أصبحت على استعداد لعدم اتخاذ اتفاق « سايكس - بيكو » أساسا للتسوية الإقليمية بعد نهاية الحرب^(٤٦) غير أن الدكتور محمد أنيس لا يرى خلافا أساسيا بين اتفاق بريطانيا مع حلفائها « سايكس - بيكو » وبين اتفاق « حسين - مكاوهون » وهو لا يوافق بعض المؤرخين الذين يتهمون السياسة البريطانية بأنها كانت تخدع العرب من البداية بأن تعقد مع الشريف حسين اتفاقا تعلم مقدما أنها لن تنفذه بسبب اتفاقها مع حلفائها فيقول « والذي يجب أن نؤكد هنا أن السياسة البريطانية كانت ترحب بالفعل بخلق دولة عربية كبرى في المنطقة شريطة أن تخضع للنفوذ البريطاني وهو أمر ارتضاه زعماء العرب في ذلك الوقت »^(٤٧) وقد يكون وصف الدكتور أنيس صحيحا لسياسة بريطانيا فيما يتعلق بالدولة العربية وفقا لما جاء في رسائل مكاوهون ، ولكن تأكيده أن زعماء العرب وافقوا منذ البداية على تلك السياسة لا يخلو من افراط في التعميم وتجاهل لبعض الحقائق كما أنه ينطوي على نوع من الظلم لقادة الأمة العربية في ذلك الوقت ، اننا لا نجد في رسائل الشريف حسين الى مكاوهون ما يؤيد رأى الدكتور أنيس في هذا الصدد وليس هناك قط ما يثبت أن زعماء العرب وافقوا من البداية على خلق دولة عربية خاضعة للنفوذ البريطاني دع عنك خضوعها للاحتلال الفرنسي واقتطاع فلسطين من الوطن العربي بل ان التصريحات التي أدلى بها ممثلو بريطانيا في الشرق الأوسط والذين أغروا الشريف حسين بالثورة - وينجت وكلايتون وستورز - لتدل دلالة واضحة على أنهم رفعوا شعار الدولة العربية المستقلة وهم لا يؤمنون بها في قرارة أنفسهم ولا يجدون الشجاعة الكافية للجهر بما يضمرون أمام قادة

(٤٦) P. M. Holt, Egypt and the Fertile Crescent, Longmans, London, 1966, p. 275.

(٤٧) محمد أنيس ، المصدر نفسه ص ٢٧٥

الأمة العربية ، بينما كانوا فى الوقت ذاته يؤكدون لرؤسائهم فى لندن أن لديهم من الضمانات ما يجعلهم قادرين على كسر شوكة هذه الدولة اذا اتضح أنها تمثل خطرا حقيقيا على مصلحة بلادهم . أما اذعان العرب وارغامهم من جانب بريطانيا وحلفائها بعد نهاية الحرب على قبول التسوية التى أخضعت بلادهم للنفوذ البريطانى الفرنسى الاسرائيلى، فان ذلك تم عن طريق القوة والاكراه والتهديد لا عن رضا واختيار من جانب زعماء العرب .

لقد كان اتفاق «سايكس — بيكو» بمثابة انذار للأمة العربية ألا تسرف فى الآمال المعقودة على الوعود البريطانية كما وردت فى رسائل ماكماهون ولكن قادة العرب لم يفقدوا بعد ثقتهم فى بريطانيا وظلوا يأملون أن تعيد النظر فى سياستها وتحترم كلمتها ، ولكن بريطانيا رأت أن تشغل العرب بمزيد من الوعود^(٤٨) خلال عام ١٩١٨ بعد أن سددت اليهم ضربة أخرى باصدار وعد بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وهو كتاب موجه من آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا نيابة عن حكومته ، الى لورد روتشيلد^(٤٩) وقد جاء فيه :

« عزيزى لورد روتشيلد .»

يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على آماني اليهود الصهيونية وقد عرض على الوزارة وأقرته :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى

(٤٨) انظر : جامعة الدول العربية ، الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ص ٧٧ — ٨٣ ووثائق رقم ١٧ ملحق « و » ، ٢٠ ملحق « ز » — ٢٢ ملحق « ط » وملحق « د » .

فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يستمتع به اليهود فى البلدان الأخرى » •

كان اصدار وعد بلفور تتويجا لجهود قادة الحركة الصهيونية فى لندن ومانشستر^(٥٠) بقيادة حاييم وايزمان وقد رأينا أن التمهيد لوعد بلفور بدأ من شهر نوفمبر سنة ١٩١٤ فى رسالة «C.P. Scott» الى لويد جورج التى ربطت بين مصلحة الصهيونية والمصالح البريطانية ممثلة فى حمايه قناة السويس ولكن النشاط الحقيقى لقادة الصهيونية فى سبيل الحصول على وعد رسمى بدأ منذ مطلع عام ١٩١٦ عندما كونت أول لجنة رسمية فى يناير ذلك العام من وايزمان وسوكولوف وجوزيف كوين ودكتور جاستر، وهربرت بنتوتش بالتعاون الوثيق مع أسرة روتشيلد وهربرت صمويل وأحد هاعام^(٥١) وتلا ذلك نشاط صهيونى على كافة المستويات امتد الى بداية سنة ١٩١٧ وكان من نتائجه مذكرة اللجنة الصهيونية التى قدمها وايزمان الى السير مارك سايكس للحصول على اعتراف رسمى من الحكومة البريطانية بالجمالية اليهودية فى فلسطين مع ايضاح أن المقصود بالجمالية السكان اليهود المقيمين فى ذلك الوقت والمهاجرين الذين يلحقون بهم فى المستقبل ثم توالى الاتصالات مع المسئولين البريطانيين وحكومات أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية لاصدار وعد بلفور على النحو الذى سيرد تفصيله فى الحديث عن الصهيونية وهكذا وجدت الأمة العربية نفسها بين شقى الرجبى فى عام ١٩١٩ ، بين زحف فرنسى مسلح يوشك أن يبدأ لاحتلال سوريا تنفيذا لاتفاق «سايكس - بيكو» وزحف صهيونى محسوب الخطى لاحتلال فلسطين فى المدى البعيد ، تنفيذا لوعد بلفور • أما شعب فلسطين فقد أطلق عليه اسم «الطوائف غير اليهودية» التى لن تضار حقوقها المدنية والدينية وهذا يعنى أنه لا مجال للحديث عن الحقوق السياسية للشعب العربى فى

(٥٠) انظر : أسعد رزوق ، اسرائيل الكبرى ، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث بيروت ١٩٦٨ ص ٢٢٢ - ٢٣١

(٥١) Chaim Weizmann, Trial and Error, Hamish Hamilton, London 1950, p. 233.

فلسطين وهو صاحب الكثرة العددية الساحقة آنذاك وصاحب الأرض التي يراد انتزاعها لتنتقل ملكيتها الى القلة الوافدة من اليهود^(٥٢) !!

وبعد أن لاحت تبائير السلام باعلان الهدنة مع ألمانيا (نوفمبر ١٩١٨) تعلق آمال الأمة العربية بمؤتمر الصلح الذي عقد جلسته الأولى في باريس في ١٨ يناير سنة ١٩١٩ واستقبل العالم في تفاؤل وثقة ببيان الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون الذي أعلن فيه شروطه الأربعة عشر في ٨ يناير سنة ١٩١٩ لاقرار السلام العالمي^(٥٣) ، على أساس من الاحترام لحرية الشعوب ونبذ الدبلوماسية التي تعمل في الظلام (المعاهدات السرية) ، وكانت الأمة العربية أكثر تفاؤلا لأن جيشها المظفر شارك الحلفاء في اجلاء ما تبقى في الجزيرة العربية من فصائل الجيش التركي المنحدر وزحف الأمير فيصل على رأس جيش التحرير صوب سوريا فدخل دمشق^(٥٤) في مطلع أكتوبر سنة ١٩١٨ فاستقبله الشعب والأعيان والعلماء استقبالا حارا ثم أعلن تشكيل الحكومة السورية في ٥ أكتوبر سنة ١٩١٨ « حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالاً مطلقاً لا شائبة فيه باسم مولانا السلطان حسين شاملة جميع البلاد السورية »^(٥٥) وتوجهت القوات العربية لتحرير الأجزاء الأخرى في سوريا الشمالية فدخل الجيش العربي حلب بقيادة نوري السعيد في ٢٥ أكتوبر ١٩١٨ وبعد وصول فيصل مدينة حلب في ٦ نوفمبر

(٥٢) أجرت حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين تعدادا للسكان في أكتوبر سنة ١٩٢٢ وقسمت السكان الى طوائف دينية فكان عدد اليهود وفقا للتعداد ٨٣٧٩٠٠ وعدد أفراد الطوائف غير اليهودية ٦٦٨٢٥٨ منهم ٥٨٩١٧٧ مسلمون و ٧١٤٦٤ مسيحيون و ٧٦١٧ ينمون الى طوائف أخرى وجملة عدد السكان ٧٥٢٠٤٨ انظر : - Palestine Royal Commiss ion Memoranda Prepared by the Government of Palestine, H. M. S. O. London, 1937, p. 2.

(٥٣) David Thomson, Europe Since Napoleon Sec. Ed. (٥٣) Longmans, 1963, pp. 575 - 593.

(٥٤) راجع قصة دخول دمشق في :

E. Kedourie, op. cit. pp. 33 - 47.

(٥٥) البلاغ الرسمي بتوقيع الشريف فيصل في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٦ هـ الموافق ٥ أكتوبر سنة ١٩١٨ ، أمين سعيد : المصدر نفسه ج ٢ ص ٢ - ٣

١٩١٨ صدر التصريح «البريطاني - الفرنسي» وأشاد فيصلى بهذا التصريح
فى خطاب وجهه الى أهل سوريا ، وكان مما ورد فى ذلك التصريح :

« ان الغرض الذى ترمى اليه فرنسا وبريطانيا العظمى من نهجهما
فى الشرق فى الحرب التى أثارتهما أطماع ألمانيا هو التحرير التام
النهائى للشعوب التى طال اضطهاد الترك لها واقامة حكومات وادارات
قومية تستمد سلطتها من الاختيار الحر والارادة المستقلة للأهالى
الوطنيين » (٥٦) ♦

وأخطرت الحكومة العربية فى دمشق جميع المدن السورية أنها
تسلمت مقاليد السلطة فى البلاد وتم تعيين شكرى باشا الأيوبي حاكما
عاما على بيروت ولبنان ولكن شبح اتفاق «سايكس - بيكو» أخذ يلوح
فى الأفق عندما أنشأ المارشال اللبى قائد القوات البريطانية
(الحملة المصرية) فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩١٨ ثلاث مناطق ادارية فى
سوريا فسميت فلسطين غربى نهر الأردن أرض العدو المحتلة الجنوبية
Occupied Enemy Territory (South) وأطلق على لبنان والشريط
الساحلى شمال فلسطين اسم أرض العدو المحتلة الغربية «O.E.T. West»
وما تبقى من المناطق الداخلية لسوريا وشرق الأردن سميت أرض العدو
المحتلة الشرقية (٥٧) «O. E. T. East» ♦

أثار تحرك الجيش العربى فى الأجزاء الشمالية الساحلية من
سوريا قلق فرنسا التى أخذت تطالب بنصيبها من الأسلاب فى الهلال
الخصيب استنادا الى اتفاق «سايكس - بيكو» ، فطالبت باحتلال دمشق
واحتجت على تعيين شكرى الأيوبي حاكما على بيروت بل غزت القوات
الفرنسية بيروت فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ وأنزلت العلم العربى ثم
واصلت زحفها فاحتلت اللاذقية واسكندرونة وأنطاكية (٥٨) ♦

(٥٦) جامعة الدول العربية ، المصدر نفسه وثيقة رقم ٢٢ ملحق
« ط » ص ٨٣

Holt, op. cit. p. 280. (٥٧)

(٥٨) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ١٣

كانت هذه التطورات مقدمات لما ينتظر الأمة العربية من مواجهات خطيرة في الجبهة السورية ، وفي الوقت ذاته اكتمل الاعداد لمؤتمر الصلح في باريس واجتمع لويد جورج وكليمنصو في لندن في الأيام الأولى من شهر ديسمبر سنة ١٩١٨^(٥٩) لتنسيق سياستهما في مؤتمر الصلح وكانت نتيجة اللقاء اتفاق الدولتين — بريطانيا وفرنسا — على تعديل اتفاق «سايكس — بيكو» لمصلحتهما ومصلحة الصهيونية فتم التخلي عن فكرة تدويل فلسطين واعترفت بريطانيا بتأييد المطامع الفرنسية (أو ما سمته بالحقوق الفرنسية)^(٦٠) في سوريا وكيليكييا وذلك في مقابل اعتراف فرنسا بسلطة بريطانيا على الموصل في العراق وعلى فلسطين وهذا الاتفاق يعنى أن الطريق أصبح ممهدا لتقرير مصير الأقاليم العربية في الهلال الخصيب في مؤتمر الصلح وفقا لنظام الانتداب الذى ابتدع في أعقاب الحرب بموجب المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم (والميثاق جزء من معاهدة فرساي) * ويعتبر الانتداب تجربة جديدة في تحديد علاقات الدول الحاكمة بالشعوب المحكومة وهو في جوهره محاولة للتوفيق بين مطامع الدول المنتصرة وآمال الشعوب المغلوبة على أمرها التى وعدتها الحلفاء حق تقرير المصير عندما كانت رحي الحرب دائرة * أما بالنظر للأقاليم العربية التى فرض عليها هذا النظام (سوريا — العراق — فلسطين) فهو لا يعدو أن يكون تقينا للاحتلال البريطانى والفرنسى وتمهيدا لاقامة الوطن اليهودى في فلسطين * وإطلاق يد بريطانيا في فلسطين بموافقة فرنسا كان يعنى أن الصعاب أمام انشاء الوطن القومى لليهود — على الصعيد الأوروبى — قد ذلت تماما ، ومع أن الرئيس الأمريكى ويلسون لم يكن يعطف كثيرا على مساعى بريطانيا وفرنسا لتأمين مصالحهما في الهلال الخصيب فإنه كان ملتزما بتحقيق مطامع الصهيونية في فلسطين

Holt op. cit. p. 280 - 281.

(٥٩)

Holt op. cit. p. 281.

(٦٠)

بحكم صلته الوثيقة ببراندائيس وفرانكفورت^(٦١) . لقد تعلق آمال العرب بمؤتمر الصلح وكان يضم ممثلين لستة وثلاثين دولة ، ولكن المؤتمر لم يكن يملك من الأمر شيئاً لأن القرارات الحقيقية كانت تصدر من الثلاثة الكبار^(٦٢) ، ودرو ويلسون ولويد جورج وكليمنصو ، وهذا ما يفسر لنا موقف المؤتمر من القضية العربية في مصر والهلل الخصب وهو موقف أقل ما يوصف به أنه لم يراع مقتضيات العدل والانصاف . توجه الأمير فيصل الى باريس لاقتناع المؤتمر بعدالة القضية العربية فوصل مرسيليا في ٢٦ نوفمبر عام ١٩١٨ ليواجه اعتراض فرنسا التي أعلنت أنها لا تعترف به حتى بصفته ممثلاً لوالده الشريف حسين ، ملك الحجاز ، فكان ذلك ارهاصاً لمواجهة ديبلوماسية تنتظر العرب على الساحة الأوروبية ، ولم يجد فيصل بدا من الذهاب الى لندن والعودة الى باريس في ٦ يناير سنة ١٩١٩ بعد أن خفت فرنسا من غلوائها استجابة لضغط الحكومة البريطانية وسمح له بحضور المؤتمر فقدم مذكرة في ٢٩ يناير ١٩١٩ طالب فيها بالاستقلال الكامل للعرب ووحدهم في الأقاليم السورية والاعتراف لهم بحق تقرير المصير استناداً الى التصريح البريطاني — الفرنسي (٧ نوفمبر ١٩١٨) وعزز هذه المطالب بخطبة أكثر تفصيلاً ألقاها في ٦ فبراير سنة ١٩١٩ . ثم تبادل أقطاب المؤتمر وجهات النظر وأيد الرئيس ويلسون اقتراحاً يقضى بإيفاد لجنة دولية الى الهلال الخصب لتدريس الأوضاع عن كثب وتقف بنفسها على رغبات سكان المنطقة ولكن مهمتهما الأساسية كانت التقدم بتوصيات تساعد على تحديد الدولة التي يتعين أن يسند اليها أمر الانتخاب على فلسطين^(٦٣) .

(٦١) فيلكس فرانكفورت (١٨٨٢ — ١٩٦٥) . أحد أقطاب الصهيونية ومن أشهر أساتذة القانون في جامعة هارفارد . كان مستشاراً للرئيس ويلسون في مؤتمر الصلح وعضو الوفد الصهيوني الأمريكي لذلك المؤتمر . راجع :

The Universal Jewish Encyclopaedia, New York 1941, Volume 4 pp. 407 - 410 .

D. Thomson, op. cit. p. 580. (٦٢)

Walter Laqueur (Edt.) The Israel-Arab Reader, (٦٣)
New York, 1971, p. 23.

وتمت الموافقة فى ٢٠ مارس سنة ١٩١٩ على تكوين اللجنة على نحو تمثل فيه كل من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية ، ولكن فرنسا قاطعت تكوين اللجنة وتخلّى لويد جورج عن تأييده للفكرة بعد أن وافق عليها من حيث المبدأ ولاذت إيطاليا بالصمت فكانت اللجنة التى تم تشكيلها فعلا أمريكية خالصة وهى اللجنة التى عرفت « بلجنة كنج - كرين » المؤلفة من دكتور هنرى تشرشل كنج وشارلز ر. كرين •

وعاد فيصل الى دمشق فى ٣ مايو سنة ١٩١٩ واستقبلته الوفود العربية من كل صوب فحدثها عن جهوده فى مؤتمر الصلح وعن حسن نية الحلفاء ووجهت الدعوة لعقد المؤتمر السورى العام وانتخب ممثلو الشعب السورى لهذا المؤتمر وفقا لقانون الانتخاب التركى القديم بالنظر الى ضيق الوقت ^(٦٤) وجاء نواب الشعب من بيروت وطرابلس واللاذقية وفلسطين الى دمشق وافتتح المؤتمر رسميا فى يوم ٧ يونيو سنة ١٩١٩ وبدأ الاعداد لاستقبال اللجنة الدولية التى وصلت يافا فى ١٠ يونيو سنة ١٩١٩ واستمعت الى ممثلى المؤتمر السورى الذين نقلوا اليها فى صدق رغبة الأمة فى تحقيق الاستقلال التام ووحدة سوريا الشاملة ورفض الانتداب الفرنسى والمطالبة باستقلال العراق واعتبار فلسطين ولبنان جزءا لا ينفصم من الدولة العربية السورية والغاء المعاهدات السرية « سايكس - بيكو » ورفض وعد بلفور ومطامع الصهيونية والهجرة اليهودية الى فلسطين •

وقد أبرق الجنرال كلايتون من القاهرة فى ٢٤ يونيو سنة ١٩١٩ الى كيزون فى لندن ناصحا ألا ينشر أى قرار حول مستقبل الوضع فى سوريا وفلسطين الا بعد أن تقدم اللجنة الدولية تقريرها ^(٦٥) •

(٦٤). أمين سعيد ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٤٦

(٦٥) Woodward and Butler op. cit., p. 295 , No. 201, General Clayton (Cairo) to Earl Curzon (Received July, 1. 1919) No. E. A. 2555 Telegraphic [962 47 / 2117 / 44] Cairo, June, 24, 1919 .

(٩ — نكبة الامة العربية)

وفى ٦ أغسطس ١٩١٩ تلقى كيزون رسالة من الكولونيل فريش في القاهرة ينقل اليه النتائج والأفكار التي انتهت اليها لجنة « كنج - كرين » ويلخصها على النحو التالي :

١ - أن سوريا لن تقبل فرنسا باعتبارها دولة يسند اليها أمر الانتداب .

٢ - أن البرنامج الصهيوني لفلسطين لا يمكن تنفيذه الا بالقوة ضد رغبات السكان وذكرت اللجنة أنها لم تكن تدرك قبل مجيئها الى فلسطين مدى المعارضة التي تواجهها الصهيونية هناك من قبل السكان غير اليهود .

٣ - أن الرغبة العامة للسكان في فلسطين هي الاتحاد مع سوريا (٦٦) .

مكثت اللجنة في الشام نحو ستة أسابيع زارت خلالها عددا كبيرا من المناطق وتلقت ما يقرب من ألفى عريضة تؤيد المطالب العربية وعادت الى باريس وقدمت تقريرها الى مؤتمر الصلح في ٢٨ أغسطس سنة ١٩١٩ ولكن أقطاب المؤتمر غصوا الطرف عنه وظل دفيناً حتى نشر للمرة الأولى في نيويورك في ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢ (٦٧) .

وكان من أهم ما ذكرته اللجنة في تقريرها أنها لا ترى سبباً يحول دون اعتبار فلسطين جزءاً من دولة سورية موحدة ، شأنها في ذلك شأن سائر الأجزاء الأخرى من الاقليم السوري ، على أن تخضع الأماكن المقدسة لاشراف لجنة دولية .

وبينما كان العرب في سوريا يتطلعون الى وصول لجنة « كنج - كرين » الدولية كان فرانكفورت في باريس يحث الرئيس ويلسون على الاسراع

(٦٦) Woodward and Butler op. cit, pp. 315 - 316, No. (224) Colonel French (Cairo) to Earl Curzon (Received Aug 6 No. C.P. 311 [1125 76 / 2117 / 44A] Cairo, July, 19, 1919.

George Antonius, The Arab Awakening Khayats, (٦٧) Beirut, 1938, p. 296.

انظر النص الكامل لتوصيات لجنة « كنج - كرين » في المصدر نفسه ص ٤٤٣ - ٥٨

بتسوية المسائل المعلقة في الشرق الأوسط وجلب الاطمئنان لليهود
بإعادة فلسطين اليهم باعتبارها وطنهم الأصلي^(٦٨) وقد رد الرئيس
ويلسون على رسالة فرانكفورتر المؤرخة في ٨ مايو سنة ١٩١٩ برسالة
قصيرة تاريخها ١٣ مايو سنة ١٩١٩ ونصها :

« باريس — ١٣ مايو ١٩١٩

« عزيزي فرانكفورتر

« هذا مجرد سطر لإبلاغك أنني تسلمت كتابك الهام المؤرخ
في ٨ مايو ولأقول لك أنني أقدر الأمر كله أعظم التقدير لما ينطوي
عليه من خطورة وأهمية »^(٦٩) .

« المخلص ودرو ويلسون »

ولم يقتنع فرانكفورتر بكتاب الرئيس ويلسون ، لأنه يريد كلمة
صريحة يلتزم فيها الرئيس الأمريكي بأدراج وعد بلفور في معاهدة الصلح
والعمل على تنفيذه فوراً ، فكتب إليه مرة أخرى رسالة مؤرخة في ١٤
مايو سنة ١٩١٩ ختمها بقوله « أرجو أن تسمح لي أن أقترح عليك بث
الطمأنينة في نفوسنا بكلمة عدل وحكمة، مكتوبة أو مسموعة — رغم مافي
ذلك من الحاح — بأنكم عازمون في إدراج وعد بلفور في معاهدة الصلح
وأنكم تهدفون إلى ترجمة هذا الوعد إلى عمل قبل أن تغادروا
باريس »^(٧٠) .

ورد الرئيس ويلسون على هذه الرسالة من باريس في ١٦ مايو
١٩١٩ مخاطباً فرانكفورتر أنه — أي ويلسون — لم يكن يحلم بأن ثمة
ضرورة لإصدار مزيد من التأكيد لالتزامه بوعد بلفور ، وقال ويلسون في

(٦٨) Woodward and Butler, op. cit. Vol. 4, pp. 260 - 261
Mr. Franfurter to President Wilson, paris, May, 8. 1919 Encl.
1 in No. 180. Mr. Balfaur to Earl Curzon, No. 861|82739/1051/44|
Paris, May, 31, 1919.

(٦٩) Woodward and Bultler op. cit. p. 261, President
Willson to Mr. Franfurter, May, 13, 1919. تعريب المؤلف .
Woodward and Putler op . cit. p. 261. (٧٠)

Mr. Franfurter to President Wilson, May, 14, 1919.

تلك الرسالة أنه لم يجد أحدا يعارض الغرض الذي ينطوى عليه وعد بلفور معارضة خطيرة واختتم رسالته مؤكدا لفرانكفورتر أنه لا يرى سببا يبعث على تثبيط الهمم وأن لديه من الأساليب ما يجعله يأمل أنه من الممكن الحصول على ضمانات واقية في هذا الصدد^(٧١) .

تلقى فرانكفورتر رد الرئيس ويلسون بالابتهاج والشكر وطلب منه أن يأذن له بعرض ذلك الخطاب على جميع من يهمهم الأمر وإبراق براندائيس بمحتوياته^(٧٢) فأذن له في رسالة مؤرخة في ٢١ مايو عام ١٩١٩ وقع عليها جلبرت كلوس السكرتير الخاص للرئيس ويلسون^(٧٣) .

ان الضمانات التي حصل عليها فرانكفورتر من ويلسون حول وضع فلسطين ووعد بلفور تعني أن اجماع الرأي العربي لم يعد له وزن في هذه المسألة وأن فكرة ارسال لجنة « كنج - كرين » لتقصي الحقائق في سوريا وفلسطين والعراق كان مقضيا عليها بالفشل منذ البداية ، وقد فطن لذلك الجنرال كليتون الضابط السياسي الأول الملحق بالحملة المصرية في القاهرة عندما أبرق الى كيزون في وزارة الخارجية البريطانية في أول يونيو سنة ١٩١٩ قائلا « انه تلقى أنباء من مسيو بيكو^(٧٤) ومصدرها الدوائر الفرنسية الرسمية ، وأن بيكو أكد له صحتها ، تفيد أن العمل جار في تقسيم سوريا دون علم فيصل وأن اللجنة الأمريكية « كنج - كرين » قادمة لتضليل فيصل ريثما يتم تقسيم سوريا ، وأوضح كلايتون في برقيته أن هذه الأنباء « اذا تحقق صدقها

W. and Butler, op. cit. p. 262, Encl. 4 in No., 180. (٧١)

President Wilson to Mr. Franfurter, Paris, May 16, 1919.

Woodward and Butler op. cit. p. 262, Encl. 5 in No. (٧٢)

180, Franfurter to President Wilson, May, 20, 1919.

W. and Butler, op. cit., p. 262 Encl. 6 in, No. 180, (٧٣)

Mr. Close to Franfurter, Paris, May, 21, 1919.

(٧٤) رئيس الادارة المتنية الفرنسية في الاقليم السوري الساحلى الذى كان يعرف بأرض العدو المحتلة الغربية «O.E.T.W.» وهى المنطقة التى كانت من نصيب فرنسا .

فإنها فى رأى بيكو — وأنا أوافقه على ذلك — تمثل لعبة خطيرة ، لأن فيصل اذا علم أن مصير سوريا قد تقرر دون علمه وقبل أن تقدم اللجنة الدولية تقريرها فإنه لا شك سوف يقوم بعمل عدائى » (٧٥) .

وكانت وزارة الخارجية البريطانية فى ذلك الوقت تتلقى تقارير دقيقة عن الموقف الداخلى فى سوريا وفلسطين ومن تلك التقارير تقرير نائب الضابط السياسى الأول فى دمشق كورنواليس المؤرخ فى ١٦ مايو سنة ١٩١٩ (٧٦) الذى وصف فيه الاجتماعات السياسية فى سوريا وفورة الحماس الوطنى للأمة والثقافتها حول فيصل بعد عودته من باريس واصرار الشعب على الاستقلال ورفض التدخل الفرنسى ثم وصف اجتماع الوفود السورية التى بايعت فيصل فى ٩ مايو ١٩١٩ (ذكر أمين سعيد أن هذا الاجتماع تم فى ٥ مايو ١٩١٩) وقد نقل كلايتون هذه الصورة الى حكومته فى لندن ونصحها بل حذرهما من انفجار الموقف اذا اتضح للشعب العربى — وهو مجمع على معارضة أى تقسيم للأقاليم العربية — أن مؤتمر الصلح قد اتخذ قرارا فى ذلك من قبل ، أو اذا كان الغرض من ارسال اللجنة الدولية ذر الرماد فى العيون، ولكن المسئولين فى لندن وباريس لم يستجيبوا للنصح . كذلك أشار كلايتون فى تقريره الى أن أى قرار يتخذ بشأن مصير البلاد العربية المذكورة قبل أن يتاح لأهلها التعبير عن رغباتهم وبسط قضيتهم سوف يعتبر فى نظرهم خرقا لميثاق عصبة الأمم ولبدأ تقرير المصير الذى كثيرا ما دافع عنه أقطاب الدول المتحالفة ، ونقضا للتصريح البريطانى الفرنسى (٧٧) .

W. and Butler op. cit. p. 263, No. 181, Clayton (٧٥)
(Cairo) to Earl Curzon (Received June 2,) No. E. A. 2491
Telegraphic [82973 / 2117 / 44] Cairo, June, 1, 1919.

Woodward and Butler op. cit. pp. 263 - 272 , No. (٧٦)
182 General Clayton to Earl Curzon No. CPO / 93 / 2 [89850/
2117 / 44,] Cairo, June, 5, 1919.

Woodward and Butler op. cit. pp. 272 - 273 General (٧٧)
Clayton (Cairo) to Earl Curzon CPO / 107 / 5 [91480/2117/44]
Cairo, June, 8, 1919.

وفى تقرير آخر من كلايتون الى وزارة الخارجية البريطانية وجه نظر المسئولين فى لندن الى أن شعب فلسطين يرفض الانتداب البريطانى اذا كانت بريطانيا ترى أنه لا مناص من اقتران البرنامج الصهيونى بالانتداب . لأن الفلسطينيين يريدون بلادهم لأنفسهم وأنهم سيقاومون الهجرة اليهودية الى فلسطين بكل ما يملكون من وسائل بما فى ذلك المقاومة المسلحة^(٧٨) وبدلا من أن تولى وزارة الخارجية هذا التقرير الخطير اهتماما خاصا ، أحالته الى هربرت صمويل بتوجيه من بلفور وطلبت منه ابداء رأيه فيما يمكن أن يتخذ من تدابير لتخفيف روح العداء التى تواجهها الصهيونية فى فلسطين وذلك بوصفه - أى صمويل - رئيسا للجنة الانماء الاقتصادى لفلسطين وقام صمويل بدوره باستشارة وايزمان وسوكولوف وهما فى باريس ثم رد على وزارة الخارجية فى ٥ يونيو سنة ١٩١٩ ردا يبيدو أن اعداده تم برضاء وموافقة الوفد الصهيونى فى باريس^(٧٩) وقد نصح صمويل وزارة الخارجية أن تؤكد للسلطات الادارية فى فلسطين أن وعد بلفور أصبح جزءا من السياسة البريطانية المقررة وأن سياسة بريطانيا تتجه نحو وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى وأن شروط الانتداب سوف تشمل اعلان ٢ نوفمبر ١٩١٧ - أى وعد بلفور - وأن العرب لن يجردوا من أراضيهم أو يطلب منهم مغادرة البلاد ، وأنه لن يكون هناك مجال فى فلسطين لاختضاع الكثرة من السكان لحكم القلة ، وأن البرنامج الصهيونى لا يحتوى على مثل هذه الأفكار . كذلك نصح صمويل لندن أن تصدر توجيهاتها الى المسئولين لتحذير العرب هناك أن اثاره الاضطرابات ليست فى مصلحتهم ولن تحقق لهم غرضا وأن أموالا طائلة سوف تتدفق فى فلسطين تحت

(٧٨) Woodward and Butler , op. cit. pp. 282 - 283 Enclosure 1 in No. 197, Letter from Sir W. Tyrrell to Mr. Samuel No. 242 ME / 44 Foreign Office May 31, 1919 .

(٧٩) Woodward and Butler op. cit. p. 285, Enclosure 3 in 197, letter from Mr. Samuel to Sir W. Tyrrell, Paris, June, 5, 1919.

الادارة الجديدة لتنميتها وستجنى كافة الطبقات والأجناس ثمرة انفاق تلك الثروة^(٨٠) .

اننا نلمح فى ثنايا هذا الكتاب أصابع وايزمان والوفد الصهيونى فى باريس لأن هربرت صمويل سافر الى باريس لاستشارة وايزمان وسوكولوف قبل أن يعد رده وذكر ذلك صراحة فى كتابه^(٨١) . ومن الواضح أن نصيحة صمويل لوزارة الخارجية فى لندن تنطوى على استجابة لرغبة زعماء الصهيونية المجتمعين فى باريس وتحمل تهديدا ووعدا ووعيدا للشعب العربى فى فلسطين وتكتمل الصورة عندما يتحرك بلفور فى باريس ويكتب الى لورد كيزون رسالة مؤرخة فى أول يوليو ١٩١٩ يؤيد فيها كتاب هربرت صمويل ويوجه بنقل خلاصة رأى صمويل الى اللبى فى القاهرة وقام كيزون - فعلا - بارسال برقية فى ٤ أغسطس سنة ١٩١٩^(٨٢) الى كولونيل « French » فى القاهرة اشتملت على أهم ما ذكره هربرت صمويل فى رسالته وبمنفس الصيغة التى أعدها صمويل .

ان المقترحات التى تقدم بها هربرت صمويل وتبناها بلفور لانقاذ الصهيونية من غضبة الشعب العربى فى فلسطين ، لا تخلو من سذاجة فقد استندت الى الاغراء والتهديد والتلويح بالثروة والرخاء المرتقب ولكن الموقف فى فلسطين كان يختلف فى حقيقته عن تصور بلفور وهربرت صمويل ، لأن الشعب العربى هناك كان يقظا لكل مايراد به وكان على أهبة الاستعداد لمواجهة كافة الاحتمالات بما فى ذلك المواجهة المسلحة، وهذه هى الحقائق التى نقلها الضابط السياسى المساعد فى القدس

(٨٠) Woodward and Butler op. cit. p. 284 letter from Samuel to Sir W. Tyrrell, Paris, June 5, 1919.

(٨١) Woodward and Butler op. cit. pp. 300 - 301 (No. 210) Mr. Balfour (Paris) to Earl Curzon No. 1132 [96834/2117/44] Paris, July, 1, 1919.

(٨٢) Woodward and Butler op. cit. p. 329, No. (236) Earl Curzon to Colonel French (Cairo) No. 245 Telegraphic [96834 / 2117 / 44] Foreign Office, August, 4, 1919.

الى المسئولين البريطانيين فى القاهرة ولندن ، فى تقرير مفصل مؤرخ ١٢ أغسطس ١٩١٩ بعنوان « الحركة العربية والصهيونية » وقد أيدت القاهرة الحقائق التى وردت فى ذلك التقرير^(٨٣) وكاتب التقرير هو الرائد كامب «J.N.Camp» الذى ذكر أن الحركة العربية فى القدس تتركز فى أربع جمعيات وهى المنتدى الأدبى والنادى العربى وجمعية الاخاء والوفاء والجمعية الفدائية ، وكانت المنتدى — أهم هذه الجمعيات وأقواها أثرا — تنادى باستقلال العرب ووحدة فلسطين وسوريا ورفض الصهيونية فى أية صورة من صورها ومنع الهجرة اليهودية والغاء الامتيازات الأجنبية ، وكان أبرز قادة هذه الجمعية محمد يوسف الخطيب ويعرف أحيانا بمحمد يوسف جمعة الكنانى ومحمود الخالدى وحسن صدقى دجانى واسعاف النشاشيبي وعمر زعانى البيروتى وعدد من أفراد أسرة النابلسى . وانضمت اليهم أخيرا جمعية أخرى هى « المنتدى الدجانى » وكان نشاط هذه الجمعيات يتمثل فى تسليح أعضائها بالأسلحة الخفيفة واعداد قوائم بأسماء زعماء اليهود والموالين للصهيونية وبث الوعي بين البدو فى شرقى الأردن وتركيز تجمع الضباط الفلسطينيين فى عمان استعدادا للطوارئ اذا ما أعلنت السياسة الموالية للصهيونية . وكان من بين أعضاء الجمعيات المذكورة من تعلم اللغة العبرية لتابعة كل مايقال ويكتب فى الصحف اليهودية، وكان منهم من يراقب الموقف بدقة ، ومن يقوم باستمالة رجال الأمن للاتفاق معهم على تسليم أسلحتهم أو على الأقل لحملهم على الامتناع عن التدخل اذا اندلعت الثورة . ويستطرد الرائد كامب قائلا: ان المنتدى الأدبى كانت تلعب دورا قياديا فى كل هذا النشاط وأن الاعداد جار فى هدوء من كافة الوجوه تمهيدا للعمل اذا قدر للسياسة الصهيونية أن تحرز نجاحا . ويعتبر كاتب التقرير أن أخطر الشخصيات العربية على الاطلاق من المعادين للصهيونية ولبريطانيا على حد سواء هم :

Woodward and Butler op. cit. pp. 360 - 365, No. (٨٣)
253, Colonel French (Cairo) to Earl Curzon (Received Sept.6)
No. C. P. O. 31 / 110 [125609 / 2117 /44A | Cairo Aug. 26,
1919 and Enclosure No. 253, Arab Movement and Zionism.

محمود يوسف العلمى ومحمود عزيز الخالدى وحسن صدقى دجاني وعمر زعائى البيروتى والشيخ رشيد الخطيب وجودت الحلبي، وأضاف الرائد كامب قائلاً : ان هذه الجمعيات موجودة أيضا فى كل بقعة ذات أهمية فى فلسطين ، فى نابلس ويافا وغزة وتل كرام وحيفا الخ^(٨٤) ويؤكد مستر كامب للمسئولين البريطانيين أن جميع المسلمين والمسيحيين من ذوى المكانة المرموقة فى فلسطين هم ضد الصهيونية ويتجاوبون مع الجمعيات التى تعادى الصهيونية والهجرة اليهودية ، ثم يقول : « اننا اذا كنا نعى أن ننفذ أى نوع من أنواع السياسة الصهيونية ، فعلينا أن نفعل ذلك بالقوة العسكرية ونتخذ سياسة حازمة قوية ضد جميع دعاة الفتنة فى البلاد » وحذر مستر كامب قومه ألا يطمئنوا الى فيصل لأن « لديه المقدرة — فيما يبدو — على الاتفاق معنا ومع الفرنسيين ومع الصهيونية بما فى ذلك من تناقض — ثم يحاول أخيرا أن ينفرد بالعمل كما يشاء »^(٨٥) .

كانت قوة المعارضة الجارفة ضد الصهيونية من قبل الشعب العربى فى فلسطين أكبر مشكلة أمام السلطات البريطانية التى عقدت العزم على تنفيذ البرنامج الصهيونى ، ولكن الصهيونية وجدت فى الكولونيل «R. Meinertzhagen» — الذى خلف كلايتون فى القاهرة فى منصب الضابط السياسى الأول — سندا قويا فقد بعث هذا الضابط فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩١٩ من موقعه الرسمى فى القاهرة رسالة الى كيرزون^(٨٦) أعلن فيها أنه يتحدث عن الصهيونية بوصفه أحد المؤيدين المتحمسين لها ثم تطرق الى الصعاب التى واجهت الاداريين البريطانيين فى فلسطين من جراء معارضة العرب لسياسة بريطانيا الرامية الى التمكين للصهيونية فى فلسطين وضغط قادة الصهيونية المحلية عليهم

Woodward and B. op. cit. p. 364.

(٨٤)

W. and B. op. cit. p. 364.

(٨٥)

W. and B. op. cit. p. 425 - 428.

(٨٦)

No. 298, Colonel Meinertzhagen (Cairo) to Earl Curzon
(Received Oct. 14) No. C. P. O. 311 /1 [141037 / 441A] .

لإعلان البرنامج الصهيوني قبل أن يصبح الانتداب البريطاني نافذا .
ثم ذكر الكولونيل ماينرتراجن أنه رأى أن يسند الى دكتور وايزمان
رئاسة اللجنة الصهيونية لأن ذلك يساعد على دعم مركز الصهيونية
المحلية ، وذكر أنه من المؤكد نجاح الصهيونية في فلسطين آخر الأمر رغم
معارضة السكان ولكن ذلك رهين بالأسلوب الذي يتبع والنمو التدريجي
للحركة وهو يرى أن الوقت ليس ملائما لإبلاغ الشعب الفلسطيني جهرة
أن إقامة الصهيونية في فلسطين هي السياسة التي التزمت بها بريطانيا
وأمریکا وفرنسا وأنه يفضل أن يعالج الموقف بعد وصول وايزمان وذلك
باعداد بيان رقيق يشرح للسكان معنى الصهيونية وبراءتها من التعصب
الديني بلغة معتدلة للغاية ويبصرهم بالأسلوب المترفق الذي يتبع في
ادخالها وما تجلبه من مزايا لفلسطين^(٨٧) .

ولم يكن الموقف في مصر خيرا منه في سوريا وفلسطين لأن الأمة
العربية كانت تواجه جبهة متحدة في أوروبا قوامها الثلاثة الكبار ، وكان
على ريجنالد وينجت الذي خلف ماكماهون على دار العمادة في مصر
أن يواجه تطورات الموقف بعد اعلان الهدنة ، ولم يطل انتظاره فقد طرق
بابه في ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ وفد من قادة الحركة الوطنية في مصر
برئاسة سعد زغلول ليضعوا أمامه مطالب الأمة ، وقبل أن نستعرض ما دار
في تلك المقابلة الهامة يجدر بنا أن نستمع الى الأستاذ العقاد وهو يصف
الوضع في مصر بعد اعلان الحماية البريطانية فيقول :

« لم تمض أشهر قليلة بعد اعلان الحماية حتى كانت السلطات
الانجليزية قد نقضت كل ما عاهدت عليه الأمة المصرية ، فأطلقت أيديها
في دواوين الحكومة جميعا الا ما هي في غنى عنه ولا قدرة لها على ادارته
لقلة الموظفين الانجليز في تلك الفترة وأمعنت من جهة في التضييق على
أعداء الاحتلال ... ثم احتاجت الى العمال فجمعت منهم نحو مليون
ومائتي ألف من الفتيان الأشداء فرقته في ميادين القتال وأهملتهم

أسوأ إهمال ... واحتاجت إلى الزاد والعلف والماشية والدواب فأخذت منها ما شاءت أن تأخذ بلا اكتراث لحاجة الفلاح الفقير » (٨٨) .

وكان مع سعد في مقابلته لـ «وينجت» على شعراوي باشا وعبد العزيز فهمى بك وبدأ وينجت الحديث ، ورد سعد مطالباً بالغاء الأحكام العرفية ومراقبة الصحف والمطبوعات لينفس الناس عن أنفسهم بعد ما عانوا من الضيق أكثر من أربع سنين ، وتحدث شعراوي قائلاً « اننا نريد أن نكون أصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر لا العبد للسيد » فصاح وينجت دهشاً « اذن أنتم تطلبون الاستقلال » ؟ فأجابه سعد : «نعم .. ونحن أهل له » (٨٩) . وكانت تلك المقابلة بمثابة الشرارة التي انطلقت منها ثورة مصر العربية سنة ١٩١٩ عندما استخف المسئولون البريطانيون بحق أبنائها في الحرية والاستقلال وأصدروا توجيهاتهم إلى وينجت بمنع قادة الحركة الوطنية من السفر إلى أوروبا لبسط قضيتهم العادلة أمام مؤتمر الصلح في وقت بشر فيه أقطاب المؤتمر بمبادئ الحرية وحق تقرير المصير ولكن أهل الحل والعقد في لندن لم يطيعوا أن يسمعوا نبأ المقابلة التي تمت بين وينجت وسعد زغلول وأقبلوا على وينجت ذماً وتأنياً (٩٠) لمجرد استماعه إلى رأى الوفد المصرى فى مستقبل بلاده ورفض وينجت التوبيخ مدافعاً عن وجهة نظره وكان لا يرى غضاظة فى السماح لسعد زغلول وحسين رشدى وعدلى يكن للذهاب إلى لندن للافصاح عن آرائهم لأن ذلك من شأنه أن يساعد على تهدئة الموقف فى مصر (٩١) ، واستدعى وينجت فى لندن للتشاور فوصلها فى نهاية يناير سنة ١٩١٩ ، ولكن وزارة الخارجية

(٨٨) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول ، القاهرة ١٩٣٦

ص ١٨١ - ١٨٢

E. Kedourie , The Chatham House Version, and other Middle Eastern Studies (Sa'ad Zaghlul and the British) pp. 102 - 103 . وانظر أيضا :

(٨٩) العقاد ، المصدر نفعه ص ١٩٧ - ١٩٨

(٩٠) Kedourie, op. cit. Sa'ad Zaghlul and the British, pp. 95 - 96 .

Kedourie, op. cit. p. 99.

(٩١)

البريطانية وعلى رأسها بلفور كانت ضد فكرة سفر الوفد بحجة أن قادة الحركة الوطنية في مصر (يعنى الوفد) وضعوا أنفسهم على رأس حركة لا تدين بالولاء لبريطانيا وتعمل لاجراج الانجليز من مصر ولذلك لا ينبغي أن يسمح لهم بالسفر لئلا يفسر ذلك بأنه ضعف من جانب الحكومة البريطانية ، وجاءت التوجيهات قاطعة في برقية من لندن بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩١٩ الى مستر شيتام القائم بأعمال المندوب السامي في القاهرة ، ألا يسمح لأى مصرى ، بصفة رسمية أو غير رسمية بمغادرة البلاد مهما كانت النتيجة فقدم حسين رشدى استقالة حكومته فى أول مارس ١٩١٩ وبعث شيتام رسالة الى لندن يقول فيها ان الأحوال هادئة فى مصر وأن سعد زغلول ورفاقه لا يتمتعون بتأييد شعبي !! (٩٢) بل أبرق الى لندن فى ٢٤ فبراير ١٩١٩ يحثها على تجاهل حركة سعد زغلول ويقول انه لا ينبغي أن يسمح لتلك الحركة أن تؤثر على قرارات الحكومة البريطانية فيما تراه حول المسائل الدستورية وما ينبغي أن يكون عليه وضع الحماية فى مصر .

وفى اليوم السادس من شهر مارس ١٩١٩ تلقى سعد زغلول وتسعة من أصحابه انذار القائد العام الجنرال واطسون يحذرهم من وضع مسألة الحماية موضع المناقشة « واقامة العقوبات فى سير الحكومة المصرية تحت الحماية بالسعى فى منع تشكيل وزارة جديدة ، ويهددهم ان أقدموا على مخالفة ذلك بالمعاملة الشديدة بموجب الأحكام العرفية » (٩٣) ورد سعد على الانذار البريطانى بأن « الوفد يطلب الاستقلال التام ويرى الحماية غير مشروعة ولا يتأخر عن أداء واجبه مهما كلفه ذلك » (٩٤) .

وفى اليوم نفسه (٦ مارس) أبرق شيتام الى لندن طالبا الاذن باعتقال سعد وأصحابه ونفيهم، وتلقى الرد بالموافقة من وزارة الخارجية

Kedourie, op . cit. , p. 100.

(٩٢)

(٩٣) العقاد ، المصدر نفسه ص ٢١٩ — ٢٢٠

(٩٤) العقاد ، المصدر نفسه ص ٢٢٠

فى ٧ مارس ، وفى ٩ منه تم اعتقال سعد وثلاثة من أصحابه وهم اسماعيل صدقى وحمد الباسن ومحمد محمود ونفوا الى مالطة (٩٥) .

وسرى نبأ الاعتقال رغم تكتم القيادة العسكرية وانطلقت ثورة ١٩١٩ لا تلوى على شىء ولم يعلم عنها سعد وأصحابه فى مالطة حتى جاءهم حاكم الجزيرة لورد ثوين ليقول لهم « أشعلتم النار فى مصر وجئتم الى هنا ؟ » (٩٦) ، وعمت الثورة البلاد وشارك فيها الفلاحون مشاركة مرموقة وظهرت الحكومات الوطنية المستقلة عن القاهرة فى زفتى والمنيا والمجالس الوطنية فى كثير من المراكز (٩٧) .

وأدركت بريطانيا أنها أخطأت التقدير ووصف شيثام الموقف بالخطوة وقال ان مصر لم تشهد موقفا كهذا منذ ثورة عرابى (١٨٨٢) ووصف الثورة بأنها ثورة وطنية بمعنى الكلمة (٩٨) ولكن هذا الوصف من رجل مسئول فى ذلك الوقت لم يرق لخدورى الذى أراد أن يضى على الثورة ثوبا آخر ليجعلها ثورة رعا ع ضاقت بهم سبل الحياة وأرهقهم الغلاء وسوء الحالة الاقتصادية (٩٩) !!

واتصل شيثام بالقنصل الأمريكى فى القاهرة لابلاغه خطورة الموقف ونصح لندن أن تسمح للمصريين بالذهاب الى لندن وباريس حتى اذا لم تعترف بهم رسميا ، ولكن كيزون أخذته العزة بالاثم فرفض الاستماع الى رأى شيثام واتهمه بالضعف ، وتأزم الموقف ، ووقف بلفور الى جانب شيثام مطالبا بتأليف حكومة قوية فى مصر ومرحبا بوفد رسمى من مصر تمثل فيه القوى الوطنية ، وعين اللبى (٢٠ مارس ١٩١٩) مندوبا ساميا خاصا لمصر مع أن وينجت لم يبعد

Kedourie, op. cit. p. 101.

(٩٥)

(٩٦) العقاد ، المصدر نفسه ص ٢٤١

(٩٧) محمد أنيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ج ١ ، الطبعة الأولى القاهرة ، ١٩٦٣ ص ١٠ - ١١

Kedourie, op. cit. p. 105.

(٩٨)

Kedourie, op. cit. pp. 102 - 104.

(٩٩)

من منصبه * وتسلم اللنبى مهمته الجديدة فى القاهرة فى ٢٥ مارس ١٩١٩ وآلت اليه السلطة الحقيقية ، وظل وينجت فى منصبه أيضا حتى خريف سنة ١٩١٩ ولكن بغير سلطة فيما يبدو (١٠٠) *

ولم تجد بريطانيا مناصا من الاعتراف بسوء تقديرها لموقف الحركة الوطنية فى مصر فقررت الافراج عن سعد وأصحابه بعد شهر من الاعتقال فى مالطة وسمحت للوفد المصرى بالسفر الى باريس ، ولكن عندما وصل أعضاء الوفد الى مقر مؤتمر الصلح وضح لهم أن أمريكا قد اعترفت بالحماية البريطانية على مصر منذ ١٩ ابريل ١٩١٩ أى بعد وصول الوفد الى مرسيليا بيوم واحد وأدرك سعد أن الأمل فى الموقف الدولى قد انقطع وأن المعركة فى سبيل القضية المصرية سوف تجرى على أرض مصر وحدها ، وكان الانجليز — كما قال الدكتور محمد أنيس — يدركون هذه الحقيقة فلم يقلقهم كثيرا وجود الوفد فى باريس وانما كان مصدر قلقهم الوحدة الوطنية التى التفت حول الوفد (١٠١) ، وأخذ سعد يقود المعركة من باريس عن طريق رسائله السرية الى عبد الرحمن فهمى سكرتير لجنة الوفد فى القاهرة *

الفصل الرابع

قبض الريح

● مؤتمر الصلح — تفاؤل واستبشار — بيعة في المسجد الحرام — الشريف حسين ملكا — لا حق للعرب في تقرير مصيرهم — الحلفاء أصحاب القرار — بريطانيا أول من ينكر البيعة — بريطانيا وفرنسا لا تعترفان بالحسين ملكا للأمة العربية — سوريا تباع فيصلا — اصدقاء العرب ينددون بقرار العرب — كيرزون يتعد فيصلا وسعدا عن مؤتمر الصلح — لا حق للعرب في بسط قضيتهم — اللبى يحذر كيرزون — بريطانيا تحث بوعدها — نهبت وعود ماكماهون ادراج الرياح — بريطانيا توقف اعانتها المالية لفیصل — مؤتمر الصلح يؤازر الصهيونية ضد العرب — الانتداب البريطاني على فلسطين — تعيين هربرت صمويل — كيرزون لفیصل : صمويل صديق العرب !! — فرنسا تغزو سوريا — ميسلون — الجنرال غورو — اخراج فیصل عنوة — اللبى فى مصر — فشل لجنة ملتر — تصريح ٢٨ فبراير — سعد رئيسا لوزارة الشعب الاولى — سعد : لقد صدقنا اننا مستقلون !!

قبض الريح

استبشر العرب بنصر الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى وحسبوا أن ظلمة اليأس قد انقشعت بهزيمة ألمانيا وتركيا الاتحادية وزوال عهد جمال باشا وجمعية الاتحاد والترقى الى غير رجعة • ظنوا أن حريتهم المفقودة أوشكت أن تعود وأن قادة مؤتمر السلام سيلتزمون بمبادئ الحرية وحق تقرير المصير التى بشر بها ودرو ويلسون • أما بريطانيا التى وعدتهم الاستقلال وأغرتهم بالخلافة بلسان ممثلها هنرى ماكماهون فى عام ١٩١٦ فقد كانوا لا يشكون فى سلامة مقاصدها وعزمها على الوفاء بكلمتها ، ومن ثم تمت بيعة الشريف حسين بن على فى مكة المكرمة بالمسجد الحرام ، ملكاً للأمة العربية فى أول المحرم من سنة ١٣٣٥ هـ (٢٩ أكتوبر ١٩١٦) أى بعد أربعة أشهر فقط من اعلان الثورة ضد الأتراك (٩ شعبان ١٣٣٤ هـ — ١٠ يونيو ١٩١٦) ولكن الأمير عبد الله ابن الحسين دهش عندما وجه اليه فى اليوم التالى (الثانى من شهر المحرم) معتمد بريطانيا فى جدة ، الكولونيل ويلسون والمعتمد الفرنسى سؤالاً : لم تمت البيعة دون الرجوع الى الحلفاء ؟ (١) •

فرد عليهما : « عجيب ما تقولان !! ، اننا نقاتل بسيفوفنا فى سبيل الله واعلاء كلمته وارجاع حقنا القومى الى نصابه ، فمن ساعدنا وأيدنا فهو صديقنا ، ومن نكص عنا وأحب أن يفت فى عضدنا فهو لا يريد بنا الخير » •

فقالا : تشك سموك فى أخلاقنا ؟

قلت (*) : لا •• ولكن نحن أعلم بما ينبغى لنا أن نفعله من أجل أنفسنا (٢) •

(١) الملك عبد الله : مذكراتى ، عمان ، ١٩٤٧ ، ص ١٧٥ — ١٧٦ •
(*) المتحدث هنا الامير عبد الله بن الحسين ، الذى أصبح فيما بعد ملكاً لشرق الاردن •
(٢) الملك عبد الله : المصدر نفسه ص ١٧٦ •
(١٠ — نكبة الامة العربية)

وجاء القول أن بريطانيا لا تعترف بالشريف حسين ملكا للأمة العربية ، ثم تمت استشارة بين بريطانيا وفرنسا وروسيا تمخضت عن اعتراف الدول الثلاث بالشريف حسين ملكا على الحجاز فقط !! وأخطر بذلك رسميا في رسالة مؤرخة ١٠ ديسمبر سنة ١٩١٦ (٣) .

أما مصير الدولة العربية المترامية الأطراف التي كانت موضع بحث مستفيض في رسائل «حسين — ماكماهون» فأصبح من اختصاص مؤتمر الصلح في سنة ١٩١٩ ، ولم يعد يحق لأحد من العرب أن يتحدث عنها ، فضلا عن أن يقرر مصيرها ، سوى مؤتمر الصلح (أى الثلاثة الكبار) وعندما أعلنت الدولة السورية المستقلة بتقويض من المؤتمر السوري العام في ٨ مارس سنة ١٩٢٠ ، وبويع فيصل ملكا على سوريا ثارت ثائرة بريطانيا وفرنسا وعلت صيحة الاستنكار من المسؤولين في لندن وباريس تندد بالمؤتمر السوري وتتساءل : ما شأن هذا المؤتمر بمستقبل سوريا وفلسطين ؟ على نحو سيأتى بيانه في هذا الفصل .

وارتفع صوت الاستنكار مرة أخرى بعد تعيين الأمير عبد الله رئيسا للوفد العربى في مؤتمر الصلح خلفا لأخيه فيصل ملك سوريا عندما قال للنبي :

« ان رئيس الوفد هو الأمير فيصل » فأجابه عبد الله : هو الآن (يعنى فيصل) ملك سوريا .

النبي : ان الحلفاء لم يعترفوا بهذا .

عبد الله : ان الذى ولاه هذه الرئاسة في مؤتمر الصلح قد اعتبر

الأمر الواقع وعين رئيسا آخر هو أنا .

النبي : هذا الأمر لا يقبله الحلفاء .

عبد الله : وما للحلفاء وتعيين موظف في وظيفة ؟

النبي : هو ما سمعت (٤) .

U.S. Department of State Mandate For Palestine, (٣).

Division of Near Eastern Affairs Series No. I. Washington, 1931, p. 7 .

(٤) الملك عبد الله : المصدر نفسه ص ٢٢٤ .

ولم يكن العرب يتوقعون استنكارا كهذا من جانب الحلفاء للقرارات التي اتخذوها فى مسائل هى من أخص شئونهم الداخلية ، لا سيما بعد أن ساندوا قضية الحلفاء وأعلنوا الثورة على الأتراك مما كان له أثر كبير على مجرى الحرب فى الشرق الأوسط لصالح الحلفاء ومع أن المتحاملين على العرب حاولوا أن يقللوا من شأن الثورة العربية (ثورة الصحراء) وأهميتها فإن المسئولين البريطانيين هم الذين كانوا يعرفون حقيقة الدور الذى لعبته لصالحهم ومن هؤلاء السير رونالد ستورز الذى تحدث عنها قائلا : ان أهم النتائج الاستراتيجية للثورة العربية أنها مكنت القوات البريطانية المراقبة فى منطقة قناة السويس أن تتحول من موقع الدفاع ضد الأتراك الى مركز الهجوم على قلب الامبراطورية العثمانية (٥) . كما أشاد اللبى فى رسالته الى كيزون المؤرخة ٢٨ مايو سنة ١٩٢٠ بشريف مكة باعتباره أحد الذين أسدوا للحلفاء مساعدة أحبطت خطة الجهاد فى وقت كانت نتيجة الحرب فيه غير معروفة (٦) ، ولكن كل ذلك لم يشفع للعرب عندما انتشعت ظلمة الحرب وحن اقتسام الأسلاب !! فاذا بالثلاثة الكبار يتخذون أخطر القرارات باسم مؤتمر الصلح فيما يتعلق بمستقبل البلاد العربية دون أدنى اعتبار لرأى الأمة العربية التى يعنىها الأمر . لقد رأينا وزارة الخارجية البريطانية تستشير هربرت صمويل وهذا بدوره يستشير قادة الحركة الصهيونية فى كل المسائل المتعلقة بمصلحة الصهيونية فى فلسطين وذلك فى وقت كانت كثرة يهود العالم تقف فيه ضد فكرة الصهيونية !! ثم تملى وزارة الخارجية البريطانية على ممثليها فى الوطن العربى ما أشار به قادة الصهيونية للتنفيذ !!

ولكن الأسلوب يختلف عندما تطرح قضايا الأمة العربية للبحث : ينهض سعد زغلول ومن ورائه الشعب المصرى على قلب رجل واحد

Storrs, The Memoirs of Sir Ronald Storrs, p. 179. (٥)

Woodward and Butler, Documents on British (٦)

Foreign Policy, 1919 - 1939, Vol. 13, P. 257 No. 253 from Allenby (Cairo) to Curzon, No. 559 (E 6180 / 2854 / 44) Cairo, May 28, 1920.

مطالباً بالاستقلال وانهاء الحماية البريطانية فتسخر بريطانيا من سعد وتنكر عليه حق تمثيل الشعب المصرى ثم تأمر باعتقاله وعدد من خيرة أبناء مصر وتنفيهم الى مالطة ثم الى جزائر سيشل ثم الى جبل طارق^(٧) . ويرتفع صوت فيصل فى الهلال الخصيب يؤيده الشعب العربى فى سوريا وفلسطين والعراق ، مطالباً باستقلال العرب ووحدة سوريا ويقف المؤتمر السورى العام من ورائه يشد أزره فى الدعوة الى الاستقلال ورفض الصهيونية والانقلاب الفرنسى فتستثيط فرنسا غضباً ويكتب السفير الفرنسى فى لندن مسيو كامبون الى كيرزون ليبلغه رسالة من حكومته فى باريس^(٨) تستنكر فيها قرار المؤتمر السورى بمبايعة فيصل ملكاً على سوريا ، ويجدر بنا قبل الحديث عن المؤتمر السورى وقراراته وموقف الحلفاء منه ، أن نذكر شيئاً عن استراتيجية الحكومة البريطانية والفرنسية ازاء فيصل خلال النصف الثانى من عام ١٩١٩ .

كان فيصل يتوقع العودة الى باريس فى نهاية يوليو ١٩١٩ لحضور مؤتمر الصلح مع أمته لورنس عندما يحين الوقت لبحث موضوع الهلال الخصيب ، ولكن لورنس (عضو الوفد البريطانى فى مؤتمر الصلح وأحد مستشاريه) أبرق الى فيصل فى ١٥ يوليو ١٩١٩ عن طريق اللبى فى القاهرة أن المؤتمر لن ينظر فى الشئون العربية حتى شهر سبتمبر وأنه ينصح بتأجيل حضوره حتى ذلك التاريخ^(٩) ، ولم يكن كيرزون يطمئن الى وجود فيصل فى باريس فى ذلك الوقت جنبا الى جنب مع لورنس لأنه كان يخشى أن يكون ذلك مدعاة لاجراج حليفته فرنسا . ومن ناحية أخرى كانت فرنسا تعمل جهد استطاعتها على

(٧) انظر العقاد ، سعد زغلول ص ٣٨٦ — ٤٠٨ .

(٨) Woodward and Butler, op. cit., p. 278. No. 254,

note from the French Ambassador to Earl Curzon (Received June 1) (E 5598 /244). Ambassade De France A'Londres, 31 Mai 1920.

Woodward and Butler op. cit. Volume 4, p. 314, No. (٩)

221 Mr. Balfour (Paris) to General Sir E. Allenby (Cairo) No, 66 Telegraphic (384 /1/1/14444) Paris, July 15, 1919.

إبعاد فيصل عن مؤتمر الصلح فأرسلت برقية الى المسيو بيكو في سوريا تنصح فيصل بتأجيل مجيئه الى باريس لأن المؤتمر لن ينظر في أمر سوريا الا بعد فترة من الوقت ^(١٠) ، وفهم فيصل أن المقصود من هذه البرقية الحيلولة بينه وبين الذهاب الى المؤتمر فأخطر الضابط السياسي في دمشق أنه (أي فيصل) اذا حيل بينه وبين المؤتمر أو اذا أجلت رحلته لأجل غير ملائم فانه سيتخذ التدابير الدفاعية التي يقتضيها الموقف ضد أي قرار قد يتخذ لغير مصلحة القضية العربية .

وقد صرح كيزون في برقيته الى بلفور في باريس (١٧ يوليو ١٩١٩) ^(١١) ان التعاون بين الكولونيل لورنس وفيصل من شأنه أن يضع بريطانيا في موضع جد حرج ازاء فرنسا وأنه لا ينصح أن تتم زيارة فيصل قط (لأوروبا) في الظروف الراهنة وأنه يرى في الامكان استمالة فيصل لالغاء رحلته اذا حيل بين لورنس والذهاب الى باريس (كان لورنس في لندن في ذلك الوقت) . ومن ثم توجه كيزون بسؤال الى بلفور عما اذا كان لورنس عضوا في الوفد البريطاني الذي يقوده بلفور ويتلقى الأوامر منه واذا كان الأمر كذلك ألا يرى من الأصوب ألا يؤذن له (أي للورنس) بالذهاب الى باريس ؟

كان كيزون يرمى الى ابعاد فيصل عن باريس حتى تتقرر شروط معاهدة الصلح مع تركيا بصفة نهائية ثم يستدعى فيصل بعد ذلك ليوضع أمام الأمر الواقع كما فعل مع سعد زغلول وتنقل اليه شروط المعاهدة للمسلم !! وذلك فيما زعم كيزون استنادا الى نصيحة الجنرال كلايتون ^(١٢) .

Woodward and Butler op. cit. pp. 314 - 315 No. (١٠)
222 Colonel French to Earl Curzon (Received July 17) No. 385
Telegraphic [103235 / 103235 / 44] Cairo, July 17, 1919.

Woodward and Butler op. cit. p. 315, No. 223, Earl (١١)
Curzon to Mr. Balfour (Paris) No. 994 Telegraphic [105018/
103235 / 44A] Foreign Office July, 17, 1919.

Woodward and Butler op. cit. p. 316, No. 225 Earl (١٢)
Curzon to Mr. Balfour (Paris) No. 1001 Telegraphic [103235/
103235 / 44] Foreign Office, July 21, 1919 .

وعندما تلقى فيصل الدعوة من لويد جورج للسفر الى باريس (١٠ سبتمبر ١٩١٩) وتوجه فورا الى العاصمة الفرنسية فوصلها في ١٩ منه ، كانت بريطانيا وفرنسا قد اتفقتا على جلاء الجيش البريطاني من المنطقتين الشرقية والغربية في سوريا « O.E.T.W. and O. E.T.E. » وكيلىكيا لتباشر القوات الفرنسية احتلال سوريا (عدا دمشق وحمص وحماة وحلب) وفي ١٢ أكتوبر ١٩١٩ عين الجنرال غورو قائدا عاما للجيش الفرنسي في الشرق ومندوبا ساميا لفرنسا في سوريا وكيلىكيا^(١٢) ووصل الجنرال غورو (جمال باشا الجديد) بيروت في ١٨ نوفمبر ١٩١٩ أى بعد خمس سنوات فقط من تاريخ دخول جمال باشا التركي دمشق (٥ ديسمبر ١٩١٤) وكان وصوله ايدانا بقرب المعركة بين فرنسا والأمة العربية في الجبهة السورية .

وكما كان متوقعا فان زيارة فيصل لباريس خلال النصف الثاني من عام ١٩١٩ كانت جهدا ضائعا ، لأن الحلفاء أبرموا أمرهم فلم يجد مناصا من العودة الى دمشق في مطلع عام ١٩٢٠ وقبل أن يغادر باريس في ٦ يناير سنة ١٩٢٠ بثلاثة أيام تلقى برقية من الأمير زيد في دمشق تنبئ باحتلال القوات الفرنسية ثلاث قرى من أعمال حمص ودخولها بعربك بثلاثة آلاف جندي .

وتحرك الشعب العربي في سوريا لمباشرة مسئولياته عن طريق المؤتمر السوري العام الذي دعى الى الانعقاد في ٦ مارس سنة ١٩٢٠ ليتخذ قراره التاريخي في ٧ مارس باعلان الدولة السورية المستقلة بحدودها الطبيعية والمناداة بسمو الأمير فيصل بن الحسين ملكا عليها وفي يوم ٨ منه تمت البيعة في دار بلدية دمشق وجاء في القرار التاريخي الذي أعلنه رئيس المؤتمر :

« وقد اخترنا سمو الأمير فيصل ابن جلالة الملك حسين الذي واصل جهاده في سبيل تحرير البلاد وجعل الأمة ترى فيه رجلها العظيم ، ملكا دستوريا على سورية بلقب صاحب الجلالة الملك فيصل الأول

(١٣) أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ٨٧ — ٩١ .

وأعلننا انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة فى المناطق الثلاث على أن تقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسئولة تجاه هذا المجلس فى كل ما يتعلق بأساس استقلال البلاد التام» (١٤) .

ورد الملك فيصل :

« أشكر للأمة نياتها الحسنة نحوى وعلى ما أبدته من حسن الاعتماد وأشهد الله أنى ما قمت الا بما يجب على وأتمنى أن أوفق لأقوم بكل ما يكفل استقلال البلاد وحريتها ولأعنتى بشئون الشعب السوري ورقيه وأشهدكم على قولى هذا ، والله خير الشاهدين » .

وهكذا تم العقد بين مهثلى الأمة وقائدها ، عقدا اكتملت له كل عناصر التراضى والعرض والقبول .

وفى اليوم الثامن من شهر مارس ١٩٢٠ أصدر الملك فيصل قرارا بتكليف رضا باشا الركابى لتأليف أول وزارة لسوريا المستقلة ، وأوفد فيصل اللواء نورى السعيد إلى لندن وباريس يحمل كتابين من جلالته الى الحكومتين الفرنسية والبريطانية كما بعث رسالة خاصة الى الرئيس الأمريكى ويلسون يبلغهم اعلان الاستقلال ومبايعته ملكا لسوريا (١٥) .

وفى الوقت ذاته تلقى الجنرال اللنبي فى القاهرة رسالة من الملك فيصل تحمل اليه قرار المؤتمر السوري وتؤكد له أن اعلان الدولة السورية المستقلة لن يؤثر على العلاقات الودية القائمة بين سوريا وبريطانيا وأنه ((أى فيصل) يؤكد صداقته للحكومة البريطانية .

ونقل اللنبي هذه الرسالة الى كيزون فى برقية أرسلت فى الساعة الخامسة والدقيقة الخمسين مساء يوم ١٣ مارس ١٩٢٠ (١٦)

(١٤) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ١٣٢ .

(١٥) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(١٦) Woodward and Butler op. cit. Volume 13, pp. (١٦).

224 - 225 No. 219 Field Marshal Viscount Allenby (Cairo) to Earl Curzon. No. 260 Telegraphic [E 1538 / 2 / 44] Cairo, March , 13, 1920, 5. 50 P. M.

وأبرق كيرزون فى الساعة السادسة مساء اليوم نفسه من لندن الى
النبى قائلا :

« يجب أن تخطر الأمير فيصل (كذا) فورا أن حكومة صاحب
الجلالة لا يمكن أن تعترف بحق مؤتمر دمشق فى تقرير مستقبل سوريا
وفلسطين والموصل أو العراق ، وهى لا تعلم شيئا عن تكوين هذا المؤتمر
وسلطته . ان هذه الأقطار قد فتحتها جيوش الحلفاء وأخذتها عنوة
من الأتراك ولن يتقرر مستقبلها — وهو الآن أمام مؤتمر الصلح —
الا على أيدي دول الحلفاء مجتمعة . اننا لا نعلم اذا كان « الأمير
فيصل » قد تسلم التحذير المشترك الذى بعثنا به اليه فى الثامن من
شهر مارس فى هذا المعنى ولا ندرى اذا كان مؤتمر دمشق اتخذ هذا
القرار عن جهل بذلك التحذير أم تحديا له .

« ومهما يكن الأمر فان حكومة صاحب الجلالة لا تستطيع أن
تعترف بحق هيئة كونت نفسها بنفسها فى دمشق أن تنظم هذه المسائل
وان حكومة صاحب الجلالة والحكومة الفرنسية لا يسعهما الا القول
بأنهما تعتبران هذه التدابير غير ذات موضوع .

« ويجب أن تضيف أيضا نيابة عن حكومة صاحب الجلالة أنه
لا يمكن بأى حال من الأحوال التسليم بحق أية هيئة فى دمشق أن تقرر
مصير العراق أو الموصل .

« وعليك أن توجه الدعوة مرة أخرى للأمير فيصل أن يعود الى
أوروبا ليمسك قضيته أمام مؤتمر الصلح » (١٧) .

وتحرك السفير الفرنسى فى لندن بتوجيه من حكومته لينقل
الى الحكومة البريطانية أن الموقف — فى رأى الحكومة الفرنسية —
يقتضى أن ترسل الحكومتان برقية أخرى بصفة عاجلة الى الأمير فيصل

Woodward and Butler op. cit. p. 225, No. 220, Earl (١٧).
Curzon to Field-Marshal Viscount Allenby (Cairo) No. 223
Telegraphic [E 1461 / 2 / 44] Foreign Office, March, 13,
1920 6. P. M.

تعلنان فيها أنهما لا تعترفان بقرار المؤتمر السوري على الإطلاق
وأن ترسل البرقية باسم الحكومتين إلى فيصل عن طريق المارشال
اللنبي (١٨) •

لكن حقائق الموقف في سوريا لم تدع للفيلد مارشال اللنبي خيارا
غير أن ينصح حكومته قائلا « إذا أصرت الدول المتحالفة على عدم
الاعتراف بما قام به فيصل والمؤتمر السوري فإن ذلك يعنى نشوب حرب
مؤكدة ، وإذا بدأت العداوات فإن العرب سوف ينظرون إلى الفرنسيين
والانكليز نظرة تضعهم في مصاف الأعداء ، وسوف يجربنا الفرنسيون
إلى حرب ... ليست في مصلحتنا ولسنا على استعداد لخوض
غمارها » (١٩) ومن ثم نصح اللنبي - وألح في النصح - أن تعترف
الدول بسيادة فيصل على أمة عربية أو اتحاد عربي يضم سوريا
وفلسطين والعراق ، على أن تبقى إدارة سوريا في أيدي الفرنسيين
وتشرف بريطانيا على إدارة فلسطين والعراق ، وذكر اللنبي أن هذا
الاقتراح - في اعتقاده - سيكون مقبولا لدى فيصل وسوف يضمن
لبريطانيا صداقة العرب •

ومع أن الاقتراح الذي تقدم به اللنبي إلى حكومته لا يحمل غير
اعتراف شكلي بما سماه سيادة فيصل على أمة عربية أو اتحاد عربي
مع الاحتفاظ بالسلطة الحقيقية لبريطانيا وفرنسا ، فإن كيرزون لم
يقبل الاقتراح ذاكرا أنه لا يقبل وصاية من فيصل يأخذ بمقتضاها سوريا
وفلسطين والعراق قبل أن ينظر مؤتمر الصلح في الموضوع برمته •
ومن ناحية أخرى قال كيرزون أنه لا يستطيع أن يفهم كيف يمكن

Woodward and Butler op. cit., p. 224, No. 218, (١٨)
Letter from the French Ambassador to Earl Curzon, [E 1461 /
2 / 44] Ambassade De France A' Londres, 11 Mars, 1920.

Woodward and Butler op. cit., p. 231, No. 223, Field- (١٩)
Marshal Viscount Allenby (Cairo) to Earl Curzon No. 271
Telegraphic [E 1813 / 2 / 44] , Cairo, March 18, 1920.

التوفيق بين الاعتراف بفيصل ملكا على بلاد تمثل فلسطين جزءا منها وبين مطالب الصهيونية ؟ (٢٠) *

ودار حوار طويل بين اللنبى فى القاهرة وكيزون فى لندن حول أنجع الوسائل لمعالجة الموقف فى سوريا وفلسطين وكانت مهمة اللنبى عسيرة لأنه بصفته موظفا مسئولا عن أمن المنطقة لا يستطيع أن ينكر الحقائق التى يلمسها عن كثب وهى حقائق لا ترضى عنها حكومته فى لندن وليس فى استطاعته أن يحجب هذه الحقائق عن لندن لأن اخفاءها قد يزيد الموقف تعقيدا ، فالمؤتمر السورى - فى رأى اللنبى - وتمثيله للشعب العربى فى سوريا وفلسطين وبيعة فيصل بالملك حقائق لا سبيل الى انكارها ولكن اثبات الحقائق لا يعفى اللنبى من مسئولية تنفيذ السياسة التى تقررها حكومته وقد قرر المسئولون فى لندن أن المؤتمر السورى لا وجود له وأن فيصل ليس ملكا على الدولة السورية الموحدة وأن فلسطين ليست جزءا من سوريا ولكنها الوطن المرتقب للشعب اليهودى ، وأحس اللنبى بخطورة المسئولية الملقاة على عاتقه فأثر أن يبصر حكومته بالحقائق أولا ثم يتقدم الى كيزون بمشروع جمع بين كل النقائص والأضداد ، فكتب الى كيزون فى ٢٠ مارس ١٩٢٠ (٢١) قائلا ان الحقائق التى يعلمها أن مؤتمر دمشق يمثل رغبة الكثرة الراجحة فى سوريا رغم أن موقف الدروز والكنيسة الأرثوذكسية يشوبه بعض التردد ثم اقترح أن يعترف مؤتمر الصلح بفيصل ممثلا لأهل سوريا وفلسطين مع الاعتراف لسكان هذين القطرين بحقوقهم فى الاتحاد تحت لواء سلطة واحدة ، على أن يعترف العرب بمطامع بريطانيا فى فلسطين والعراق ومطامع فرنسا فى سوريا ولبنان ومطامع الصهيونية فى

Woodward and Butler op. cit., p. 231, No. 224 Earl (٢٠)
Curzon to Field-Marshal Viscount Allenby (Cairo) No. 251
Telegraphic [E 1813 / 2 / 44] Foreign Office, March, 19, 1920.

Woodward and Butler op. cit. p. 233 No. 225 Field- (٢١)
Marshal Viscount Allenby (Cairo) to Earl Curzon, No. 273
Telegraphic [E 1927 / 2 / 44] Cairo, March 20. 1920.

فلسطين !! ورحب كيزون باقتراح اللنبى (٢٢) قائلا انه لن تكون هناك صعوبة فى الاعتراف بفيصل على النحو المقترح ولكن ذلك رهين بشرطين : أن يحضر فيصل الى مؤتمر الصلح ويعترف لفرنسا بوضعها الخاص فى سوريا ولبنان ، ولبريطانيا بوضعها فى فلسطين مع الاعتراف بالتزام بريطانيا نحو الصهيونيين باعداد وطن قومى لهم فى فلسطين * ونلمح من خلال هذا التصريح أن بريطانيا تريد أن تلتزم فيصل بالحضور الى باريس ليعلن تسليمه بالمطامع البريطانية الفرنسية والصهيونية فى البلاد العربية على ألا تلتزم هى بشيء على الاطلاق !!

وأدرك اللنبى أن اقتراح كيزون ينطوى على حيلة لن يتردد فيصل فى رفضها فرد على رسالة كيزون قائلا « اننى أشك كثيرا فى قبول فيصل لهذا العرض الا اذا أبلغناه فى الوقت ذاته أن مؤتمر الصلح سوف يعترف فى معاهدة الصلح مع تركيا بمبدأ الوحدة بين سوريا وفلسطين فى ظل سلطة واحدة كما نصحت فى برقيتى رقم ٢٧٣ » (٢٣) وحذر اللنبى مرة أخرى السلطات البريطانية فى لندن من الاستهانة بأمر المؤتمر السورى وعدم الاعتراف به ممثلا لارادة الكثرة فى سوريا *

وبينما كان كيزون يسعى جاهدا لاجباط عمل المؤتمر السورى فى دمشق ، تلقى رسالة من الكولونيل ماينرتزاجن فى القاهرة تؤكد الأنباء التى وردت عن انعقاد المؤتمر العراقى العام فى ٨ مارس ١٩٢٠ وعلان استقلال الدولة العراقية التى تمتد حدودها من شمال ولاية الموصل الى الخليج الفارسى ومبايعة الأمير عبد الله ملكا للعراق وانهاء الاحتلال البريطانى (٢٤) *

(٢٢) Woodward and Butler op . cit. p. 235, No. 228 Earl

Curzon to Field - Marshal Viscount Allenby (Cairo) No. 264
Telegraphic [E 1927 / 2 / 44] Foreign Office, March 22, 1920.

Woodward and Butler op . cit., pp. 235 - 236, No. (٢٣)

229 Field-Marshal Allenby (Cairo) to Earl Curzon No. 282
Telegraphic [C 2068 / 2 / 44] Cairo, March 23, 1920.

Woodward and Butler op. cit. pp. 236 - 237, No. (٢٤)

230 Colonel Meinertzhager (Cairo) to Earl Curzon No. Pol./607
Telegraphic [E 2329 / 2 / 44] Cairo, March, 26, 1920.

وأبرق الملك حسين الى اللنبى مؤكدا مبدأ الوحدة العربية مذكرا اياه بكتاب ماكماهون المؤرخ فى ٣٠ أغسطس عام ١٩١٥ الذى أيد فيه رسالة من كتشنر تتعلق بالخلافة واستقلال العرب ، وأعرب الملك حسين فى برقيته الى اللنبى عن تأييده لقرارات المؤتمر السورى والمؤتمر العراقى ووصف تلك القرارات بأنها تتفق والمبادئ التى أعلنها مؤتمر الصلح (٢٥) .

ومع ذلك فان القضية سارت فى الاتجاه الذى رسمته لها السياسة البريطانية والفرنسية غير عابئة بحقوق الشعب العربى صاحب الكلمة الأولى فى تقرير مصيره ، رغم الاحتجاج الذى بعث به الملك حسين الى اللنبى معلنا أنه ليست له صلة بمؤتمر الصلح لأن ارتباطه كان مع بريطانيا عن طريق ممثلها فى مصر (يعنى ماكماهون) وأن بريطانيا هى التى دعت الى الثورة على تركيا وقبلت شروطه الخاصة باستقلال الوطن العربى وأنه ضحى بكل شئ فى سبيل الثورة على الأتراك استنادا الى ثقته فى بريطانيا (٢٦) .

ورفض فيصل — بحق — دعوة الحكومة البريطانية له لحضور اجتماعات مؤتمر الصلح ، وضاق المسئولون البريطانيون فى لندن ذرعا بموقف فيصل وقررت الحكومة البريطانية قطع الاعانات المالية التى كانت تقدمها له وذلك لحمله على قبول دعوة المجلس الأعلى للصلح بالتوجه الى أوروبا ، ولقى اللنبى نصيبا من التأييد لأنه دفع لفيصل العون المالى المستحق عن شهرى يناير وفبراير ١٩٢٠ (مائة ألف جنيه) وطلب من اللنبى أن يتقدم بمذكرة عن أسباب هذه المخالفة التى ارتكبها لتعرض على مجلس الوزراء البريطانى (٢٧) ، وكان للجنرال اللنبى رأى

Woodward and Butler op. cit., p. 237., No. 231 (٢٥)
Field - Marshal Allenby (Cairo) to Earl Curzon, No. 298
Telegraphic [E 2491 / 2 / 44] Cairo, March, 27, 1920.

Woodward and Butler op. cit. p. 246, No. 237 (٢٦)
Allenby (Cairo) to Curzon, April 7, 1920.

Woodward and Butler op. cit., p. 286, Curzon to (٢٧)
Allenby, Foreign Office June, 9, 1920.

فى الاعانات المالية التى تقدمها بريطانيا للحكام فى الأقطار العربية أدلى به فى كتابه المؤرخ ٢٨ مايو سنة ١٩٢٠ (٢٨) الى كيزون ، حيث قال : ان سياسة الحلفاء فيما يتعلق بسوريا وفلسطين لا تتفق ورغبات المواطنين هناك وأن بريطانيا تواجه تهمة الحنث بوعدها وبسبب هذا الموقف انفتح المجال أمام الدعاية التركية والبلشفية ، وقد كانت الحكومة البريطانية فعلا تخشى أن ينحاز فيصل — بتأييد من البلشفيك — الى جبهة الأتراك القوميين فى نضالهم ضد بريطانيا وفرنسا ، اذا لم تتفق معه فرنسا بشأن الوضع فى سوريا ومن ثم اقترح كيزون أن تسعى الحكومة الفرنسية لتحقيق هذا التفاهم مع فيصل ووضح كيزون فى رسالته الى السفير الفرنسى فى لندن أن فيصل اذا رفض الحضور بشخصه الى أوروبا فعليه أن يتحمل النتائج المترتبة على ذلك ومنها سحب الاعتراف به بصفته ممثلا للحجاز فى مؤتمر الصلح وإيقاف الاعانات المالية التى يتلقاها من بريطانيا وفرنسا واعطاء فرنسا حق احتلال الخط الحديدى بين حمص وحلب (٢٩) .

وتدخلت الصهيونية لتزيد الموقف اشتعالا فبعث هربرت صمويل برسالة الى كيزون (٢٦ يونيو ١٩٢٠) قال فيها ان رئيس الوزراء الفرنسى مسيو ميليران يخشى أن يتجه العرب الى ضرب الفرنسيين بالانجليز ولذلك فانه يطالب أن تتم كل الاتصالات من جانب بريطانيا مع فيصل عن طريق الجنرال غورو الحاكم العسكرى الفرنسى فى سوريا . . . (٣٠) وكان صمويل قد عين حاكما عاما على فلسطين بعد أن قرر الحلفاء فى مؤتمر سان ريمو اخضاع سوريا للانتداب الفرنسى ووضع العراق وفلسطين وشرق الأردن تحت الانتداب البريطانى مع الالتزام بانشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، وبلغ فيصل هذا

Woodward and Butler op. cit., p. 274, No. 253, (٢٨)
Allenby (Cairo) to Curzon No. 559 Telegraphic [E 6180 / 28 / 2854 / 44] Cairo May, 28, 1920.

Woodward and Butler op. cit., p. 271, No. 251 (٢٩)
Curzon to the French Ambassador, London, May 18, 1920.

Woodward and Butler op. cit., p. 297 Herbert (٣٠.)
Samuel to Curzon, June 26 , 1920.

القرار رسميا في رسالة من اللبني مؤرخة في ٢٧ أبريل ١٩٢٠ (٣١) ورفض فيصل فكرة الانتداب قائلا « ان كلمة الانتداب لا حد لها وليس لها معنى صريحا وقد رفضتها الأمة رفضا باتا ولا يقبلها أحد يريد الحياة ، فهي كلمة مطاطة ، تفسر طورا بأشد أنواع الاستعمار وتارة بأخف ضروب المعاونة الودية التي لا تمس الاستقلال ومع ذلك فقبولها عار على أمة تريد الحياة » (٣٢) .

كان تعيين هربرت صمويل حاكما عاما على فلسطين انتصارا لمساعي قادة الصهيونية نحو الاستيلاء على فلسطين وامعانا في التحدي لمشاعر الأمة العربية وقد تسربت أنباء تعيينه الى فيصل وشعب فلسطين فبعث فيصل بمذكرة الى الحكومة البريطانية يستفسر فيها عن صحة هذا النبأ الذي كان له أسوأ الأثر على الأمة العربية لأن صمويل عرف على نطاق عالمي بأنه صهيوني مثله الأعلى أن يؤسس دولة يهودية على أنقاض جزء كبير من سوريا (فلسطين) ووجه فيصل نظر الحكومة البريطانية الى أن العرب يعتبرون هذا التعيين — اذا صح النبأ — قد تم ضد مصالحهم وطلب فيصل من الحكومة البريطانية — اذا أكدت صحة الخبر — أن تعيد النظر في الموضوع وتلغى قرار التعيين لأنه ضار بمصلحة العرب (٣٣) .

ومع أن اختيار هربرت صمويل حاكما عاما لفلسطين قد تم من قبل لويد جورج عن قصد وتدبير لتنفيذ البرنامج الصهيوني في فلسطين (٣٤) ولأن صمويل من الملتزمين بأهداف الحركة الصهيونية . فان الأسباب التي ذكرها كيزون لهذا التعيين في معرض رده على رسالة الملك فيصل تشير الى أن الخداع ما زال سمة ملازمة للمسؤولين

(٣١) Woodward and Butler op. cit., p. 253.

(٣٢) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ١٥٠ .

(٣٣) Woodward and Butler op. cit. p. 284, Allenby to

Curzon No. 257, Cairo, June 9, 1920.

(٣٤) E. Kedourie, The Chatham House Version and other Middle Eastern Studies, Sir Herbert Samuel and the Government of Palestine, pp. 52 - 54.

البريطانيين فى علاقاتهم مع العرب ، فقد جاء فى رسالة كيزون الى اللنبى فى ١٤ يونيو ١٩٢٠ :

« لقد تقرر تعيين مستر صمويل مندوبا ساميا لفلسطين لاقتناع الحكومة (البريطانية) بأن سمعته المالية وخبرته الادارية تجعله أهلا لهذه المهمة بالذات ولأن نفوذه على الصهيونيين وعطفه المعروف نحو العرب (كذا) سوف يمكنه من الحكم بالعدل والقسطاس المستقيم » وختتم كيزون كتابه قائلا « اننا نعتقد أن الأمير (يعنى فيصل) والعرب سيجدون صمويل صديقا مخلصا لهم » (٣٥) .

لقد أشار بعض الباحثين فى قضية فلسطين من أبناء الأمة العربية الى تعيين هربرت صمويل بما يوحي الى الأذهان أن العرب فى ذلك الوقت كانوا يجهلون صمويل وصلته بالحركة الصهيونية وأنهم (لم يقوموا بثورة ولا حتى بمظاهرات عند مجيئه وكانوا لا يعرفون الرجل ونشاطه) (٣٦) غير أن الوثائق تثبت غير ذلك . لقد كان العرب فى سوريا وفلسطين يعرفونه حق المعرفة وقد رأينا فى تقرير الرائد كامب (انظر الفصل الثالث) ما قام به الشعب العربى فى فلسطين من استعداد لمقاومة تنفيذ البرنامج الصهيونى ولم يكن تعيين هربرت صمويل سوى مرحلة من مراحل تنفيذ ذلك البرنامج . أما من الناحية الرسمية فإن الملك فيصل لم يترك مجالا لاستقيد وقام اللنبى نفسه بنقل ما رأى وسمع من الشعب العربى الى المسئولين فى لندن :

« ان تعيين أحد اليهود ليكون أول حاكم عام على فلسطين ، أمر بالغ الخطورة فى نظر سكان هذه البلاد . والسكان المسلمون فى حالة هياج شديد الآن لما ترامى اليهم من أنباء بأن وعد بلفور سوف يدرج فى معاهدة الصلح . أن المسلمين سوف يعتبرون تعيين أول حاكم عام

(٣٥) Woodward and Butler op. cit., p., 287, No. 261
Curzon to Allenby, Foreign Office, June, 14 - 1920.

(٣٦) جلال يحيى ، مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية . منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٦٥ ص ٦٨ — ٦٩ .

لفلسطين من اليهود — حتى لو كان بريطاني الجنسية — بمثابة تسليم البلاد فوراً لإدارة صهيونية دائمة » (٣٧) .

وفي هذا الوقت كانت فرنسا تمهد للاستيلاء على سوريا عن طريق إثارة الفتن والاضطراب وتسليح العناصر الموالية لها في سوريا مما دفع الملك فيصل إلى مناشدة رئيس وزراء بريطانيا أن يبذل مساعيه مع الحكومة الفرنسية لإطفاء نار الفتنة ، وجاء في رسالة فيصل أن المسيحيين والمسلمين في سوريا يعيشون أخوة في قطر واحد بل انهم لم يتخلوا عن هذه الروح الأخوية حتى في ظروف الحرب عندما حاول الأتراك (الاتحاديون) الإيقاع بينهما ، وأضاف فيصل قائلاً : « يبدو أن الإدارة الفرنسية السيئة هي سبب المتاعب القائمة الآن في كل مكان في المنطقة الغربية وإذا كانت المساعدة التي تريد فرنسا أن تقدمها لسوريا هي سياسة «فرق تسد» فإني أعلن بصراحة منذ الآن أننا نرفض هذه السياسة » (٣٨) .

وفي نهاية شهر يونيو ١٩٢٠ أعلنت الحكومة الفرنسية عن طريق سفير بريطانيا في باريس (مستر داربي) أن وقت التحالف بين فرنسا وبريطانيا ضد فيصل قد انتهى وأنه منذ ذلك التاريخ يجب أن يترك أمر الاتصال بفيصل لفرنسا وحدها ، إذا رأت ما يدعو إلى الاتصال ، وشكت الحكومة الفرنسية لبريطانيا أن فيصل يحاول أن يقذف بالفرنسيين إلى البحر ، ومن ثم فإن الحكومة الفرنسية ليست ملزمة بالاعتراف به ولن تسمح لفيصل أن يفرض إرادته عليها (٣٩) . وكانت هذه الرسالة بمثابة إنذار من الحكومة الفرنسية بأنها قررت أن تحسم القضية بالتدخل العسكري في سوريا وهذا ما حدث في شهر يوليو ١٩٢٠ عندما أرسل الجنرال غورو إنذاراً في ١٤ يوليو

(٣٧) Woodward and Butler op. cit., p. 255, No. 246
Allenby (Cairo) to Curzon, May 6, 1920.

(٣٨) Woodward and Butler, op. cit. pp. 283 - 284 No. 256,
Allenby (Cairo) to Curzon, June, 4, 1920.

(٣٩) Woodward and Butler op. cit., p. 297, The British
Ambassador, Paris, to Curzon, June, 29, 1920.

الى الحكومة السورية مطالبا بتسريح الجيش السوري والاعتراف بالانتداب الفرنسى ، ومع أن الحكومة السورية أكرهت على قبول الانذار فان القوات الفرنسية زحفت نحو دمشق وبدأت الاشتباكات فى ٢٢ يوليو واستتبست القوات العربية الشعبية فى السدفاع عن أرضها ضد الغزو الأجنبى الجديد ولكن قوة السلاح الفرنسى أسكتت صوت الحق العربى ودخلت القوات الفرنسية دمشق فى ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٠ على أشلاء شهداء « ميسلون » (٢٤ يوليو) وعزل الجنرال غورو الملك فيصل ليؤلف حكومة من العناصر الموالية للاحتلال الفرنسى ونزع سلاح الجيش العربى وأحال قوات الشعب الى فرقة من الشرطة وأعلن نهاية حكم فيصل وشرع فى محاكمة الوطنيين الذين دفعوا ضريبة الوطن من عرقهم ودمائهم وفى ٢٧ يوليو ١٩٢٠ طلب من فيصل مغادرة دمشق ولم يذعن فيصل لأمر غورو فأخرج عنوة من عاصمة بلاده فى ٢٨ يوليو من العام ذاته فنقل الى حوران ومنها الى حيفا ثم توجه الى ايطاليا (٢٨ أغسطس ١٩٢٠) ليواصل الدفاع عن قضية العرب وكان يرافقه احسان الجابرى وساطع الحصرى ونورى السعيد (٤٠) ومن مدينة كومو فى ايطاليا بعث بمذكرة طويلة الى لويد جورج (١١ سبتمبر ١٩٢٠) بسط فيها شكاته وناشد بريطانيا أن تنجز وعدها للعرب (٤١) وأسدل الستار — الى حين — على مأساة الحرية فى الشرق العربى ولما يجف المداد الذى سطرت به مبادئ مؤتمر السلام .

وفى مصر واصلت بريطانيا مساعيها لضرب الوحدة الوطنية عندما أخفقت فى قمع ثورة الشعب المصرى بقيادة سعد زغلول ، فسعت قبل وصول لجنة ملنر فى ٧ ديسمبر سنة ١٩١٩ الى اثاره الفتنة الداخلية عندما كلفت يوسف وهبة باشا بتأليف الوزارة على اثر استقالة وزارة محمد سعيد باشا التى كان من رأيها تأجيل وصول لجنة ملنر حتى يتم الصلح بين الحلفاء والدولة العثمانية (٤٢) ، لقد أدركت الحكومة

(٤٠) أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

(٤١) انظر نص المذكرة فى أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ٢١٢—٢٣٣

(٤٢) محمد أنيس ، دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ، ج ١ ص ٥٠ .
(١١ — نكبة الامة العربية)

البريطانية أن اندلاع ثورة ١٩١٩ في مصر يقتضى تغييرا في سياستها وان كان شكليا وتغييرا في مواقع المسئولين عن تنفيذ تلك السياسة في مصر وكان من نتائج هذا الاتجاه ابعاد ريجنالد وينجت وتعيين الفيلد مارشال اللنبي خلفا له على دار العمادة في مصر ، وارسال لجنة ملنر (٧ ديسمبر ١٩١٩ — ٦ مارس ١٩٢٠) للبحث في أسباب ما وصفته الدوائر البريطانية الرسمية بالاضطرابات الأخيرة في مصر والنظر في وضع نظام اساسي للحكم في المستقبل في اطار الحماية البريطانية وكان رئيس اللجنة اللورد ملنر ومن أعضائها « Cecil Hurst » و « J. A. Spender » واذا كان كيرزون قد حدد مهمة اللجنة في احدى رسائله الى اللنبي (٥ أكتوبر ١٩١٩) بأنها «تتلخص في وضع تفاصيل لدستور يحدد دائرة اختصاص كل من بريطانيا باعتبارها صاحبة الحماية على مصر والحكومة المصرية»^(٤٣) ، فان اتجاه الحكومة البريطانية كما تصوره ملنر كان لا يهدف الى تصفية الحماية بقدر ما كان يرمى الى دعمها^(٤٤) . ومن ثم يتضح أن الغرض من ارسال اللجنة لا يعدو أن يكون ذرا لارماد في العيون وهذا ما يفسر موقف الشعب المصري ودوره الايجابي في مقاطعة اللجنة . وتحدثنا وثائق ثورة ١٩١٩ عن رأى القوى الوطنية في اللجنة كما تحدثنا عن الموقف الداخلى في مصر والعنف الذى قابلت به قوات الاحتلال مظاهرات الوطنيين والحصار الذى ضربه أهل مصر على لجنة ملنر حتى باءت بالفشل . . فقد جاء فى تقرير لسعد زغلول (٢٨ أغسطس ١٩١٩) : « لا بد أن تكونوا علمتم بأن اللجنة الانجليزية التى تعينت برئاسة اللورد ملنر للتوجه الى مصر ستتوجه قريبا وأن مهمتها البحث عن أسباب الاضطرابات الأخيرة والنظر فى نظام يكفل تحت الحماية الانجليزية التدرج فى الحكم الذاتى فمهمتها مما توسعت ومما لاحظت فى تنفيذها مصلحة المصريين لا تنطبق مع أمانهم ولا تتفق مع مطلب الاستقلال التام الذى كلفتنا الأمة بالسعى اليه وجدنا للسعى له ما استطعنا اليه سبيلا ولذلك

E. Kedourie op. cit., p. 120, Quoting Documents (١٣)
Collected for The Special Mission, Vol. 3, p. 112. F. O. 848/1.

E. Kedourie, op. cit., p. 120. (٤٤)

استحسننا ونستحسن رأيكم فى اجتناب مخابرة هذه اللجنة بأى طريقة كانت « (٤٥) • وتصف رسائل عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول فى باريس فظائع الاحتلال البريطانى فى ضرب ثورة ١٩١٩ ويقظة شعب مصر ونجاحه فى احباط الفتنة الداخلية التى أراد الاستعمار البريطانى اثارها باسناد الوزارة الى يوسف وهبة • قال عبد الرحمن فهمى فى احدى رسائله : « ان المظاهرات التى حصلت بالاسكندرية ونوهمتم بجوابكم أن أخبارها ساءتكم لم تكن شيئاً بجانب ما حصل بعدها بمصر والاسكندرية وأرسلنا ما وصل الى علمنا عنها تلغرافيا اليكم ، نسأل الله الخلاص مما نحن فيه » •

« ان المظاهرات التى حصلت أمس بالاسكندرية قوبلت بعنف وشدة متناهية والأخبار متناقضة فى عدد القتلى والجرحى ولذلك ما أمكننا ذكرها بالتلغراف الذى أرسلناه لسعادتكم اليوم وأهم شيء فى هذا الموضوع هو نص استقالة محافظ الاسكندرية التى يقول فيها حرفياً : « ان الرصاص يطلق فى شوارع المدينة من غير داع وقد ارتكب أحد المفتشين خطأ لا مبرر له ولم أبلغ شيئاً من الحوادث ولهذا أقدم استقالتي » (٤٦) •

وعن مهمة اللبى ومقاطعة الشعب لحكومة يوسف وهبة كتب عبد الرحمن فهمى فى ٣ ديسمبر ١٩١٩ :

« ١ — فلقد عاد اللورد اللبى من انجلترا مزوداً بشدة متناهية فى كل شيء •

« ٢ — حصل اجتماع كبير بالكنيسة المرقسية يوم الجمعة ٢١ نوفمبر حضره أكثر من أربعة آلاف شخص من عليّة الأمة القبطية وكتبوا احتجاجاً شديداً جداً ضد ترشيح يوسف باشا وهبة لرئاسة الوزارة وضده اذا قبل وهو غاية فى الاحكام » (٤٧) •

(٤٥) محمد أنيس ، المصدر نفسه ج ١ ص ٤٢ •

(٤٦) محمد أنيس ، المصدر نفسه ص ١٥٥ — ١٥٦ من عبد الرحمن

فهمى الى سعد زغلول (غير مؤرخة) •

(٤٧) محمد أنيس ، المصدر نفسه ص ١٥٧ — ١٥٨ •

« ٦ — لقد نشط قلم المطبوعات نشاطا زائدا فى مراقبة الجرائد والتضييق عليها فهو يستدعى من وقت الى آخر أصحاب الجرائد ورؤساء تحريرها ويهددهم بالقتل ان لم يعتدلوا فى لهجتهم ولا يتعرضوا للسلطات والوزراء والحالة العامة حتى أن مستشار الداخلية اشترك فى قلم المطبوعات فى هذه المأمورية وهو الآخر يستدعى أصحاب الجرائد ويهددهم بهذه الصفة •

« ولقد أصدرت السلطة العسكرية أمرها أمس تاريخه بقفل جريدة مصر وأظن أن مقالات سينوت بك من أكبر الأسباب لهذا القفل ولا يعرف الى أى حد تصل بنا هذه المعاملة المقاسية ولا أدرى ما هى قيمة أبحاث لجنة ملنر فى الشئون المصرية بعد قفل ثلاثة (هكذا وردت) جرائد عربية وكم أفواه الباقية وسيف الأحكام العرفية لا يزال مسلولا على رقاب الجميع بل مسلولا بحالة أشد مما كان عليها ابان الحرب • نسأل الله الخلاص » (٤٨) •

ثم يتحدث عبد الرحمن فهمى عن وصول لجنة ملنر ومقاطعة الشعب لها :

« ٢ — وصلت لجنة اللورد ملنر صباح الأحد ٧ الجارى (ديسمبر ١٩١٩) بطريقة مستترة جدا ، بحيث لم يعلن عنها فى الجرائد الا حين وصولها الى القاهرة •

« حيا الله الأمة المصرية فقد نفذت ارادتها التى أعجبت الوفد وأحكمت مقاطعتها لهذه اللجنة احكاما شديدا جدا وراقبت ذوى النفوس الصغيرة الذين كان يظن تقدمهم للتكلم مع اللجنة مراقبة شديدة حلت أعصاب « الحزب المستقل الحر » الذى كونه يد الغاصب وأمواله لهذه الغاية » •

ويمضى عبد الرحمن فهمى قائلا :

« ٤ — لم تكتف الأمة المصرية بمقاطعة اللجنة الانجليزية بل

أرادت أن تظهر استيائها للملأ بطريقة محسومة فأضربت تلاميذ المدارس وطلبة المعاهد الدينية عن الدراسة وأضرب المحامون الأهليون وكذلك المحامون الشرعيون لمدة سبعة أيام ابتداء من ١٧ ديسمبر الجارى ، كذا أضرب المحامون الوطنيون لدى المحاكم المختلطة سبعة أيام كذلك أضربت الطوائف الأخرى كالحوزية وعمال الترام ولفافى السجاير الخ وكانت صيغة اضرابهم لا تخرج عن احتجاجهم على الحماية واحتجاجهم على قدوم اللجنة الانجليزية وطلب الاستقلال التام وتوجت هذه الحركة المباركة باحتجاجين عظيمين لهما من الأهمية المكانة الأولى ألا وهما احتجاجا هيئة كبار العلماء والمجلس الأعلى للأزهر والمعاهد الدينية وأولهما خاص بالاحتجاج على دخول العساكر الانجليزية يوم ١١ ديسمبر داخل الأزهر الشريف » (٤٩) .

وفى ٧ يناير ١٩٢٠ كتب عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول :
« أحمد الله الذى وفقنا الى احكام عملية مقاطعة اللجنة احكاما فاق حد المنتظر وأذهل الجميع هنا وأصبح أعضاء اللجنة الانجليزية يتنقلون لزيارة من يتوسمون فيهم خيرا لمناقشتهم أو قبول مفاوضاتهم فلم يجدوا الا اعراضا ونفورا من كل مفاوضة وأصبح ثابتا عند الجميع أن الهيئة الوحيدة التى يمكن المفاوضة معها باسم الأمة المصرية هي هيئة الوفد المصرى الموقرة » (٥٠) .

وقد أكد اللورد ملنر نفسه خطورة المقاطعة التى واجهتها لجنته فى مصر عندما ألقى « أئله كان دائما يشعر أن الوزراء كانوا يتطلعون فى قلق الى خروجنا من البلاد دون أن يلزموا أنفسهم بأى حال من الأحوال » كما أعلن يوسف وهبة فى مقابلة له مع ملنر فى ٢٩ فبراير سنة ١٩١٩ أن وزراء حكومته يؤثرون ألا يستشاروا فى أية مقترحات قد ترى لجنة ملنر أن تتقدم بها (٥١) .

(٤٩) محمد أنيس ، المصدر نفسه ص ١٦٢ — ١٦٥ : من عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول ، مصر ، فى ٢٧ ديسمبر ١٩١٩ .
(٥٠) محمد أنيس ، المصدر نفسه ص ١٧٠ : من عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول ، مصر ، فى ٧ يناير سنة ١٩٢٠ .

ومع ذلك تقدمت لجنة ملنر بتقريرها الى وزير الخارجية مستر كيرزون في ١٧ مايو ١٩٢٠ وكانت أهم مقترحاتها عقد معاهدة مع مصر وتحديد مدى اشراف بريطانيا على شئون مصر بحيث تنحصر ممارسة النفوذ المباشر في أضيق نطاق ممكن مع الاعتماد خارج ذلك النطاق على النفوذ الأدبي للمستشارين البريطانيين الذين يعملون مع الوزراء المصريين^(٥٢) في ظل ادارة مصرية * وعلى ضوء توصيات اللجنة بدأت المباحثات بين الحكومة البريطانية وعدد من رؤساء الوزارات المصرية الذين لا يملكون حق التحدث باسم الشعب المصري لحل القضية المصرية على أساس من التوفيق بين بقاء الاحتلال البريطاني ورعاية المصالح الأجنبية من ناحية ، واعطاء مصر قدرا من الحكم الذاتي من ناحية أخرى وكان طبيعيا أن تجرى هذه المفاوضات بمعزل عن رأى الكثرة من سكان البلاد الذين وقفوا مع سعد زغلول مطالبين بالاستقلال التام وبدأت في عهد وزارة عدلى يكن من يوم ١٢ الى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢١ وتعثرت المفاوضات واضطر عدلى الى تقديم استقالته وتعذر على بريطانيا تأليف وزارة مصرية تحظى باحترام الشعب وأخذ اللبى يضغط على حكومته لتقبل مقترحاته الخاصة بالتعاون مع من سماهم « العناصر المعتدلة » لوضع تسوية دائمة لنقضية المصرية وتمخضت هذه المقترحات عن تصريح (٢٨ فبراير ١٩٢٢) بعد أن كهم اللبى أفواه المعارضة الوطنية واعتقل عبد الرحمن فهمى (أكتوبر ١٩٢٠) وسبعة وعشرين من قادة الحركة الوطنية وحوكم عبد الرحمن فهمى باعتباره متهما أول في قضية المؤامرة الكبرى^(٥٣) وحكم عليه بالاعدام وترددت لندن في تأييد الحكم واحتج الوفد المصرى فى باريس على الحكم الجائر وعارض ملنر تأييد الحكم قائلا : « اننا اذا أيدنا هذه الأحكام فاننا نكون قد ارتكبنا خطأ أكبر مما فعلناه فى محاكمة دنشواى »^(٥٤) وأخيرا أوقفت السلطات البريطانية تنفيذ الأحكام وخفضت الحكم على عبد الرحمن

E. Kedourie op. cit., p. 123.

(٥٢)

(٥٣) أجمع المؤرخون أن هذه القضية ملفقة ، انظر محمد أنيس المصدر نفسه ص ١٨ .

E. Kedourie op. cit., p. 131.

(٥٤)

فهمى الى السجن • كذلك مهد اللنبى لتصريح ٢٨ فبراير باعتقال سعد زغلول ونفيه الى جزائر سيئسل (٢٣ ديسمبر ١٩٢١) •

كان تصريح ٢٨ فبراير أحد انجازات اللنبى التى حققها فى وجه معارضة عنيفة من حكومته حتى هدد بالاستقالة أكثر من مرة ، وكان اللنبى يعتقد أن الجو قد خلا له بعد اسكات صوت المعارضة الوطنية لينفرد بالتعاون مع العناصر التى لم تقف الى جانب الشعب (العناصر المعتدلة) فى سبيل تنفيذ السياسة الجديدة التى ترمى الى الغاء الحماية مع الاحتفاظ لبريطانيا بالسلطات التى كانت تمارسها فى ظل الحماية وهى تأمين مواصلات الامبراطورية فى مصر والدفاع عن مصر وحماية المصالح الأجنبية فى مصر ومسألة السودان مع بقاء قوات الاحتلال • وأذعن مجلس الوزراء البريطانى لوجهة نظر اللنبى ومستشاريه بعد استدعائه الى لندن للتشاور وأعلن تصريح ٢٨ فبراير بعد مفاوضات بين اللنبى وثروت باشا ، مؤذنا باستقلال مصر واتخاذ ولى الأمر فيها « السلطان أحمد فؤاد » لقب ملك مصر ولكن بريطانيا احتفظت لنفسها بالشروط الأربعة سالفه الذكر فيما يتعلق بتأمين المواصلات الامبراطورية والدفاع عن مصر ورعاية المصالح الأجنبية ومسألة السودان • ومن الواضح كما قال الأستاذ العقاد أن بريطانيا « لو لم تحتفظ بهذه الشروط الأربعة لكان فى جيشها المقيم بالبلاد الكفاية لتحقيق كل دعوى تدعيها وتضييع كل استقلال تعصم به البلاد المحتلة » (٥٥) •

لكن الحكومة البريطانية أدركت بعد فترة من عدم الاستقرار فى مصر أن السياسة التى تبناها اللنبى بتأييد منها لحل القضية المصرية أفضت بهم الى طريق مسدود وأن اعتماد بريطانيا على من سمتهم « المعتدلين » فى مصر لتنفيذ سياستها كان بمثابة امتطاء صهوة الحصان الخاسر كما يقول التعبير الانجليزى ، ولم تجد مناصا من الافراج عن سعد زغلول بعد اعلان تصريح ٢٨ فبراير فعاد سعد من منفاه وخاض

الوفد أول انتخابات شعبية بعد إلغاء الحماية وإعلان النظام الملكي الدستوري في مصر، وقال الشعب العربي في مصر كلمته في الانتخابات (٢٧ سبتمبر ١٩٢٣). وحمل سعدا على الأعناق إلى كرسى رئاسة الوزارة ، وزارة الشعب الأولى (٢٨ يناير ١٩٢٤) ومنذ ذلك التاريخ بدأ الجهاد الوطنى الشاق لتحقيق الاستقلال لأن سعدا « كان يقول اذا ذكرت وزارة الشعب الأولى وأزماتها ومعضلاتها : ان عيينا الأكبر في تلك الوزارة أننا أخذناها جدا وصدقنا أننا مستقلون » (٥٦) .

* * *

الفصل الخامس

الصَّهْيُونِيَّة

● ترقب اليهود للمعجزة — المركز الروحي لليهود المنفى « Diaspora » جبل صهيون — أحلام اليهود في العودة الى فلسطين — الصهيونية السياسية فكرة حديثة — البحث عن أسس فلسفية — موسى هس — المسألة اليهودية — هرنزل والدولة اليهودية — خلاف يهودي حول الصهيونية — بنسكرو والحل الاقليمي — التحرر النفسي — الاحتفاء بالنفوذ البريطاني — مؤتمر بال — وايزمان يضمن على الصهيونية طابعا فلسفيا — براندايس — أحدها عام — كثرة يهود العالم ضد الصهيونية — توينبي وأبا ايان — معارضة عاتية ضد الصهيونية في بريطانيا وفرنسا — تحالف الصهيونية والاستعمار البريطاني — وزارة الخارجية الامريكية ضد وعد بلفور — الحرب العالمية الأولى ترجح كفة الصهيونية — النظام المصرفي الامريكي في قبضة اليهود الالمان — ابتزاز صهيوني — « Warburg » — أسرة « Herr Warburg Untermyer » — التنسيق بين براندايس ووايزمان والرئيس ويلسون — تحول امريكي رسمي لصالح الصهيونية — السناتور « J.A. Reed » يعارض وعد بلفور — الصهيونية تعد وثيقة الانتداب البريطاني على فلسطين — اللجنة الصهيونية في القدس — وايزمان يهدد — ثورة شعب فلسطين — لجان التحقيق — بلفور في فلسطين يرافقه بولسون نيومان — بلفور يتحرك في فلسطين تحت الحراسة المشددة — المتظاهرون يرمون بلفور بالحجارة — عصبة الامم تجيز وعد بلفور ووثيقة الانتداب على فلسطين — الصهيونية تحقق اهدافها .

* * *

الصهيونية

من المعالم الشهيرة فى تاريخ اليهودية قلعة مدينة القدس القديمة المعروفة بجبل صهيون وهو معلم ارقبط فى أذهان اليهود ومشاعريهم بتاريخ عقيدتهم وذكريات ماضيهم البعيد باعتباره المركز الروحي ليهود المنفى فى ترقبهم للمعجزة التى تعود بهم الى فلسطين مرة أخرى ومنه استمدت الصهيونية الحديثة اسمها واتخذ منه دعائها أساسا فلسفيا لفكرتهم التى تسعى الى تحقيق أحلام اليهودية فى العودة الى الأرض الموعودة عن طريق العمل السياسى والنفوذ الاقتصادى والغزو الحربى والارهاب الفكرى تحت ستار مقاومة نزعة عداا السامية وذلك على نقيض المعتقدات السائدة لدى الكثرة الساحقة من يهود العالم الذين كانوا يتطلعون الى العودة من منطلق الاعتقاد فى المسيح المنتظر .

ولعل منشأ الفكرة الصهيونية فى صورتها الحديثة يرجع الى الدعوة التى تبناها ثلاثة من رواد الصهيونية الأوائل خلال القرن التاسع عشر وكان لكل منهم تصوره الخاص للفكرة الصهيونية ، وأول هؤلاء موسى هس (١٨١٢ — ١٨٧٥) الذى حاول فى كتابه « روما والقدس » (١٨٦٢) أن يجد للصهيونية أساسا فلسفيا تجعل منها مذهباً كغيرها من المذاهب التى ظهرت فى القرن التاسع عشر (١) . ويعتبر هس فى نظر الصهيونيين أول من وضع النظرية وحدد معالم الطريق للحركة الصهيونية (٢) وكان فى اعتقاده أن فرنسا — بما لها من نفوذ فى شرقى البحر المتوسط — ستقوم بمساعدة اليهود لاقامة مستعمرات تمتد من السويس الى القدس ومن ضفاف الأردن الى ساحل البحر المتوسط (٣) .

(١) ابراهيم الحارثى : الصهيونية وعداء السامية ، قسم التأليف والنشر — جامعة الخرطوم ١٩٧٠ ص ٩ .

(٢) Leo Pinsker, Auto Emancipation . The Zionist Organization of America, Washington D. C. 1944 p. 4.

(٣) L. Stein, The Balfour Declaration, London, 1961 p.p. 11 - 12 .

ثم جاء ليو بنسكر (٤) بكتابه « المتحرر النفسى » الذى نشر فى برلين عام ١٨٩٢ ونادى فيه بحل اقليمي للمسألة اليهودية قائلاً : « ليس اليهود أمة لأنهم يفتقرون الى أحد المقومات الأساسية للأمة وهى العيش المشترك فى رحاب دولة واحدة . وما دام اليهود يهيمنون فى دار الشتات « Diaspora » فإنهم لن يستطيعوا تحقيق آمالهم فى العيش كما تعيش الأمم . وعندما حاول اليهود الانصهار فى المجتمعات الأخرى ونبذوا — الى حد ما — قوميتهم ، لم تعترف لهم تلك المجتمعات بحق المشاركة فى الوطن على قدم المساواة ، ولكن أكبر عقبة تحول بين اليهود وبين تحقيق وجودهم القومى المستقل هى عدم احساسهم بالحاجة الى ذلك الوجود المستقل الذى استعاضوا عنه بوحدتهم الروحية بعد زوال كيانهم السياسى (٥) ثم توجه بنسكر الى اليهود بنداء لنبذ ما سماه الفكرة الخيالية التى وقرت فى أذهانهم بأن قبولهم الاستكانة فى دار الشتات هو قدرهم المحتوم (٦) .

ويمكن القول ان الفكرة الصهيونية التى تهدف الى حل المسألة اليهودية عن طريق العمل السياسى المنظم والنشاط الديبلوماسى لم تظهر الا فى نهاية القرن التاسع عشر مع ظهور كتاب « الدولة اليهودية » فى فبراير ١٨٩٦ لتيودور هرتزل (١٨٦٠ — ١٩٠٤) وانعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بال (بسويسرا) فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ .

(٤) ولد ليو بنسكر فى بولندا عام ١٨٢١ ومات فى روسيا سنة ١٨٩١ . كان طبيباً مرموق المكانة . شارك بقلمه فى أول مجلة يهودية فى روسيا ودعا الى المساواة فى الحقوق بين اليهود والمواطنين الروس وكان من دعاة الانصهار « Assimilation » ولكنه غير رأيه بعد حوادث الاضطهاد التى وقعت على اليهود فى اوديسا عام ١٨٧١ ثم تخطى عن دعوة الانصهار بعد موجة الاضطهاد التى سميت بمذابح سنة ١٨٨١ فى روسيا ضد اليهود وأخذ يدعو الى القومية اليهودية باعتبارها حلاً للمسألة اليهودية الآن الانصهار لم يعد فى نظره حلاً مجدياً ما دام اليهود يعيشون بلا وطن تحت مطارق عداة السامية . ومن ثم أصدر كتابه « المتحرر النفسى » وأصبح فيما بعد رئيساً لجمعية احباب صهيون فى بلده .

انظر : The Universal Jewish Encyclopaedia New York

1941 Vol. 8 p. 537.

Pinsker op. cit. pp. 8 - 9 .

(٥)

Pinsker op. cit. p. 18.

(٦)

لقد كان ميلاد الحركة الصهيونية فى صورتها السياسية فى نهاية القرن التاسع عشر ظاهرة جديدة تختلف اختلافا جوهريا عن فكرة العودة كما تصورها يهود العالم حتى نهاية ذلك القرن وبداية القرن العشرين •

كانت العودة الى فلسطين قبل هرتزل أملا دينيا يتطلع اليه يهود الى تحقيقه بفعل الارادة الالهية ولم يكن لديهم أدنى تصور لتحقيق العودة فى اطار الفكرة القومية الحديثة تحت راية الوطن القومى وحماية القانون العام • بل كانوا يرون أية مبادرة بشرية لتحقيق العودة بمجهود بشرى ضربا من الاثم (٧) •

لقد سلفت الاشارة الى المحاولات التى بذلت منذ عهد بالمرستون فى القرن التاسع عشر (انظر الفصل الثانى) لتسلك اليهود الى فلسطين تحت شعار اصلاح أوضاع اليهود فى الشرق برعاية الحكومة الانجليزية وقد ازداد هذا النشاط اليهودى بعد أن حسمت الدول الأوروبية الكبرى النزاع بين محمد على باشا والى مصر والسلطان العثمانى (١٨٣٩ — ١٨٤٠) وعادت سوريا الى دائرة النفوذ العثمانى وكان زعيم حركة التسلك اليهودى الى فلسطين موسى مونتفيور (١٧٨٤—١٨٨٥) (٨) ومن ثم شرع بالمرستون بعد تسوية عام ١٨٤٠ (معاهدة لندن) فى تنفيذ مقترحات مونتفيور ، وكان محور تلك المقترحات تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين لأن ذلك من شأنه أن يخلق لانجلترا مركزا لدعم نفوذها السياسى ورعاية مصالحها الاقتصادية فى سوريا ونشر الحضارة فى ذلك الاقليم لقاء تأييد انجلترا لمطالب اليهود أمام الباب العالى بإنشاء مستعمرة يهودية فى فلسطين لأغراض التنمية الزراعية والتجارية (٩) •

Arnold Toynbee, A Study of History (Oxford (٧)
U. Press) London, 1969 Vol. 8 p. 298.

Nahum Sokolow, History of Zionism, Longmans, (٨)
London, 1919, Vol. I pp. 115 , 116 .

W. T. Young to Viscount Canning F. O. 78 / 501 (٩)
(Separate) London, 13 Jan. 1842, Enc. 1 to 29. A. M. Hyamson, =

ثم ظهرت حركة « أحباب صهيون » فى روسيا القيصرية (١٨٨٤) اثر موجة الاضطهاد التى اجتاحت اليهود فى عام (١٨٨١ و ١٨٨٢) ولكن كل هذه الحركات كانت مجرد ردود فعل لما واجه اليهود فى أوروبا الغربية وروسيا القيصرية من ضروب الاضطهاد التى عرفت بعـداء السامية .

وفى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر أثارت قضية دريفوس الشهيرة (٢٥ أكتوبر — ٢٣ ديسمبر ١٨٩٤) (١٠) اهتماما كبيرا فى العالم الأوروبى واليهودى وبلغت كراهية اليهود ذروتها فى فرنسا أثناء تلك الفترة عندما كانت الهتافات تدوى فى شوارع باريس بسقوط اليهود « a bas les juifs » (١١) وقضية دريفوس هى التى دفعت تيودور هرتزل مراسل الصحيفة النمساوية « Neue Freie Presse » الى الشروع فى اعداد كتابه « الدولة اليهودية » فى صيف عام ١٨٩٥ وبعد فترة من التردد قام هرتزل بنشر الكتاب فى ١٤ فبراير عام ١٨٩٦ بتشجيع زميله ماكس سيمون ناردو الذى أصبح ساعده الأيمن بعد مؤتمر بال ، غاثار القضية اليهودية (قضية الاضطهاد والتشرد) على نطاق واسع وقوبل كتابه بالاعراض والنقد فى بعض الدوائر وبالتأييد فى دوائر أخرى وأخيرا استجمع هرتزل قواه ودعا الى عقد المؤتمر

= The British Consulate in Jerusalem, London 1939 Vol I, pp. 41 - 46 .

يلاحظ أن أسطورة اقامة قاعدة صهيونية فى فلسطين لنشر الحضارة ورعاية المصالح الانجليزية ضد ما سموه « البربرية الآسيوية » هى نفس الاسطورة التى ردها هرتزل فى كتابه « الدولة اليهودية » وذكرها « C. P. Scot » فى رسالته بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩١٤ الى لويد جورج .
انظر :

Herzl, The Jewish State Fifth Ed. London, 1968 p. 30.,
E.D. Blanche, The Balfour Declaration, Jerusalem, 1940

p. 25 .

(١٠) انظر موجز قضية دريفوس فى مجلة الرسالة (القاهرة) عدد ١١٠ بتاريخ ١٢ أغسطس ١٩٣٥ ص ١٢٩٠ — ١٢٩٣ للاستاذ محمد عبد الله عنان .

(١١) James Parkes, Five Roots of Israel, London, 1964, p. 26 .

الصهيوني في مدينة « بال » عام ١٨٩٧ وتأسست المنظمة الصهيونية واتخذ المؤتمر قراره الذي جاء فيه أن الصهيونية تهدف الى انشاء وطن لليهود في فلسطين تحت حماية القانون العام (١٢) . ويرى قادة الصهيونية أن أهمية الدور الذي لعبه هرتزل لا تكمن في اصدار كتاب « الدولة اليهودية » بقدر ما ترجع الى قدرته على التنظيم ودعوته الى عقد أول مؤتمر صهيوني ، ذلك أن شخصية هرتزل كانت موضع نقد اذ وصفت أفكاره عن الصهيونية بالسذاجة والسطحية ووصف هو بأنه كان يجهل اليهودية وآدابها وثقافتها كما يجهل جذور الحركة الصهيونية التي سبقت دعوته .

ومع أن حركة هرتزل — كغيرها من الحركة اليهودية التي سبقتها — كانت نابعة في المقام الأول من احساس الجاليات اليهودية بأنها أقلليات مشردة ومضطهدة ، فقد حاول دعاة الصهيونية السياسية بعد مؤتمر بال أن يضيفوا عليها طابعا فلسفيا عقائديا وزعم حايم وايزمان أنه عندما يتحدث عن الصهيونية فإنه ينطق بلسان ملايين اليهود الذين لا يستطيعون التحدث بما تنطوي عليه صدورهم (١٣) ومن السخرية أن يدلى وايزمان بهذا الحديث الى آرثر بلفور في عام ١٩٠٦ عندما كان يهود العالم ينظرون الى صهيونية هرتزل نظرة ارتياب ولم يكن وايزمان وحده في هذا الادعاء ولكن كانت تؤازره حفنة من زعماء الحركة الجديدة منهم ناحوم سوكلوف (١٨٦٠ — ١٩٣٦) مؤرخ الصهيونية والناطق باسمها بعد موت هرتزل وسفيرها في القارة الأوروبية ومنهم «أحدها عام» (١٨٥٦ — ١٩٢٧) « Asher Ginsberg » فيلسوف الحركة الصهيونية وناقدها ، ومنهم القاضي الأمريكي لوى براندايس .

ان الصهيونية في نظر وايزمان هي قوة للحياة والابداع تسرى في أوصال اليهود وليست حاجة عمياء في نفس شعب مشرد يبحث عن وطن يؤويه ، ولا يوافق وايزمان على رأى هرتزل الذي يرد منشأ الحركة

Herzl, op. cit. p. 5.

(١٢)

Chaim Welzmann, Trial and Error Hamish (١٣)
Hamilton, London 1950, p. 144.

الصهيونية الى مأساة الاضطهاد والفقر والشتات (١٤) بل يردّها الى عزم الشعب اليهودي على الاحتفاظ بما سماه صفاته الخلاقة ونزعتة الايجابية .

ويستطرد وايزمان في مجال آخر فيعرف الصهيونية بأنها عزم الشعب اليهودي خلال عشرين قرنا من التشرّد على تنظيم حياته في صورة جماعية ذات طابع خاص به وحده على أساس من العقيدة التي تربط بين خلود اسرائيل واله اسرائيل وهيمنتته على الكون ومن تلك العقيدة تنبثق آمال اليهود القومية في العودة الى ما سماه موطنهم حيث يلتقون بعد فرقة لممارسة حياة يهودية جديدة في أرض يهودية (١٥) .

ويخاطب لوى براندايس (١٦) الاجتماع السنوي « لفرسان صهيون » في شيكاغو الذي عقد في الثاني من يناير عام ١٩١٦ قائلا : « انكم في رأي لا تستطيعون أن تؤدوا واجبك اليهودي ان لم تعملوا على دفع الشعب اليهودي الى المرتبة التي تمكنه من خدمة أمريكا والعالم على أفضل وجه وهذا لا يتم الا بتحقيق الحلم الذي راودنا عصورا طويلة وتحقيق دعوات اليهود وابتهالاتهم بأن يكون لهم

Weizmann, op. cit. p. 223.

(١٤)

Weizmann , What is Zionism, The Zionist Organization London, Bureau, London, 1919, p. 4 - 12. (١٥)

(١٦) «Louis D. Brandeis» أحد دعائم الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية وهو من أصل ألماني . ولد في عام ١٨٥٦ ونشأ وتعلم في ألمانيا . كان من أشهر رجال القانون في عصره . عينه اثنيس ودرو ويلسون قاضيا بالمحكمة العليا سنة ١٩١٦ . حمل راية الصهيونية في أمريكا بعد اقوال نجمها في أوروبا قبل الحرب العالمية الأولى وهو المسئول الأول عن تأييد حكومة الرئيس ويلسون لوعده بلفور ، رغم معارضة وزارة الخارجية الأمريكية . زار فلسطين عام ١٩١٩ ، وهو القائل : « ان المثل العليا لأمريكا في القرن العشرين هي المثل التي دعت اليها اليهودية منذ عشرين قرنا » وقد اختاره ويلسون رئيسا للوفد الأمريكي في مؤتمر الصلح .

The Universal Jewish Ency. Vol 2, p. 495.

انظر :

وانظر أيضا : E. Rabinowitz, Justice L. Brandeis, N. Y. 1968, p. 61.

وطن مرة أخرى يمارسون فيه حياتهم اليهودية وفقا للروح اليهودية (١٧) .

أما « أحدها عام »^(١٨) الذي يتمتع باحترام خاص بين قادة الصهيونية الحديثة فيرى أن الحركة الصهيونية يجب أن تستند إلى العمل المثمر الذي يعنى بالكيف قبل الكم . وكان يرى أن التحرر النفسى لليهود لا يتم إلا عن طريق الترويض النفسى ومن ثم كان يرى فى منظمة « أحباب صهيون » ومؤتمر بال مجرد تجمعات تفتقر إلى برامج أساسية تعنى بالتربية والنهضة الروحية التى هى قوام الدولة اليهودية .

ومهمة الصهيونية فى رأى « أحدها عام » تتمثل فى بعث الروح اليهودية وتقوية العاطفة القومية التى ضعفت بين اليهود من جراء الاضطهاد المرير ، وانقاذهم من النزعة الفردية التى تردوا فيها ، وحثهم على العمل الجاد من أجل بناء أمتهم وهذه مهمة شاقة لا تتحقق بالخطب والعمل الفردى والتعجل لاقتطاف الثمار (١٩) .

لقد أشاد « أحدها عام » بوعده بلفور ولكنه كان يرى أن الصيغة التى ظهر بها الوعد مخيبة للآمال لأنها اكتفت بذكر انشاء « وطن قومى لليهود فى فلسطين » بدلا عن النص الذى اقترحتة المنظمة الصهيونية

Brandels on Zionism (Collection) Zionist (١٧)
Organization of America Washington D. C. 1942, p. 84.

(١٨) « أحدها عام » واسمه الحقيقى « أشير جنزبرج » ، من أشهر دعاة الفكرة الصهيونية فى جيله . ولد فى روسيا عام ١٨٥٦ ومات فى تل أبيب سنة ١٩٢٧ . تميز بين أقرانه بالتعمق فى دراسة اليهودية ووضوح الفكر وبرز اسمه ناقدا للحركة الصهيونية واختلف مع قادتها فى أهدافهم ووسائلهم ، وكان له رأى خاص فى حركة استيطان فلسطين على عهد البارون أدمونـد روتشيلد فى نهاية القرن التاسع عشر . كان يرى أن أسلوب هرتزل فى العمل لا يحقق أهداف الصهيونية وكان يوجه اهتمامه الأكبر إلى تعبئة الجهود المادية والعقلية والتربية الروحية بين اليهود وهذا فى رأيه يتطلب جهدا وصبرا وأناة .

The U.J. Encyc. Vol. 1, P. 135.

انظر :

Achad Ha-am, Essays on Zionism and Judaism (١٩)

Leon Simon.

ترجمه عن العبرية :

G. Routledge and Sons Ltd. London, 1922 pp. 10 — 13.

(١٢ — نكبة الامة العربية)

« باعادة بناء الوطن القومى القديم لليهود » والنص الأول فى رأى «أحدها عام» غير مقبول لأنه يجعل من فلسطين وطنا لليهود والعرب على السواء !! (٢٠) ومع ذلك فانه رحب بتأييد مؤتمر الصلح فى باريس (١٩١٩) لوعده بلفور واعتبر هذا التأييد بمثابة التزام دولى .

هذه طائفة من آراء قادة الصهيونية الحديثة حول الفكرة التى اعتنقوها وعملوا من أجلها فهل تتفق هذه الآراء مع تصور الجاليات اليهودية فى العالم لفكرة العودة الى جبل صهيون وفقها لمعتقداتهم الدينية ؟ يجيب الأستاذ «أرنولد توينبى» بالنفى القاطع (٢١) ولكن الاجابة من أحد أعلام المؤرخين فى هذا القرن (الأستاذ توينبى) على هذا النحو تثير ثائرة «أبا اييان» وزير خارجية اسرائيل الأسبق فيرد عليه بمقالة تحمل عنوانا صارخا هو «مرطقة توينبى The Toynbee Heresy» ويقول أن فكرة «العودة» تعتبر فى المصادر الاسرائيلية ارادة الهية وواجبا بشريا (٢٢) . ان توينبى لم ينف أن لليهود حقا فى العودة الى فلسطين لأداء شعائرتهم الدينية — وهذا حق ظلوا يمارسونه طوال حياتهم دون أن يعترض طريقهم أحد — ولكنه أنكر على الصهيونية احتلالها فلسطين بقوة السلاح واخراج أهلها منها بغير حق ونهب ممتلكاتهم على نحو ما حدث فى واقع الأمر (٢٣) وذلك تحت ستار «العودة» .

أما المصادر اليهودية نفسها فتقول ان فكرة «العودة» واردة فى كتابهم المقدس ولكن بعض فلاسفة اليهود لا يؤمنون بعودة مملكة داوود أو اعادة بناء المعبد أو امتلاك فلسطين مرة أخرى ويرفضون رفضا

Achad Ha-am, op. cit. p. 16. (٢٠)

Toynbee, op. cit. p. 298. (٢١)

Abba Eban, The Toynbee Heresy, Israel Institute, (٢٢)
Yeshna University, New York. Address Delivered on Jan. 18, 1955.

A. Toynbee, The Middle East, Past and Present (٢٣)
An Article Published in the Arab — Israel Impasse Edited by
Majidia Khadduri, Robert B. Luce Inc. Washington, 1968 p. 42.

بأنا فكرة الوطن القومي لليهود •• وقد قرر مؤتمر الأحبار اليهود في فرانكفورت (١٥ — ٢٨ يوليو ١٨٤٥) حذف الجزء الخاص بالدعاء للعودة الى فلسطين من التعاليم اليهودية • وفى المؤتمر اليهودى فى فلادلفيا (٣ — ٦ نوفمبر ١٨٦٩) ورد فى الجزء الأول من وثيقة المبادئ التى أصدرها المؤتمر أن الغرض الدينى من عودة بنى اسرائيل هو وحدة كل أبناء اسرائيل فى اعترافهم بوحدانية الله • وأصدر مؤتمر « Pittsburg » (١٦ — ١٨ نوفمبر ١٩٨٥) بيانا مؤيدا لذلك جاء فيه « اننا لم نعد نعتبر أنفسنا أمة بل طائفة دينية ومن ثم فاننا لا نتوقع العودة الى فلسطين » (٢٤) وقال بعض النقاد اليهود: ان الذين أصدروا مثل هذه البيانات لم يفسروا كتابهم تفسيراً صحيحاً أو أنهم كانوا يتجاهلون تعاليمه وحتى اذا سلمنا بصحة هذا النقد — وهو موضع شك كبير — فان المعارضة التى واجهتها الصهيونية السياسية ابان ظهورها وخاصة بعد صدور وعد بلفور من الطوائف اليهودية فى أوروبا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لتنهض دليلاً قوياً على أن صهيونية هرتزل ووايزمان وبراندائيس كانت بدعة مستفكرة فى نظر الكثرة من يهود العالم •

كانت المعارضة ضد الصهيونية قوية فى أوروبا الغربية وكان من أبرز المنظمات اليهودية التى قادت تلك المعارضة الحلف الإسرائيلى العالمى الذى تأسس فى فرنسا عام ١٨٦٠ وفيما عدا أسرة روتشيلد وعلى رأسها البارون آدموند (٢٥) كان كل زعماء اليهود فى فرنسا ضد الصهيونية •

وفى بريطانيا حمل لواء المعارضة ضد الصهيونية الاتحاد البريطانى اليهودى برئاسة الدكتور « Claude G. Montifiore » وتقدم هذا الاتحاد بمذكرة قوية الى مجلس الحرب البريطانى فند فيها

U.J. Encyclopaedia Vol, 12, pp. 666 - 667. (٢٤)

James Malcolm, origins of The Balfour Declaration, (٢٥)

(Unpublished) London, July, 1944 British Museum Reading Room Ref. C.U.P. 1247 C. 28 p. 7.

دعاوى الصهيونية، ونشر مونتفيور مع زميله « David L. Alexander » رئيس لجنة النواب من اليهود البريطانيين مقالا ضد الصهيونية في صحيفة التايمز اللندنية بتاريخ ١٧ مايو ١٩١٧ وأثار المقال ضجة كبرى دفعت وايزمان الى الرد عليهما في نفس الصحيفة بتاريخ ٢٨ مايو ١٩١٧ (٢٦) .

وقد حاول وايزمان في مذكراته أن يقلل من أهمية هذه المعارضة فوصف القائمين بها بأنهم قلة من اليهود الأثرياء والرجعيين دعاة الانصهار « Assimilationists » (٢٧) . غير أن الخلاف بين الصهيونية في بريطانيا والمعارضين لها من اليهود البريطانيين لم يكن بهذا القدر المتواضع كما زعم وايزمان . لأن الخلاف بلغ حدا دعا الى عقد اجتماع بين الفريقين في ١٤ ابريل ١٩١٥ للحوار والوصول الى اتفاق وكان وفد الحركة الصهيونية يضم دكتور جاستر وتشلنوف وسوكولوف وجوزيف كوين وهربرت بتوبتش وتكون الوفد المعارض للصهيونية من دافيد الكسندر وكلود مونتفيور ولوسين وولف ولم يصل الطرفان الى اتفاق (٢٨) .

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فلم تجد الصهيونية استجابة تذكر قبل ظهور لوي براندايس . لقد توجه هرتزل الى يهود أمريكا بدعوة في يونيو عام ١٩٠١ يحثهم على التضامن معه لحل القضية اليهودية ويذكرهم بالعبودية التي يرسف فيها اخوانهم في أوروبا ولكن يهود أمريكا قابلوا دعوته بالفتور ووصف بعضهم الصهيونية بأنها ازعاج لسلام الذهن وعقبة أمام استيعاب اليهود في البيئة الديمقراطية وأنها فوق ذلك لا تتفق وولاءهم لأمريكيتهم وأنها تعيد الى أذهانهم ذكريات يودون أن يسدلوا عليها الستار (٢٩) .

Ed. D. Blanche op. cit. p. 31. (٢٦)

Weizmann, op. cit., p. 200. (٢٧)

I. Friedman, The question of Palestine, 1914 (٢٨)

— 1918, London, 1973, P. 35,

Samuel Halperin, The Political World of American (٢٩)

Zionism, Wayne State University Press, Detroit, 1961, p. 10.

أما اليهود التقليديون فنبذوا الفكرة الصهيونية لأنها لا تتفق وفكرة العودة كما وردت في تعاليمهم الدينية وواجهت الحركة العمالية الأمريكية فكرة الصهيونية بالاعراض باعتبارها حركة رجعية (٣٠) .

ان هذه المعارضة التي أبداهها يهود العالم ضد الصهيونية وضد وعد بلفور هي التي دفعت المسؤولين في الحكومة البريطانية الى اضافة بعض التحفظات في صيغة التصريح وهي ذلك الجزء الذي نص على ألا تضار « الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى » (٣١) وفي هذا التحفظ اعتراف بخطورة تلك المعارضة .

وحتى في الدوائر الرسمية كانت هناك معارضة لا يستهان بها ضد الصهيونية في كل من لندن وواشنطن وباريس وكان قائدالمعارضة في مجلس الوزراء البريطاني ضد وعد بلفور أدوين مونتاجو وهو من أصل يهودي . لقد وقف مونتاجو ضد الصهيونية منذ أن قدم هربرت صمويل مذكرته عن مستقبل فلسطين في يناير عام ١٩١٥ الى مجلس الوزراء البريطاني وأثار فيها أهمية فلسطين الاستراتيجية وضرورة وضعها تحت نفوذ بريطانيا بعد نهاية الحرب واقامة دولة يهودية فيها لحماية المصالح البريطانية (٣٢) . ففي رسالة وجهها في ١٦ مارس عام ١٩١٥ الى هربرت اسكويث رئيس الوزراء البريطاني فند مونتاجو الزعم القائل بضرورة استيلاء بريطانيا على فلسطين من أجل الدفاع عن مصر وقال إن المصلحة الكامنة خلف هذا الاقتراح لا تعدو أن تكون آخر الأمر انشاء دولة يهودية في فلسطين تحت الحماية البريطانية وهذه في اعتقاده الراسخ سياسة من شأنها أن تؤدي الى كارثة (٣٣) .

وكان قادة الصهيونية في بريطانيا يخشون أن تؤدي معارضة

Halperin, op. cit., P. 11

(٣٠)

Ed. D. Blanche op. cit. P. 8.

(٣١)

Stein, op. cit., PP. 103 — 108.

(٣٢)

I. Friedman, op. cit., pp. 22 — 24

(٣٣)

مرتناجو الى القضاء على وعد بلفور^(٣٤) في مهده ولكنهم وجدوا تأييدا رسميا قويا وخاصة بعد التغيير الوزاري الذي شهدته العاصمة البريطانية اثر استقالة هربرت اسكويث رئيس الوزراء في ٥ ديسمبر ١٩١٦ واسناد رئاسة الوزارة الى دافيد لويد جورج ووزارة الخارجية الى آرثر بلفور . وكان اسكويث معروفا بأنه لم يكن من مؤيدي الفكرة الصهيونية ولا الوطن القومي لليهود بينما كان لويد جورج وبلفور من أقوى مؤيدي الصهيونية ومن أكثر المعجبين بوايزمان وقد ذكر وايزمان أن مذكرات لويد جورج توحى للقارىء بأن وعد بلفور كان بمثابة مكافأة لوايزمان لقاء الخدمة التي أسداها لبريطانيا^(٣٥) . ومع ذلك فان معارضة مونتاجو كانت مصدر قلق عظيم لمؤيدي الصهيونية الذين حاولوا أن ينالوا منه بالطعن في سلامة مقصده وذهبوا الى تفسير عداته للصهيونية بأنه نابع من عقدة انتمائه اليهودي ومن دافع المحافظة على مركزه الشخصي ومستقبله السياسي^(٣٦) ولكن يبدو أن هناك اعتبارات سياسية هامة دفعت مونتاجو الى اتخاذ هذا الموقف وهي ادراكه للنتائج الخطيرة التي قد يتمخض عنها اصدار الوعد فقد روى عنه أنه قال بعد سماعه اعلان وعد بلفور وهو في الهند :

« لقد حاولت الحكومة (البريطانية) أن تقيم شعبا لا وجود له وأثارت قلق العالم الاسلامي بأسره دون أن يكون هنالك ما يوجب الاثارة »^(٣٧) . ولا شك أن التجربة التي خاضتها بريطانيا مع العالم العربي والاسلامي بعد اعلان وعد بلفور أثبتت أن مونتاجو كان أرحب أفقا وأبعد نظرا من أقرانه في مجلس الوزراء البريطاني الذين ساروا في ركاب الصهيونية وذلك فضلا عن أن وجهة نظر مونتاجو في هذا الصدد تتفق وما ذكره السير رونالد ستورز في مذكراته (انظر الفصل الثالث) من أن السياسة البريطانية في الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الأولى كانت تخشى غضبة عشرات الملايين من المسلمين في الهند

Stein, op. cit. p. 496.

(٣٤)

Weizmann, op. cit. p. 192

(٣٥)

Stein, op. cit. p. 498.

(٣٦)

Stein, op. cit. p.p. 500 - 501 .

(٣٧)

ودعاة الوحدة الاسلامية في مصر • واذا كانت الحكومة البريطانية لم تصنع الي موتاجو وهو يحذرهما قبل ارتكاب الخطأ فقد اضطرت الى الاستماع الى خيرة علمائها وممثليها السياسيين وهم ينحون عليها باللائمة بعد وقوع الكارثة •

لقد تحدث ممثل بريطانيا « Sir Ormsby - Gore » في اللجنة الدائمة لشئون الانتداب سنة ١٩٣٧ عن فشل السياسة البريطانية تجاه فلسطين والعالم العربي وعن الأسس الخاطئة التي استندت اليها الحكومة البريطانية في اصدار وعد بلفور فقال :

« كانت السياسة البريطانية في فلسطين منذ اعلان وعد بلفور وحتى سنة ١٩٣٧ قائمة على أساس تنفيذ وعد بلفور بانشاء الوطن اليهودي وكان مبعث هذه السياسة الاعتقاد بأن العرب واليهود سوف ينسبون الخلاف بينهم في غضون هذا القرن وينصهرون في شعب واحد لأنهم ينحدرون أصلا من سلالة واحدة ويتصل نسبهم بابراهيم الخليل (عليه السلام) وقد أثبتت التجربة البريطانية خلال سبعة عشر عاما (١٩٢٠ — ١٩٣٧) فشل تلك السياسة القائمة على هذا الافتراض » (١٨) ويمضي ممثل بريطانيا في حديثه قائلا « ان سياسة القمع في فلسطين من شأنها أن تؤدي الى الزج ببريطانيا في صراع مع المسلمين بل في صراع بين المسلمين من جانب وبريطانيا واليهود في جميع أنحاء العالم من ناحية أخرى • انها لمأساة • • لقد كان العالم المسيحي في العصور الوسطى يتخذ من اليهود موقفا لا نستطيع أن ننظر اليه بعين الرضا بينما كان العالم الاسلامي بوجه خاص يعامل اليهود معاملة ودية في اسبانيا وفي الشرقين الأدنى والأوسط ، وعندما أخرج اليهود من اسبانيا لم يجدوا ملاذا يسكنون اليه بأعدادهم الكثيرة الا في بغداد وغيرها من البلاد العربية • أما اليوم (١٩٣٧) فان الجاليات اليهودية

League of Nations, Permanent Mandates Comm- (٣٨)
ission Minutes of the Thirty-second (extraordinary) session
Held at Geneva, 30 - 7 to 18 - 80, 1937. Geneva, 1937, pp. 16 - 17.

فى تلك البلاد تواجه خطرا عظيما بسبب فلسطين ومن المحتمل أن تسوء العلاقات الى حد ينذر بالخطر بين اليهود وبين المسلمين فى العالم كله ما لم نجد حلا لقضية فلسطين» (٣٩) .

وقال العالم البريطانى الديپلوماسى «D. G. Hogarth» «ان وعد بلفور صدر استنادا الى أفكار خاطئة ومصدر الخطأ أن الحكومة البريطانية فى عام ١٩١٧ لم تدرك أن الشعب العربى لم يعان من اضطهاد الأتراك بالقدر الذى يدفعه الى التحرر اذا كان ثمن الحرية هو الخضوع لسيطرة أجنبية جديدة» (٤٠) .

ويأخذ هوجارث على الحكومة البريطانية أنها أخفت عن العرب المعنى الحقيقى لوعد بلفور زهاء خمس سنوات فلم توضح لهم الا فى سنة ١٩٢٢ أن وعد بلفور لا يعنى سيطرة اليهود على فلسطين (٤١) ولكن هوجارث يستدرك قائلا انه «لم يكن فى استطاعة بريطانيا أن تصدر مثل هذا الايضاح فى سنة ١٩١٧ لأنها لو فعلت ذلك لفقدت تأييد الصهيونية» (٤٢) .

وفى الولايات المتحدة الأمريكية كان وزير الخارجية «روبرت لانسنج» على رأس المعارضين لوعد بلفور ونصح الرئيس ويلسون ألا يخضع لضغط الصهيونية الأمريكية (مثلة فى لوى براندايس) لالزام الحكومة الأمريكية بتأييد الوعد وكان لانسنج يستند فى تقديم هذا النصح الى أسباب قوية منها أن أمريكا لم تكن فى حالة حرب مع تركيا وأنه ليس هناك اتفاق بين اليهود أنفسهم لإنشاء وطن خاص بهم وأن وضع الأرض المقدسة تحت السيطرة الكاملة لليهود سوف يثير

(٣٩) League of Nations, op. cit. p. 17

(٤٠) مقدمة هوجارث لكتاب :

Philip Graves, Palestine, The Land of Three Faiths, London, 1923 p. 5 - 6.

(٤١) يشير المؤلف هنا الى الكتاب الذى أصدره ونستون تشرشل فى عام ١٩٢٢ ولكن الواقع أن وعد بلفور كما فهمته الصهيونية والحكومة البريطانية كان يعنى سيطرة اليهود على فلسطين ولكن فى المدى البعيد عندما يحرز اليهود الكثرة العددية من السكان عن طريق الهجرة .

(٤٢) Philip Graves, op. cit. p. 6.

غضب الطوائف المسيحية^(٤٣) ولم يكن وزير الخارجية الأمريكي وحده ضد الصهيونية وإنما كان يقف الى جانبه الكولونيل « هاوس » مستشار الرئيس ويلسون ومن أقرب المقربين اليه وهو الذي أقنع ويلسون بالتريث قبل اعلان تأييد الولايات المتحدة لوعده بلفور وحال دون تعيين براندايس نائبا عاما في ادارة الرئيس ويلسون^(٤٤) .

ورغم المحاولات التي بذلها سوكولوف وجيمس مالخولم مع الحكومة الفرنسية في ابريل سنة ١٩١٧ ومقابلة سوكولوف لوزير خارجية فرنسا « ستيفن بيشون » في ١٩ فبراير ١٩١٨ فان الحكومة الفرنسية لم تلتزم رسميا بتأييد وعد بلفور وأصدرت بيانات اتسمت بكثير من التحفظ والحذر حول سياستها ازاء فلسطين^(٤٥) ولا شك أن المنافسة بين بريطانية وفرنسا في الهلال الخصيب واتفاقية « سايكس — بيكو » كانت من العوامل الهامة في تحديد موقف الحكومة الفرنسية من وعد بلفور والوطن القومي لليهود . وفي مؤتمر سان ريمو (٢٠ ابريل ١٩٢٠) أعلن ممثلو الحكومة الفرنسية أن فرنسا لم تصدر أى تأييد رسمي لوعده بلفور^(٤٦) .

ولم تكن حكومة ايطاليا أقل تحفظا في تأييد الصهيونية من الحكومة الفرنسية ولكنها استجابت أخيرا للضغط الصهيوني الذي أستعان بنفوذ بريطانيا والرئيس الأمريكي ويلسون وأصدرت بيانا في مايو عام ١٩١٨ أعدت صياغته على غرار وعد بلفور وكان ذلك بعد الرسالة التي وجهها سوكولوف الى السفير الايطالي في لندن بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩١٨ .

إذا كانت المعارضة ضد الحركة الصهيونية قد بلغت هذا المدى من القوة والاتساع بين اليهود أنفسهم قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى فكيف تيسر للصهيونية أن تشق طريقها الى أعلا مواقع النفوذ السياسى في لندن وواشنطن لتحول المعارضة الى تأييد ولتصور

Stein, op. cit. pp. 593 — 594

(٤٣)

E. Rabinowitz op. cit. pp. 38 — 39

(٤٤)

Stein, op. cit., p. 590

(٤٥)

Stein op. cit. p. 592

(٤٦)

الباطل الصهيوني حقا والحق العربي باطلا ثم تملأ على مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ شروطها لإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين رغم أنف الكثرة العربية في فلسطين ورغم أنف الكثرة اليهودية التي وقفت ضد الحركة الصهيونية ؟

لا شك أن ظهور وايزمان في لندن وبراندائيس في واشنطن وصلتهما الشخصية بالدوائر السياسية العليا في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية كان من العوامل الهامة في هذا التحول لمصلحة الحركة الصهيونية . ولكن ما كان لقادة الحركة الصهيونية في لندن وواشنطن أن يحققوا هذا النجاح لو لم تهيب لهم الحرب العالمية الأولى الظروف المواتية . كان الموقف الحربى في الجبهة الغربية ينذر بالخطر في عام ١٩١٦ ومطلع عام ١٩١٧ بالنظر للحلفاء وخاصة الجزر البريطانية التي أخذت تواجه خطرا متزايدا من الغواصات الألمانية وحصارا تزداد وطأته يوما بعد يوم وذلك تنفيذا للقرار الذي اتخذته القيادة الألمانية في يناير ١٩١٧ بتوجيه ضربة قاضية ^(٤٧) لبريطانيا قبل أن تهب الولايات المتحدة لنجدتها . ولكن الحلفاء كانوا يعانون مشكلة خطيرة داخل الولايات المتحدة الأمريكية وهي اتجاه الرأسمالية اليهودية في أمريكا الى تأييد ألمانيا في وقت كان الحلفاء يتطلعون فيه الى مزيد من الدعم المالى الأمريكى لتمويل الحرب .

لقد كان النظام المصرفى الأمريكى فى قبضة اليهود الذين ينحدرون من أصل المانى ^(٤٨) وكان هؤلاء حلفاء لا يستهان بهم لألمانيا . كذلك انحاز عدد كبير من الصحف فى أمريكا وكافة الصحف المسائية تقريبا الى جانب الألمان وكان من أسباب هذا الاتجاه أن ألمانيا تحارب روسيا القيصرية التي أذاقت اليهود مر الاضطهاد وكانت روسيا تحارب فى صف الحلفاء . كان من أشهر الأسر اليهودية الألمانية أسرة « Warburg » وأسرة « Untermeyer » و« Jacob Schiff » ^(٤٩)

D. Thomson, Europe Since Napoleon, p. 527 (٤٧)

Friedman, op. cit. p. 40 (٤٨)

Friedman, op. cit. pp. 42 — 63 (٤٩)

وكان « Herr Warburg » أقوى عضو في اتحاد البنوك المركزية الأمريكية ويتمتع بنفوذ عظيم لدى وزارة الخزانة الأمريكية .

وقد أشار « Richard Gotthell » أحد الأساتذة الصهيونيين في جامعة كولومبيا الى أثر النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة في رسالته المؤرخة ١١ مارس سنة ١٩١٦ الى « Lucien Wolf » قائلا « ان نفوذ اليهود الألمان من رجال المصارف واسع للغاية وحتى الصهيونيين المقيمين في ألمانيا قاموا بحث رفاقهم هنا — أي في أمريكا — لتأييد القضية الألمانية » (٥٠) وكان « Gotthell » عضوا في لجنة الحقوق الأمريكية التي تسعى الى افناع الولايات المتحدة للوقوف الى جانب الحلفاء ضد ألمانيا ومن ثم أجرى « جوتيل » اتصالات مع السفير البريطاني في واشنطن ليبدل مساعيه لدى الحكومة البريطانية حتى تمارس نوعا من الضغط على حليفتها روسيا لتخفف من اضطهاد اليهود حرصا على تأييد اليهود الألمان في أمريكا لقضية الحلفاء . وفي الوقت ذاته كان السفير الأمريكي في القسطنطينية « Mr. Oscar Straus » يقوم بنشاط مماثل ، وكان محور تلك المساعي تأمين رؤوس الأموال اليهودية نظرا لأهميتها في تمويل الحرب وخاصة بالنسبة لبريطانية التي ظل اعتمادها على القروض الأمريكية في تصاعد مطرد (٥١) .

لقد بدأ التحول الرسمي لصالح الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية بانتخاب لوى براندايس — وهو أيضا من أصل ألماني — رئيسا للجنة التنفيذية التمهيدية للثلاثون الصهيونية عام ١٩١٤ ، وفي عام ١٩١٦ عين قاضيا للمحكمة العليا وباعتلائه منصة القضاء الأمريكي وتوثيق صلته الشخصية بالرئيس وودرو ويلسون كسبت الصهيونية عددا من الشخصيات المرموقة في مراكز قيادية منهم « Felix Frankfurter » أستاذ القانون بجامعة هارفارد و « Julian Mack » القاضي بمحكمة الاستئناف والفيلسوف « Horace M. Kallen » والكاتب « Lincoln Kirstein » ورجل الأعمال « Nathan Straus » وصاحب

Friedman, op. cit. pp. 40 — 41

(٥٠)

Friedman, op. cit. p. 63

(٥١)

دار النشر « Ugene Meyer » ومن ثم أصبحت الصهيونية بفضل نشاط براندائيس ونفوذه الرسمي والشخصي تجمعا سياسيا تفتحت أمامه أوسع منافذ الاتصال بقمة الجهاز السياسى فى الولايات المتحدة الأمريكية (٥٢) وقد وضح أثر العلاقة بين براندائيس وويلسون فى اختيار براندائيس من قبل الرئيس ويلسون ليكون رئيسا للوفد الأمريكى فى مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ وكان هذا الاختيار مؤشرا نحو اتجاه ويلسون للوقوف رسميا الى جانب الصهيونية (٥٣) كذلك وضحت علاقة فرانكفورت وويلسون فى المراسلات التى دارت بينهما والتزم فيها ويلسون — أمام الحاج فرانكفورت — بادراج وعد بلفور فى معاهدة الصلح .

وعندما كثف وايزمان نشاطه فى لندن مع المسئولين البريطانيين فى النصف الأول من عام ١٩١٧ لاقتناعهم باصدار وعد بلفور كان هناك تنسيق كامل بينه وبين براندائيس ، فقد بعث وايزمان فى ٨ ابريل عام ١٩١٧ بتقرير واف الى براندائيس تناول فيه الصعاب التى تواجهها فكرة الوطن القومى لليهود فى فلسطين وموقف فرنسا منها وناشد براندائيس أن يحصل على تأييد الحكومة الأمريكية ويهود أمريكا لفكرة فلسطين اليهودية تحت الحماية البريطانية (٥٤) .

ولعل اجتماع براندائيس بالرئيس ويلسون فى ٦ مايو سنة ١٩١٧ كان استجابة لرسالة وايزمان ففى ذلك الاجتماع شرح براندائيس للرئيس الأمريكى السياسة الصهيونية والمشاكل القائمة بين فرنسا وبريطانيا حول سوريا وأثرها على مستقبل الوطن اليهودى وقد أكد له ويلسون أنه يؤيد الصهيونية وأنه سيذيع بيانا فى الوقت المناسب بعد أن يعرف وجهة النظر الفرنسية وأنه يترك اعداد الخطوط العامة للبيان وصياغته لبراندائيس نفسه (٥٥) .

Halperin, op. cit. pp. 11 — 12

(٥٢)

Rabinowitz, op. cit., p. 61

(٥٣)

Weizmann, op. cit. p. 244

(٥٤)

Rabinowitz, op. cit., p. 63.

(٥٥)

وعندما صدر وعد بلفور في ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ كسبت الصهيونية في الولايات المتحدة مزيدا من التأييد وتوجت مساعي براندايس بموافقة الكونجرس الأمريكي على وعد بلفور في ٣٠ يونيو عام ١٩٢٢ وكان ذلك في نظر الصهيونيين الأمريكيين انتصارا لفكرتهم على الرأي العام الأمريكي وبشيرا بقرب ميلاد الدولة اليهودية على الرغم من أن زعامة براندايس للصهيونية اليهودية انتهت بعد ذلك بوقت قصير اثر خلافات داخلية وآلت زعامة الحركة الى وايزمان في لندن بينما أصبحت مهمة الصهيونية الأمريكية قاصرة على جمع الأموال لفلسطين^(٥٦) وهي مهمة خطيرة •

وجدير بالذكر أن مشروع قرار تأييد وعد بلفور من قبل الكونجرس الأمريكي قوبل بمعارضة قوية من بعض أعضاء لجنة الشئون الخارجية بمجلس النواب الأمريكي لأن القرار يمثل في نظرهم انتهاكا خطيرا لحقوق الشعب الفلسطيني • وقاد هذه المعارضة السناتور « James A. Reed » في اجتماعات اللجنة التي عقدت في يومي ١٨ و ٢٠ ابريل عام ١٩٢٢ برئاسة « Sterhen G. Porter » لمناقشة قرار مجلس النواب رقم ٥٢ الخاص بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين^(٥٧) وقد وردت مداولات الأعضاء في اجتماع يوم ١٨ ابريل على النحو التالي :

مستر كوناالى « Mr. Connally » : من البديهي أن النظرية كلها تستند الى ما يدعيه الشعب اليهودي أن له حقا في فلسطين ولكن من الواضح أيضا أن السكان الحاليين لتلك البلاد ظلوا يقطنونها منذ

Halperian op. cit., pp. 12 — 13 (٥٦)

Establishment of a National Home in Palestine, (٥٧)

Hearing Before The Committee on Foreign Affairs House of Representative Sixty — Seventh Congress second Session on H. Con. Res. 52.

Expressing Satisfaction at The Re-creation of Palestine as the National Home of The Jewish Race, Washington, 1922, pp. 36 - 41. Government Printing Office.

قرون كثيرة فهل هناك ما يعطى الأسلاف الأوائل الذين عاشوا فى تلك الأرض حقا أكبر من حق الآباء والأجداد الذين جاءوا من بعدهم ؟
مستر كوكران « Mr. Cockran » : ليس هناك نزاع بين أهل تلك البلاد • ان اقتراحك يحمل بين طياته الاجابة على سؤالك • ان أولئك اليهود لا يسعون الى امتلاك الأرض الا عن طريق الشراء •
مستر كوناالى : انهم يودون الحصول عليها بحكم الايثار الذى يريدون الحكومة أن تسبغه عليهم •

مستر ريد « Mr. Reed » : فى اعتقادى أن لنا مبدأ هو المبدأ الأمريكى ولذلك فأننى لا أرى لكم أن تؤيدوا هذا القرار لأنه قرار لا يشبه أمريكا « Un American » ان جميع الناس سواسية أمام القانون فاذا فضل واحد منهم على الآخرين فقد انتفت المساواة أمام القانون •

الرئيس : يبدو لى من حديثك أنك تعتقد أن وعد بلفور يمثل انتهاكا خطيرا لحقوق شعب فلسطين •
مستر ريد : لتسعة أعشار شعب فلسطين • واذا لم يكن قصدى واضحا فان وجودى فى هذا الاجتماع يصبح عبثا •
الرئيس : ان اجازة هذا القرار فى رأيك تعنى ضمنا الموافقة على قرارات عصبة الأمم فى سان ريمو •
مستر ريد : بالضبط •

الرئيس : هل هذا يعنى — وفى هذه الحدود — أن الحكومة الأمريكية أصبحت ملتزمة بسياسة عصبة الأمم ؟
مستر ريد : لست خبيرا فى القانون الدولى ولكن مشروع القرار الذى تقدم به السناتور « Lodge » يذكر وعد بلفور بصورة قاطعة وهذه قرارات تسير جنبا الى جنب • اننى أعتقد أن الغرض من هذا العمل هو دفع أمريكا لتقف مع الدول الأجنبية فى تأييدها لوعد بلفور وهذا فى رأى أمر جد خطير لأن وعد بلفور ليس أمريكيا (٥٨) •

وفى موضع آخر من المداولات قال مستر ريد : لقد هزنى القرار هزاً عنيفاً لأنى أعتقد أنه من الخطأ أن تؤيد بلادنا وعدا كهذا .
وانى لأذكر أن « Mr. L. Lipsky » تحدث عن تحويل فلسطين الى وضع شعبيه بالوضع فى سويسرا ولكن الفكرة الصهيونية لا تهدف الى ذلك قط . فالوضع فى سويسرا يختلف تمام الاختلاف ، وأضرب مثلاً بما قاله أحد أعضاء المكتب التنفيذى الصهيونى فى فلسطين « Mr. D. Eder » أمام إحدى لجان التحقيق التى شكلها هيرت صمويل (لعله يعنى لجنة هايكرافت) ، فقد قال دكتور « Eder » : « انه لن يكون فى فلسطين سوى وطن قومى واحد هو الوطن اليهودى ، وأنه لن يكون هناك مجال لمساواة العرب باليهود باعتبارهم شركاء فى هذا الوطن » (٥٩) .

لم يصدر وعد بلفور بالصيغة المتطرفة التى اقترحتها المنظمة الصهيونية . فقد أرادت الصهيونية أن يشتمل الوعد على نص باعادة فلسطين لليهود باعتبارها الوطن القومى الخاص بهم وحدهم دون سواهم ومع ذلك فان الوعد فى صورته التى صدر بها حقق للصهيونية هذه الأمنية لأنه سلب الكثرة العربية فى فلسطين حقوقها السياسية المشروعة ووصفها بالطوائف غير اليهودية ، وامتن عليهم بالقول أن حقوقهم المدنية والدينية لن تضار ، وصمت صمتاً تاماً عن حقوقهم السياسية .

واذا كانت الصهيونية لم تنظر بالصيغة التى كانت ترجوها لوعد بلفور فقد عبأت كل طاقاتها ومواردها لاعداد وثيقة الانتداب على النحو الذى يحقق أهدافها فى فلسطين وشرعت فوراً فى ايفاد لجنة الى فلسطين للتمهيد لتنفيذ السياسة الرامية الى انشاء الوطن اليهودى وقررت الحكومة البريطانية فى مطلع عام ١٩١٨ تشكيل اللجنة برياسة وايزمان وعضوية البروفسير « Sylvin Levi » رئيس الحلف الاسرائيلى المناوى للصهيونية وجيمس روتشيلد وجوزيف كوين ودافيد ايدر و « Levi Bianchini » من ايطاليا وليون سيمون واسرائيل سيف

وقبلت اللجنة على مضمّن « البروفسير ليفى » الذى اختارته الحكومة الفرنسية .

يحدثنا رونالد ستورز الحاكم العسكرى لمدينة القدس فى تلك الفترة عن دهشته لقدم هذه اللجنة الى فلسطين فى وقت لم يتحدد فيه بعد مصير البلاد فيقول : « لقد اطلعت على برقية تلقاها كلايتون فى أوائل شهر مارس عام ١٩١٨ عن قدم لجنة صهيونية من كبار اليهود لتكون حلقة وصل بين اليهود فى فلسطين والادارة العسكرية البريطانية وعجبت وعجب كلايتون معى من هذا التعجل وتساءلنا ألم يكن من الأجدى تأجيل زيارة هذه اللجنة حتى يتقرر مصير ادارة القطر بشكل أوضح ؟ ولكنها أوامر لابد من تنفيذها » (٦٠) . ويذكر ستورز أنه استقبل اللجنة غداة وصولها مدينة القدس وأن اللجنة كانت تحت رعاية الحكومة البريطانية وأن وايزمان خاطب جمعا من أهل مدينة القدس قائلا ان اليهود لم يتخلوا قط عن حقوقهم فى فلسطين وأنهم اخوة للعرب تجمعهم بهم أوامر القربى وأن اليهود عائدون فقط الى بلادهم وهم ليسوا غرباء عنها ، ثم حذر وايزمان العرب من الاستماع الى الدعاية المغرضة التى تروج أن للصهيونيين مطامع فى السلطة السياسية أو أنهم ساعون اليها (٦١) .

ان وايزمان الذى أدلى بهذه الأحاديث المعسولة لعرب فلسطين عام ١٩١٨ هو نفسه الذى قال :

« ان الذين أصدروا وعد بلفور لم يفكروا قط أن يتقرر مصير فلسطين والعرب يمثلون الكثرة الغالبة ، ولكن يمكن تقرير المصير عندما تصبح لليهود الكثرة العددية » وقال فى موضع آخر من مذكراته : « ان مجلس الحرب البريطانى لم يهدف الى قيام دولة يهودية فورا فى فلسطين دون استشارة أهل البلاد ولكن اذا استجاب اليهود للهجرة وأصبحت لهم الكثرة العددية فيما بعد فان فلسطين سوف تصبح وطننا »

(٦٠) Storrs, The Memoirs of Sir Ronald pp. 359—360

Storrs, op. cit. p. 360

(٦١)

يهوديا • هذا ولم يفكر المسئولون البريطانيون فى تقييد الهجرة بحيث يصبح اليهود فى فلسطين قلة دائمة » (٦٢) •

ويحدثنا ستورز عن سلوك اللجنة الصهيونية فى فلسطين التى كانت تتصرف كأنها هى الحاكمة ، اذ قامت بدفع اعانات مالية لرجال الشرطة والموظفين الصهيونيين فى الادارة البريطانية كما قامت اللجنة بتوجيه عمدة مدينة القدس أن يوظف اليهود فى تشييد الطرق وهذا يعنى — فى رأى ستورز — اعفاء العمال العرب من الأعمال التى كانوا يقومون بها (٦٣) وعندما غادر ستورز مدينة القدس الى حيفا لانجاز بعض الأعمال وعاد الى القدس بعد فترة قصيرة علم من القائم بأعماله أن اللجنة الصهيونية اتصلت بسكرتيه اليهودى وطلبت منه تقريراً عن عمل المكتب وذلك أثناء غياب ستورز وكان هذا السكرتير على صلة سابقة بوايزمان (٦٤) •

كان سلوك اللجنة الصهيونية فى فلسطين مبعث حرج للمسئولين البريطانيين هناك فقد كانت مهمة هؤلاء المحافظة على الوضع القائم فى فلسطين حتى يتم تقرير مصير البلاد بصفة رسمية ولكن وايزمان كان يريد لهم أداة طيعة يسخرها لتنفيذ البرنامج الصهيونى فوراً لا سيما بعد أن تقدم الى الحكومة البريطانية بمطالب عاجلة للتنفيذ فى فلسطين ولكن الحكومة وجهت نظره الى الصعاب التى تكتنف تلك المطالب (٦٥) وكان وايزمان يطالب بحيازة الخط الحديدى بين يافا والقدس والحصول على المستعمرات الألمانية فى فلسطين وفتح باب الهجرة لليهود الى فلسطين واستقرارهم فيها وتحويل الأراضى غير المستغلة للمنظمة الصهيونية ومنحها امتياز ادارة المرافق العامة من مياه وكهرباء وخدمات

Weizmann, op. cit., p. 266 (٦٢)

Ronald Storrs : Laurence of Arabia, Zionism and (٦٣)
Palestine, Penguin, U.K. 1941, p. 52

Storrs, op. cit., pp. 51 — 52 (٦٤)

Sir L. Mallet to Dr. Weizmann Enc. 2 in 212, (٦٥)
July, 1, 1919 . Woodward and Butler, D.O.B.F.P. Vol. 4, pp.
306 / 7 .

(١٣ — نكبة الامة العربية)

الهاتف والبرق (٦٦) وصب وايزمان جام غضبه على جميع المسؤولين البريطانيين في فلسطين ابتداء من الجنرال اللنبي وتقدم بشكاة الى الحكومة البريطانية قال فيها ان الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين تبدى لليهود روحا عدائية واضحة وتغتتم كل فرصة للاضرار بمصالحهم والاساءة اليهم بينما يقوم هؤلاء المسؤولون بتشجيع العرب ضد اليهود ، واتهم وايزمان الجنرال كلايتون بالضعف في معالجة الموقف ووصف اللنبي بأنه مشغول بالقضية المصرية والمسألة السورية الى الحد الذى صرفه عن الاهتمام بأمر فلسطين أما « المقدم ستورز » فنال أوفى نصيب من التهم التى كالمها زعيم الصهيونية للادارة البريطانية وهدد وايزمان الحكومة البريطانية بأن براندائيس فى طريقه الى فلسطين وأنه سوف يطلع على الحقائق بنفسه وعندئذ سيكون الأثر فاجعا للرأى اليهودى — الأمريكى (٦٧) ١١ •

أما وثيقة الانتداب على فلسطين التى أجازها مجلس عصبة الأمم وأصبحت نافذة منذ ٢٩ سبتمبر ١٩٢٣ فقد أعدتها المنظمة الصهيونية وهى فى جوهرها تمثل وجهة النظر الصهيونية رغم التعديلات الشكلية التى أدخلت عليها قبل اجازتها فى صورتها النهائية • ومن ثم فان القول بأن مجلس عصبة الأمم هو الذى حدد شروط الانتداب على فلسطين (٦٨) ليس صحيحا ، الا اذا كان المقصود بالتحديد الموافقة على الشروط التى وضعتها المنظمة الصهيونية بعد اخضاعها لبعض التعديل الشكلى •

(٦٦) Dr. Weizmann to Sir L. Mallet, Enc. 1 in 212, De-
legation Sioniste, Paris, June 18, 1919.

Woodward and Butler, op. cit., pp. 303 — 305

(٦٧) No. 213 Note by Sir R. Graham of Conversa-
tions with Mr. Samuel and Dr. Weizmann 98082/2117/44, For-
eign Office, July 2, 1919 Woodward and Butler op. cit., pp. 307—
308.

(٦٨) Treaty Series No. 54 (1925) Convention Between
United Kingdom and the United State of America Respecting the
Rights of the Two Countries and Their Respective Nationals in
Palestine, Signed, at London, Dec. 3, 1924, p. 2 . H.M.S.O., London,
1925.

ففى شهر يوليو عام ١٩١٩ فوض مستر بلفور المختصين فى الادارة السياسية للوفد البريطانى فى مؤتمر الصلح فى باريس وعلى رأسهم « Eric Forbes Adam » أن يبحثوا مع وايزمان وفرانكفورت وكوهين ، وهم يمثلون المنظمة الصهيونية ، مشروع وثيقة الانتداب على فلسطين وقد أعدت هذه الادارة مشروعا تمهيدا استندت اليه المنظمة الصهيونية فى اعداد مشروعها الخاص للانتداب وأهم ما نلاحظه فى مقترحات المنظمة الصهيونية التى قدمها « Ben V. Cohen » فى ٢٤ سبتمبر عام ١٩١٩ أنها أكدت العلاقة التاريخية بين اليهود وفلسطين التى تخول لليهود المطالبة باعادة بناء فلسطين باعتبارها وطنهم القومى وليست مجرد وطن قومى ^(٦٩) وهذا ما لم تستطع المنظمة الصهيونية أن تظهر به فى وعد بلفور ، بل كانت المنظمة تسعى الى النص على تأكيد ما سمته « بالحقوق التاريخية » لليهود فى فلسطين بدلا عن « العلاقة التاريخية » !! وقد أجازت عصابة الأمم النص الذى اقترحتته المنظمة الصهيونية ليصبح مقدمة لوثيقة الانتداب ، كما أجازت المادة الرابعة التى أعدتها وصاغتها المنظمة الصهيونية وهى تتعلق بانشاء الوكالة اليهودية فى فلسطين والاعتراف بها * وبما أن وعد بلفور اقترح صهيونى أصلا ونصا رغم ما أجرى فيه من تعديل طفيف فى الصياغة فان المادة التى أدرج بموجبها فى وثيقة الانتداب (المادة الثانية) تعتبر أيضا من وضع المنظمة الصهيونية وينطبق ذلك بالمثل على المادة السادسة من وثيقة الانتداب (تسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين) لارتباطها بانشاء الوطن اليهودى وتمثل المواد الثلاث المذكورة ، بالاضافة الى الديباجة اهم المرتكزات التى بنيت عليها وثيقة الانتداب على فلسطين ^(٧٠) * بل يرى وايزمان أن الديباجة كانت أهم فقرة على

No. 299 Memo, By Mr. Forbes Adam (Paris) (٦٩)
385/3/3/19140, September, 26, 1919 Woodward and Butler, op. cit., p. 428.

(٧٠) راجع مشروع المنظمة الصهيونية لوثيقة الانتداب ومشروع الوفد البريطانى فى :

Appendix to No. 299, Chapter V, Palestine Mandate, Woodward and Butler op. cit., pp. 429 - 438.

الاطلاق في وثيقة الانتداب (٧١) ، وكانت تلك الوثيقة بمثابة الدستور الذي اهتمت به الادارة البريطانية في حكم فلسطين واستند اليها كتاب الصهيونية في ايهام الرأي العام العالمي أن الصهيونية إنما استمدت حق السيادة على فلسطين بموجب الانتداب وهو وثيقة دولية !! وفي ذلك يقول فرانكشتاين « انه لا يحق لأحد غير اليهود ادعاء السيادة على فلسطين بعد اجازة وثيقة الانتداب — لأن أصحاب السيادة السابقين على فلسطين قد انقرضوا أو تخلوا عن حقوق السيادة كما فعلت تركيا بمقتضى المادة ٣٦ من معاهدة لوزان ١٩٢٣ » (٧٢) وقد رأينا أن وثيقة الانتداب كانت من وضع المنظمة الصهيونية كما أن تركيا لم تتخل عن سيادتها على فلسطين للمنظمة الصهيونية • ويوضح أحد رجال القانون الدولي الدكتور محمد طلعت الغنيمي الموقف بصورة أكثر جلاء فيقول « ان سببين من أسباب فقد الاقليم في القانون الدولي قد توافرت بالنسبة لليهود حيال فلسطين ألا وهما : (١) الترك ، (٢) التقادم المسقط • أما حق العرب فهو التقادم المكسب وهو اكتساب الملكية بوضع اليد المدة الطويلة » (٧٣) • ويقول عن الانتداب « ان نظام الانتداب لا يترتب عليه زوال السيادة عن شعب الاقليم الخاضع للانتداب بل ان هذه السيادة باقية للشعب المذكور وأن كل ما للدولة المنتدبة بالنسبة للأقاليم التي سلّخت عن تركيا هو تقديم المعونة والنصح فحسب » (٧٤) •

ولكن قبل بدء نفاذ الانتداب كان هربرت صمويل يمارس سلطاته بعد تعيينه مندوبا ساميا على فلسطين وقد تسلم ادارة البلاد رسميا في أول يوليو عام ١٩٢٠ ليواجه شعب فلسطين الثائر بعد أن استنفد كافة الوسائل السلمية لاسترداد حقه المشروع وأخذت الثورات تتفجر

(٧١) Weizmann, op. cit., p. 348.

(٧٢) Ernst Frankenstein Palestine in the Light of International Law, London 1946 p. 13.

(٧٣) محمد طلعت الغنيمي : قضية فلسطين أمام القانون الدولي ، الاسكندرية ١٩٦١ ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٥ .

(٧٤) الغنيمي : المصدر نفسه ص ١٠١ .

الواحدة تلو الأخرى وشرع صناع وعد بلفور في حصاد ما غرست أيديهم وكلما اندلعت ثورة عربية في فلسطين هبت الحكومة البريطانية لتتقصى الحقائق بتشكيل لجان للتحقيق فيما كانت تسميه الاضطراب وحوادث الشغب •

بدأت الحوادث في عهد الجنرال « Louis Bols » عندما كان العرب يعترمون الاحتفال بمناسبة دينية في ٤ ابريل ١٩٢٠ وأسفرت المعركة عن ستة قتلى من اليهود وصاح وايزمان : انها مذبحة منظمة « Pogrom » بل سماها المذبحة الأولى تحت العلم البريطانى (٧٥) ، ليعيد الى ذهن القارىء فكرة اضطهاد اليهود والمذابح التى عرفوها فى روسيا القيصرية وربما كان غرض وايزمان من هذا النواح استدرا العطف على اليهود باعتبار أن حوادث ٤ ابريل سنة ١٩٢٠ كانت امتدادا لموجة اضطهاد اليهود فى مسرح جديد هو الوطن العربى ولكن تقرير لجنة التحقيق التى شكلت لمعرفة الحقيقة لم يؤيد وايزمان بل يحدثنا فيليب جريفز المراسل لجريدة التايمز فى فلسطين أن تقرير اللجنة لم ينشر لأنه كان ينقد المنظمة الصهيونية نقدا لاذعا وينتقد سلوك بعض الضباط البريطانيين (٧٦) وتوالت الأحداث الدامية بين عامى ١٩٢٠ و ١٩٢٤ معبرة عن استتكار الشعب العربى فى فلسطين للسياسة البريطانية والتسلط الصهيونى فكانت اضطرابات يافا الأولى (١) أول مايو ١٩٢١) واضطرابات القدس الثانية (٣ نوفمبر ١٩٢١) وحوادث يافا الثانية (٢ مارس ١٩٢٤) (٧٧) وكان من نتائج ثورة مايو ١٩٢١ فى يافا تشكيل لجنة قضائية للتحقيق برئاسة القاضى البريطانى توماس هايكرافست « T. Haycraft » وقد جاء فى تقرير اللجنة أن رغبة الصهيونية فى السيطرة (٧٨) على فلسطين كانت سببا واضحا لاثارة العرب وأيدت هذا القول لجنة التحقيق فى حوادث أغسطس عام ١٩٢٩.

Weizmann, op. cit., p. 324.

(٧٥)

Philip Graves, op. cit., pp. 60 — 61.

(٧٦)

(٧٧) انظر تفاصيل هذه الحوادث فى : أمين سعيد — الثورة العربية

الكبرى ج ٣ ص ٨٨ — ٩٨ *

Weizmann, op. cit., p. 349.

(٧٨)

برياسة السير والتر شو فذكرت في تقريرها أن السبب الأساسي للاضطراب عداوة العرب لليهود بسبب خيبة آمالهم وعدم تحقيق آمانيهم السياسية والقومية وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي (٧٩) .

وكان من نتائج أحداث مايو ١٩٢١ القرار الذي اتخذته هربرت صمويل وأعلنه على ملأ من أعيان العرب في الرملة وهو يقضى بإيقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين وقد وصف وايزمان هذا القرار وطريقة اعلانه بأنه كان صدمة لليهود في كل مكان (٨٠) .

لقد ساعدت حوادث سنة ١٩٢١ وتقرير لجنة « Haycraft » وعودة اللورد « Northcote » « A. C.W. Harmsworth » بعد زيارة قصيرة لفلسطين ، على إيضاح بعض الحقائق للرأي العام البريطاني عن قضية فلسطين إذ كانت دار النشر التي يملكها اللورد نورثكليف أكثر دور النشر نجاحا في تاريخ الصحافة البريطانية (٨١) ، وبعد عودته من فلسطين قامت الصحف التي يصدرها ومنها « الديلي ميل » و « والايفنج نيوز » بحملة ضد الصهيونية ونادت بالغاء وعد بلفور وكان اللورد نورثكليف يرى أن الصهيونية خطر على الامبراطورية البريطانية وأنه من الجنون أن تثير بريطانيا قلق خمسين مليوناً من المسلمين في سبيل ارضاء خمسمائة ألف يهودي (٨٢) .

ولكن البيان الذي أصدرته الحكومة البريطانية — بيان المستر تشرشل — في حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٢ أكد غزم الحكومة على السير في سياستها الخاطئة ازاء فلسطين ولم تتر الحكومة البريطانية في كل ما حدث سوى توتر ناجم عن سوء فهم لوعده بلفور !! يقول البيان :

(٧٩) تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب (أغسطس) ١٩٢٩ الترجمة الرسمية : مطبعة دير الروم — القدس ١٩٣٠ ص ١٩٧ — ٢٢٠ .

Weizmann, op. cit., p. 342. (٨٠)

The New Encyclopaedia Britannica Micropaedi, (٨١)

1976, Vol. 7, p. 401

Weizmann, op. cit., p. 351 (٨٢)

« ان التوتر الذى ساد فلسطين من حين الى آخر يعزى معظمه الى مخاوف أخذت تتساور بعض طبقات السكان العرب واليهود * أما مخاوف العرب فبعضها مبنى على تفاسير مبالغ فيها لمعنى التصريح الذى أعطى بالنيابة عن حكومة جلالته فى اليوم الثانى من شهر تشرين الثانى والذى يحبذ انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين * ذلك أنه نشرت بيانات غير رسمية بأن الغاية المنشودة هي جعل فلسطين يهودية برمتها واستعملت عبارات قيل فيها « ان فلسطين ستصبح يهودية كما ان انكلترا انكليزية ^(٨٣) » فحكومة جلالته تعتبر هذه الامال غير قابلة للتحقيق وتعلن بأنها لا ترمى الى مثل هذه الغاية ^(٨٤) ثم يمضى البيان مؤكدا التزام الحكومة البريطانية بوعده بلفور وزيادة عدد الطائفة اليهودية فى فلسطين بالمهاجرة ^(٨٥) .

ان بيان المستر تشرشل يثير العجب والرثاء معا لأنه يؤكد أن الحكومة البريطانية لم تع الدرس بعد *

لقد زار هربرت اسكويث رئيس الوزراء البريطانى الأسبق فلسطين فى نساء سنة ١٩٢٤ وأدلى عقب عودته بحديث يجعل بيان شرشل احدى سخريات هذا القرن قال اسكويث « ان العرب يمثلون ثلاثة أرباع سكان فلسطين ويبلغ عدد اليهود نحو عشر السكان ووصف القول بتحويل فلسطين الى وطن قومى لليهود بأنه لا يعدو أن يكون خيالا جامحا كما كان دائما ^(٨٦) » ولكن وايزمان يشكك فى صحة النتائج التى خلص اليها اسكويث من زيارته لفلسطين استنادا الى أن بلفور قد زار فلسطين أيضا بعد اسكويث ببضعة أشهر واستخلص

(٨٣) هذا التعبير من ابتكار وايزمان فى تعريفه لمعنى الوطن اليهودى فى فلسطين وقد ذكره مرارا فى مذكراته كما أكدته لوزير الخارجية الأمريكى روبرت لانسنج فى مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ انظر :

Trial and Error P. 305

(٨٤) بيان الخطة السياسية فى فلسطين الذى أصدره مستر تشرشل فى حزيران سنة ١٩٢٢ ، الذيل الخاص لتقرير لجنة وانثر شو للتحقيق عن اضطرابات آب ١٩٢٩ ص ٢٦٥ .

(٨٥) المصدر السابق ص ٢٦٧ — ٢٦٨ .

Weizmann, op. cit., pp. 193 — 194

(٨٦)

نتائج تختلف تمام الاختلاف (٨٧) • ويعنى وايزمان أن بلفور عاد من فلسطين وهو أكثر ايماناً بإنشاء الوطن القومى لليهود فيها ، وفى هذا القول اشارة الى ما ذكره بلفور لوايزمان بعد انتهاء الزيارة بأنه « كان سعيدا بوجه خاص أن يرى المستعمرات اليهودية المزدهرة التى تنهض دليلا على سلامة وقوة الوطن القومى النامى » (٨٨) ولكن الميجر بولسون نيومان المراسل الحربى الخاص للصحف البريطانية فى القدس والذى شهد زيارة بلفور لفلسطين عام ١٩٢٥ يعطينا صورة تختلف تماما عن تقرير وايزمان • يقول مستر نيومان : ان بلفور وصل اللد فى ٢٥ مارس ١٩٢٥ يرافقه وايزمان وسوكولوف ومندوب عصبة الأمم فقابله العرب بالمقاطعة وتظاهر ضده الطلاب • وأعلن الاضراب العام فى جميع أنحاء فلسطين وكان اضرابا ناجحا وأوصدت المتاجر أبوابها وظهرت الصحف العربية مجلة بالسواد ورفعت الأعلام السوداء احتجاجا على السياسة البريطانية الموالية للصهيونية وأقيمت الصلوات فى مساجد المدن الكبيرة كلها وندد الخطباء فى المساجد بالصهيونية ودعوا الى الاتحاد لمقاطعة وعد بلفور وعمت المظاهرات الأقاليم فامتدت الى نابلس والخليل • وكان بلفور يتحرك فى فلسطين تحت الحراسة المسلحة واستقبلته دمشق بالمظاهرات الصاخبة والهتاف العدائى ، وحاصرت الجماهير العربية فى فندقه ، ورمته بالحجارة ، وقال نيومان : ان الناظر من نافذة الفندق كان لا يرى غير بحر من الطرايش الحمراء (٨٩) •

لقد رافق نيومان مستر بلفور فى كل تحركاته فى فلسطين وسوريا ووصف نشاط بلفور واشتراكه فى الاحتفالات الصهيونية خاصة الاحتفال بافتتاح الجامعة العبرية فى أول ابريل سنة ١٩٢٥ وقد أبدى نيومان حسرته على سذاجة بلفور وقال عنه انه غادر فلسطين دون أن يدرك حقيقة الموقف بل خرج بتصور خاطئ بعد أن قضى كل وقته مع

Weizmann, op. cit., p. 194 (٨٧)

Weizmann, op. cit., p. 400 (٨٨)

Major E.W. Polson Newman, The Middle East, (٨٩)
London, 1926 P. 88

اليهود الصهيونيين ولم ير من الأماكن إلا ما راق للصهيونيين أن يأخذوه اليها فلم ير فلسطين العربية ولم يعرف شيئاً عن الحياة العربية هناك ولا عن المسألة العربية بل خرج مقتنعا بأن القضية العربية ليس لها وجود ، وهذا ما أدهش نيومان لأنه لم يتصور أن يكون رجل في مكانة بلفور بهذا القدر من ضعف الإدراك وقد كان رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية في بريطانيا العظمى (٩٠) .

وهكذا أثبتت الصهيونية قدرتها على ربط مصلحتها في فلسطين بمصالح الامبراطورية البريطانية واستغلال ظروف الحرب العالمية الأولى وضعف مركز الحلفاء في عامي (١٩١٦ و ١٩١٧) لتحقيق مآربها حتى استطاعت في أقل من ست سنوات (١٩١٤ — ١٩٢٠) أن تسترد أنفاسها وتدعم مواقعها في وجه معارضة يهودية عاتية ، فحصلت على وعد بلفور وأملت شروط الانتداب على فلسطين وأمنت ظهرها بوضع هربرت صمويل على رأس حكومة الانتداب وألبست الوعد والانتداب معاً ثوبا كاذبا من الشرعية والالتزام الدولي بادراجهما في ميثاق عصبة الأمم ومعاهدة سيفرس التي تم التوقيع عليها في ١٠ أغسطس عام ١٩٢٠ (٩١) .

خاتمة

● أحداث خطيرة بين عامى ١٨٧٥ - ١٩٢٥ - التنظيمات
والقضية العربية - آراء حول دعوة الإصلاح - المتابع
الفكرية للثورة العربية والثورة المهدية - السلطان
عبد الحميد ودستور مدحت باشا - تركيا الفتاة عهد جديد
للطفيان - سياسة الاتراك الاتحاديين تمهد للثورة العربية
- أثر الحرب العالمية الاولى - كتشنر والشريف حسين -
التمهيد للخديعة الكبرى - الصهيونية تطل برأسها -
وايزمان فى بريطانيا وبراندائيس فى واشنطن وسوكواوف
فى أوروبا - الوطن العربى فى قبضة الصهيونية وحلفائها -
فترة حاسمة (١٩١٩ - ١٩٢٥) - الغرب وعقدة الذنب
أمام اليهود - الوطن العربى ضحية العقدة .

خاتمة

لقد شهدت الفترة — موضع البحث — نهاية « عصر التنظيمات » وما يسميه مؤرخو الغرب « الاستبداد الحميدى » (١٨٧٦ — ١٩٠٨) وكان فى حقيقته صمودا حميديا . كذلك شهدت الفترة بداية الاستعمار الصهيونى فى فلسطين (١٨٨٢) وجهاد الأفغانى (١٨٣٨ — ١٨٩٧) فى العالم العربى والاسلامى ، وانعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى « بال » (١٨٩٧) وانفجار الثورة العراقية فى مصر (١٨٨٢) وتوطيد دعائم الحكم البريطانى فى السودان أو ما كان يسمى « الحكم الثنائى » (١٨٩٩) كما شهدت الفترة ذاتها الانقلاب العثمانى (١٩٠٨) الذى أطاح بالعهد الحميدى ومهد لدكتاتورية الأتراك الاتحاديين (١) ، واندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) وانطلاق الثورة العربية فى الحجاز (١٩١٦) وعلان وعد بلفور (١٩١٧) واثابة العرب على مؤازرتهم للحلفاء فى الحرب بانتزاع فلسطين منهم واهدائها للصهيونية العالمية واخضاع بلادهم لمزيد من التمزق والاحتلال الأجنبى باسم « الوصاية » و « الحماية » و « الانتداب » .

وكان لكل من هذه الأحداث أثر مباشر أو غير مباشر فى تشكيل القضية العربية وتحديد اتجاهاتها « فالتنظيمات » هى الذريعة التى اتخذتها الدول الأوروبية الكبرى وعلى رأسها بريطانيا فى القرن التاسع عشر للتدخل فى شئون الدولة العثمانية ، تارة باسم الإصلاح وقارة باسم حماية الأقليات ولكن الدوافع الحقيقية وراءها كانت رعاية المصالح السياسية والاقتصادية لتلك الدول ، لأن وجود الخلافة العثمانية — على ضعفها — فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كان يمثل خطراً كبيراً على مصالح الدول الكبرى آنذاك ومصدر الخطر — كما تصوره ساسة ذلك العصر — أن ضعف الدولة العثمانية قد يفرى بعض الدول الأوروبية المتنافسة على اقتسام تركة الرجل المريض لتحقيق مطامعها الخاصة على حساب البعض الآخر . فروسيا القيصرية ما فتئت

(١) جمعية الاتحاد والترقى .

تتطلع الى منفذ لها الى البحر المتوسط عبر المضائق التركية ، وفرنسا كانت شديدة الغيرة على ما سمتة مصالحها فى شرقى ذلك البحر ثم فى افريقيا بعد احتلال تونس (١٨٨١) وبريطانيا — لاسيما بعد افتتاح قناة السويس — كانت ترقب بحذر هذه التطلعات من جانب روسيا وفرنسا زاعمة أن انهيار الامبراطورية العثمانية يندرج بخطر محقق على مصالحها فى الهند وتجاريتها الخارجية ومن ثم تبنت بريطانيا الدعوة الى المحافظة على سلامة الدولة العثمانية واصلاحها من الداخل وهى دعوة حق أريد بها باطل ، وذلك فى اطار السياسة البريطانية تجاه هذه المسألة التى كانت تعرف « بالمسألة الشرقية » .

وصلة « التنظيمات » بالقضية العربية ، أن دار العروبة فى الشرق كانت جزءا من دار الخلافة العثمانية كما كانت حقل تجارب لعملية التنظيمات التى جلبت وراءها الامتيازات الأجنبية وتغلغل النفوذ الأوروبى فأصبحت مصر مثلاً^(٢) مسرحاً لأسوأ أنواع التدخل الأوروبى الذى بلغ ذروته فى عهد الخديو اسماعيل وتوفيق عندما اتخذ التدخل أولاً صورة رقابة مالية تحولت الى تدخل سياسى سافر ثم الى احتلال عسكرى (١٨٨٢) وكان أبرز معالم ذلك التدخل اخراج السيد جمال الدين الأفغانى من مصر تحت ضغط الحكومة البريطانية وتعيين بعض الأجانب فى مجلس وزراء مصر (ريفرز ويلسون ودى بانير)^(٣) وحرمان مجلس النواب الوطنى حق الرقابة المالية على شئون البلاد ومنح الخديو سلطة مطلقة يمارسها بتوجيه القنصل البريطانى والقنصل الفرنسى .

ولقد سرت مظاهر الظلم وسوء الادارة التى اتسم بها حكم

(٢) كان لمصر وضع خاص بعد معاهدة لندن ١٨٤٠ — استقلت فيه عن الدولة العثمانية مع بقاء السيادة العثمانية عليها وضمن العرش فيها لـ محمد على باشا وأسرته من بعد بالتوارث ، انظر : راشد البراوى ، مجموعة الوثائق السياسية ج ١ ، المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٢٥ — ٣٠ .

(٣) انظر تفاصيل هذا التدخل فى كتاب روتشتين « Egypt's Ruin » (تاريخ المسألة المصرية) تعريب عبد الحميد العبادى ومحمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٢٣ ص ٦٣ — ٦٩ .

بعض الولاة فى أقاليم الدولة العثمانية ، فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، الى أجزاء أخرى من الوطن العربى ، مع ضعف السلطة المركزية فى القسطنطينية واتساع دائرة الصراع بين الدول الأوروبية على مراكز النفوذ الاقتصادى والسياسى والدينى فى الشرق الأوسط لا سيما فى الجزء الغربى من الهلال الخصيب (الشام) وكان رد الفعل لهذه الأوضاع دعوة الى الإصلاح الحقيقى نابعة من احساس الشعوب العربية والعثمانية بالحاجة الى التغيير الذى يلبي مطالبها ولا يمسح شخصيتها وقيمها وتراثها فارتفعت الأصوات فى تركيا تنادى بالإصلاح الجذرى ، أصوات محمد نامق كمال (١٨٤٠ — ١٨٨٨) وضياء باشا كما ارتفعت صيحة الإصلاح فى الشرق العربى على أقلام جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا وعبد الرحمن الكواكبي .

وكان على سلاطين آل عثمان ، بعد منتصف القرن التاسع عشر أن يختاروا بين الاستجابة لدعوة الإصلاح المنبثقة من ضمير الشعب الحر أو دعوة الإصلاح التى تبنتها الدول الأجنبية^(٤) ، وكان السلطان عبد الحميد الثانى الذى اعتلى عرش السلطنة فى عام ١٨٧٦ آخر سلاطين آل عثمان الذين واجهوا هذا الاختيار العسير .

ولكن السلطان عبد الحميد لم يكن يواجه دعوة للإصلاح فحسب وإنما كان يواجه أيضا مدا استعماريًا ينذر الخلافة الإسلامية بالفناء ودولا أوروبية متربصة . وكان مفهوم الإصلاح فى عصر التنظيمات — ولعله فى عصرنا هذا أيضا — مرادفاً فى نظر الغرب لمعنى «العلمانية» وصياغة الحياة السياسية والاقتصادية فى دار الإسلام على النمط الغربى العلمانى . ومن ثم ، كان السلطان عبد الحميد حذرا فى تقبل الفكرة فلم ينفذ سياسة الإصلاح على النهج الذى أرادته الدول الأوروبية ، فاستغلت تلك الدول هذا الموقف لممارسة مزيد من الضغط على السلطان العثمانى وعلى ولاته فى الأقاليم العربية والعثمانية التى ظلت خاضعة للسلطان خضوعا مباشرا بينما وأصلت بريطانيا وفرنسا تدخلهما فى مصر تحت ستار حماية الدائنين الأوروبيين فضعف مسند

(٤) انظر : د. حسين مؤنس : الشرق الإسلامى فى العصر الحديث
لجنة الجامعيين لنشر العلم ، مطبعة حجازى ، القاهرة ١٩٣٨ ص ٢٦١ .

الخديوية ثم أوعزت بريطانيا للباب العالي بعزل الخديو اسماعيل وأسندت السلطة الى خلفه توفيق الذى أصبح يتصرف بتوجيه القنصلين البريطانى والفرنسى واستشرى التذمر بين الجنود الوطنيين بسبب ما أصابهم من غبن فى عهد عثمان رفقى وأعوانه من الشراكسة وكانت تعاليم الأفغانى قد آتت ثمارها وتجاوبت دعوة المصلحين فى الأزهر مع صحيفة رواد الاصلاح الدستورى أمثال شريف باشا ومحمود سامى البارودى وتهيأ الجو الثورى فانطلقت الثورة فى مصر يقودها أحمد عرابى وعندما التقت جهود القادة الوطنيين والعسكريين من العرابيين لم تعد الثورة ضد المظالم التى عانى منها أبناء الفلاحين فى القوات المصرية المسلحة ولكنها أصبحت ثورة وطنية ضد التدخل « البريطانى - الفرنسى » وضد النفوذ الأجنبى أياً كان مصدره وضد مساوىء حكم الخديو توفيق * وانتقلت مظاهر الضعف التى اتسم بها حكم أسرة محمد على خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر الى السودان الذى أصبح منذ عام ١٨٤١ اقليماً تابعاً لمحمد على وفقاً لفرمان ولايته الذى ورد فيه « ان سددتنا الملوكية كما توضح فى فرماننا السلطانى السابق قد ثبتتكم على ولاية مصر بطريق الثوارث بشروط وحدود معينة وقد قلدتكم فضلاً عن ولاية مصر مقاطعات الدوبة والدرافور وكردفان جميع توابعها وملحقاتها الخارجية عن حدود مصر » (٥) *

وكما أدى خطأ سياسة الخديو وضعفه أمام التدخل الأجنبى الى اندلاع الثورة العرابية فى مصر ، فان سوء الادارة وتفشى المظالم فى ظل الادارة الخديوية فى السودان ووضوح مظاهر النفوذ الأجنبى كانت من العوامل الهامة التى أذكت ضرام الثورة المهدية فى السودان ولا يستطيع كاتب أن يتحدث عن الثورة العرابية دون أن يذكر الثورة المهدية ، اذ انفجرت الثورتان فى عام واحد (١) (١٨٨١) ، احدهما ضد سلطة الخديو فى مصر والأخرى ضد حكمه فى السودان مع

(٥) راشد انبراوى : المصدر نفسه ص ٣٠ .

(٦) اذا اعتبرنا حادثة « أبا » (١٢ أغسطس ١٨٨١) اعلاناً للثورة المهدية ومظاهرة عابدين (٩ سبتمبر ١٨٨١) انطلاقة للثورة العرابية ..

اختلاف طبيعة الثورتين وأهدافهما وتباين الظروف المحلية التي مهدت لهما والظروف العالمية التي أدت الى قمع كل منهما ومع هذا الاختلاف فان المنابع الفكرية التي نهل منها قادة الثورتين كانت مشتركة وهي تتمثل في تعاليم الأفغانى بما تحمله من بعث للشعوب الاسلامية ومناهضة للنفوذ الأجنبى واستلهاهم للقيم الاسلامية ودعوة المهدي بما تنطوى عليه من اعزاز للدين وجهاد في سبيل الله وتحرير للأرض التي وطئتها أقدام المعتدين .

واذا كان السلطان عبد الحميد قد اضطر الى قبول دستور مدحت باشا استجابة للضغط الذي واجهه وأعلن ذلك الدستور في اليوم الثالث والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٨٧٦ فانه ما لبث أن ألغاه وحل البرلمان في الرابع عشر من شهر فبراير سنة ١٨٧٨ وظل يحكم الدولة بغير دستور حتى انفجرت ثورة تركيا الفتاة في سنة ١٩٠٨ . ومع أن السلطان عبد الحميد حاول أن يتدارك الموقف بإعلانه دستور سنة ١٨٧٦ ، في ٢٤ يوليو عام ١٩٠٨ ، فان الزمام أفلت من يده وانتهى عهده ليبدأ عهد جديد من عهود الطغيان هو عهد تركيا الفتاة الذي انتهى بانتهاء الدولة العثمانية ووقوع البلاد العربية في قبضة الاستعمار والصهيونية .

ولعل أبعد الأحداث أثرا في تشكيل القضية العربية وتحديد اتجاهاتها بعد زوال العهد الحميدى كانت سياسة الأتراك الاتحاديين ازاء الأقاليم العربية وظروف الحرب العالمية الأولى . فسياسة جبهية الاتحاد والترقى أو الأتراك الاتحاديين كانت تقوم على الارهاب وتترك (٧) الشعوب العثمانية وارتكاب أنواع من المظالم فاقت كل ما كان يوجه الى العهد الحميدى من تهمة وكان لهذه السياسة أثرها الواضح في تحويل اتجاه القضية العربية من مجرد دعوة الى الاصلاح واللامركزية في اطار الدولة العثمانية الموحدة الى حركة سياسية جادة ترمى الى استقلال البلاد ثم الى ثورة مسلحة ضد الأتراك .

(٧) أى تحويل الشعوب العثمانية الى أتراك عن طريق نشره اللغة التركية ومحاربة الاتجاهات الوطنية .

أما ظروف الحرب العالمية الأولى فقد أثرت على القضية من عدة وجوه : منها أن دخول تركيا الحرب الى جانب ألمانيا دفع بريطانيا الى تعديل سياستها المعلنة نحو « المسألة الشرقية » تعديلا جذريا . فأصبحت بريطانيا أول دولة تقتطع جزءا حيويا — بل أهم جزء — من أقاليم الدولة العثمانية وذلك بإعلان الحماية على مصر سنة ١٩١٤ بعد أن كانت تتظاهر بالدفاع عن سلامة الدولة العثمانية وممتلكاتها ، ومع أن إعلان الحماية لم يغير من الواقع شيئا وهو أن مصر كانت خاضعة للاحتلال البريطاني منذ هزيمة عرابي في معركة القل الكبير (١٨٨٢) فان انضمام تركيا الى ألمانيا وإعلان الحماية على مصر أعطى بريطانيا الفرصة للظهور بمظهر الدولة الحادية على مصر المدافعة عنها ضد مطامع ألمانيا وحلفائها الأتراك الاتحاديين مستغلة ذلك الشعور العدائي الذي أخذ ينمو عند قادة الحركة العربية ضد سياسة الأتراك لا سيما بعد المذابح التي ارتكبتها جمال باشا عندما ولي أمر سوريا في سنوات الحرب الأولى ومن ثم أخذت بريطانيا تمهد لجذب قادة الحركة العربية الى صف الحلفاء في الحرب ضد تركيا وأصدرت توجيهاتها الى ممثلها في القاهرة في ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٤ ^(٨) ليستطلع موقف شريف مكة الحسين بن علي اذا استجابت تركيا لضغط حليفتها ألمانيا وقامت بتحركات عسكرية معادية لبريطانيا . وكان هذا التوجيه بداية الاتصالات التي انتهت برسائل « حسين — ماكماهون » الشهيرة وإعلان الثورة العربية في الحجاز ضد تركيا ولصالح الحلفاء (يونيو ١٩١٦) وهكذا نرى أن بريطانيا أباحت لنفسها أن تترث السيادة العثمانية على مصر قبل وفاة الرجل المريض ولبست رداء المدافع عن حقوق الأمة العربية جمعاء ضد مطامع تركيا واستبدادها .

ومن ناحية أخرى أتاحت ظروف الحرب العالمية الأولى فرصة نادرة للحركة الصهيونية لتجمع صفوفها بعد الانقسام الخطير الذي أصابها نتيجة اختلاف قاداتها حول قبول الاقتراح القاضي بمنحهم وطنا

Storrs (Ronald). The Memoirs of Sir Ronald. (٨).
Storrs G.P Putnam's Sons, New York, 1937, P. 163.

قوميا لليهود فى شرقى افريقيا وظهر الاختلاف واضحا فى المؤتمر الصهيونى السادس (١٩٠٣) ولكن الحرب بعثت فى الحركة الصهيونية نشاطا جديدا بقيادة وايزمان فى بريطانيا وبراندائيس فى الولايات المتحدة الأمريكية وسولوكوف فى القارة الأوروبية •

ففى بريطانيا كان حاييم وايزمان على صلة وثيقة بمحرر المانشستر جارديان ، مستر س.ب. سكوت الذى استطاع أن يمهد لاجتماع بين وايزمان ولويد جورج (وزير المالية آنذاك فى حكومة اسكويث) وهربرت صمويل • وقد سبق هذا الاجتماع اقناع لويد جورج بأن فلسطين اذا دخلت فى دائرة النفوذ البريطانى واذا شجعت بريطانيا هجرة اليهود الى فلسطين فانها سوف تصبح فى ظرف خمسة وعشرين أو ثلاثين عاما ، موطننا لنحو مليون من المهاجرين اليهود الذين «يعيدون اليها الحضارة ويقفون حراسا أقوى على قناة السويس » وقد حمل هذا رأى هربرت صميل فى رسالة الى لويد جورج مؤرخة فى ١٢ نوفمبر ١٩١٤ (٩) •

كذلك أتاحت ظروف الحرب لوايزمان أن ينتقل من جامعة مانشستر حيث كان يعمل محاضرا فى الكيمياء ، الى لندن فى عام ١٩١٦ حيث التحق بوزارة الحربية ونال حظا وافرا من الاعجاب بسبب ابتكاره الخاص باعداد مادة الآسيتون ، ومن ثم وجد مجالا فسيحا للالتقاء بساسة بريطانيا فى الدوائر العليا واقناعهم بتأييد الحركة الصهيونية والتقى نشاطه هناك بنشاط زعيمين آخرين من زعماء الصهيونية هما تشلنوف (روسيا) وسولوكوف (بولندا) اللذين قدما الى لندن فى نهاية عام ١٩١٤ •

وفى الولايات المتحدة الأمريكية انحدر نشاط الصهيونية الى أدنى درجات الهبوط قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى لا سيما فى عام ١٩١٢ ولكن مع اشتعال نار الحرب ظهر لوى براندائيس زعيما للحركة

Mrs. Blanche Dugdale, The Balfour Declaration (٩)
Jerusalem, 1940, P. 25.

الصهيونية فانتخب رئيسا للجنة التنفيذية الصهيونية التمهيدية في ٣٠ أغسطس ١٩١٤^(١٠) وعين قاضيا للمحكمة العليا في أول يناير عام ١٩١٦ ومنذ ذلك التاريخ أتاح له مركزه وصلته الخاصة بالرئيس ويلسون أن يوجه السياسة الأمريكية لخدمة الصهيونية وكان ثمرة نشاط وايزمان في لندن وبراندائيس في واشنطن وسوكولوف في باريس وروما والفايكان اعلان وعد بلفور وما تبع ذلك من نشاط انتهى بانحياز السياسة البريطانية والأمريكية لارادة الصهيونية في كل المسائل المتعلقة بفلسطين وقد وضع هذا الانحياز في اصدار وعد بلفور وصيغته كما ظهر في « معاهدة سيفرس » وفي فرض الانتداب البريطاني على فلسطين وفي صياغة وثيقة الانتداب وادراج وعد بلفور فيها وفي تعيين هيرت صمويل حاكما عاما على فلسطين عام ١٩٢٠ •

وظروف الحرب العالمية الأولى هي التي زينت لبريطانيا أن تقيم سياستها في الشرق الأوسط على عدد من الوعود والاتفاقات بدأت برسائل «حسين — ماكماهون» (١٤ يوليو ١٩١٥) ثم اتفاق «سايكس — بيكو» (١١ أبريل — مايو ١٩١٦) فوعد بلفور (٢ نوفمبر ١٩١٧) فرسالة هوجارث (١ يناير ١٩١٨) فالتصريح الموجه للسبعة (١ يونيو ١٩١٨) فتأكيدات اللانبي للامير فيصل (١ أكتوبر ١٩١٨) وختمها بالتصريح البريطاني — الفرنسي (٧ نوفمبر ١٩١٨) (١١) •

وقد حسب قادة الحركة العربية آنذاك أنهم قاب قوسين أو أدنى من تحقيق مطالبهم في الحرية والاستقلال بعد أن تضع الحرب أوزارها استنادا الى تلك الوعود ولكن الواقع المرير أثبت أن بريطانيا لم تحترم من هذه الوعود سوى وعد بلفور واتفاق «سايكس — بيكو» بعد ادخال بعض التعديلات عليه للتوفيق بين المطامع الفرنسية في سوريا ومطامع

(١٠) Rabinowitz (Ezekel) Justice Louis D. Brandeis
New York, 1968 pp. 18 - 38 .

(١١) Woodward and Butler, Documents on British
Foreign Policy, First Series 1919 — 1939. H.M. S.O., London,
1952 Vol . 4. p. 241.

الصهيونية في فلسطين وحتى وعد بلفور فان بريطانيا لم تنفذ منه سوى ذلك الجزء الذى يرمى مصالح الصهيونية فى انشاء الوطن القومى لليهود ضاربة عرض الحائط بتعهداتها فيما يتعلق بصيانة الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية (١٢) المقيمة فى فلسطين . أما الوعود البريطانية الأخرى للعرب فانها لم تكن تساوى قصاصة الورق التى كتبت عليها .

وتطلع العرب فى مصر والهلال الخصيب الى مؤتمر السلام (١٩١٩) لانصافهم واستنجزوا بريطانيا وحلفاءها الوعود التى قطعت لهم أثناء الحرب ، ولكن عبثا . وقضى الأمر بعد ابرام معاهدة الصلح فوضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى والعراق تحت الانتداب البريطانى وذهبت فلسطين لقمة سائغة للصهيونية تحت قيادة هيرت صمويل المندوب السامى البريطانى وأحد زعماء الصهيونية (١٣) وظلت مصر فى قبضة الاحتلال البريطانى ، وفاز الشريف حسين بن على بلقب ملك الحجاز ريثما تمنحه بريطانيا حق اللجوء السياسى الى قبرص وتعد له البارجة « دلهى » لنقله الى منفاه فى ١٨ يونيو عام ١٩٢٥ (١٤) وقد سبقه الى المنفى (٣ مارس ١٩٢٤) آخر سلاطين آل عثمان على اثر ازالة الخلافة الاسلامية من الوجود ، حتى فى مظهرها الروحى ، وظهر مصطفى كمال أتاتورك قائدا لتركيا العلمانية .

وأدرك قادة الأمة العربية — بعد فوات الأوان — مدى الخداع الذى كانت تمارسه بريطانيا فى علاقاتها معهم وعبر الشريف حسين بن على عن حسرته قائلا : « لقد تجاهلت النقد الذى تلقينته من مسلمى تركيا بشأن علاقاتى مع بريطانيا وقد وجدت فى الاستجابة لدعوة بريطانيا لى اعلان الثورة تجديدا لمجد العرب وارضاء لمشاعر المسلمين وكانت نتيجة ذلك نهاية العرب ونهاية تركيا على السواء » (١٥) .

(١٢) هكذا كان صناع وعد بلفور يسهون الشعب العربى فى فلسطين .

(١٣) لم يكن لهربرت صمويل منصب رسمى فى المنظمة الصهيونية ولكنه ظل يخدمها من وراء ستار .

(١٤) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ج ٣ — ص ٢١١ .

(١٥) Woodward and Butler, op. cit., Vol. 13 p. 309.

لقد كانت الفترة (١٩١٩ — ١٩٢٥) حاسمة في تاريخ القضية العربية لأنها شهدت تقنين الاحتلال البريطاني في العراق والاحتلال الفرنسي في سوريا ولبنان باسم الانتداب تارة وباسم الحماية والوصاية ومعاهدات التحالف تارة أخرى ، بل كانت هذه الفترة — بحق — فترة التمكين للصهيونية في فلسطين واحاطتها بضمانات وصفت بأنها دولية تمثلت في الاعتراف بوعده بلفور على نطاق عالمي وادراجه في وثيقة الانتداب على فلسطين والنص على الانتداب في المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم * وقد حددت تسويات الحلفاء خلال الفترة (١٩١٩ — ١٩٢٠) معالم المعركة بين الأمة العربية والغرب من ناحية وبينها وبين الصهيونية العالمية من ناحية أخرى طوال النصف الأول من القرن العشرين وكسبت الأمة العربية المعركة ضد الاحتلال البريطاني والفرنسي ولكن معركتها مع الصهيونية ما زالت قائمة وقد تمتد أجيالا بل قرونا لأن طبيعة المعركة اليوم تختلف عنها بالأمس * لقد كانت الأمة العربية بالأمس تواجه احتلالا بريطانيا وفرنسيا موقوتا مهما طال مداه ولكنها اليوم تواجه قوة فرضت عليها بحد السلاح لتهيب وطننا في قلب العالم العربي لملايين اليهود الذين ظلوا هائمين على وجوههم زهاء ألفي عام يعانون التشرد والاضطهاد وعداء السامية (١٦)

(١٦) نزعة العداء لسامية «Antisemitism» تعبير قصده به — أصلا — وصف الحركة التي تهدف إلى اذلال اليهود واضطهادهم لكن الكلمة بمعناها الحديث يقصد بها الأعمال التي يقوم بها الافراد أو الجماعات لحرمان اليهود من الحقوق المدنية والدينية والسياسية وحظر إقامة صلة طبيعية بين اليهود وبين غيرهم من أعضاء الأسرة البشرية . وقد ظهر التعبير للمرة الأولى في ألمانيا في أعقاب الحرب الألمانية — الفرنسية (٧١/١٨٧٠) وتقول المصادر اليهودية أن « Wilhelm Marr » كان — على الأرجح — أول من ابتكر هذا التعبير واستخدمه في نشرة أصدرها عام ١٨٧٩ وهي نفس السنة التي شهدت ظهور « رابطة معاداة السامية » بقيادة « Adolf Stoecker » وكانت الرابطة تمثل تحالفا للقوى المعادية لليهود استنادا إلى بواعث اقتصادية ودينية وعنصرية . راجع :

— Universal Jewish Encyclopaedia, Vol. I, p. 341.

— J. Parkes, Antisemitism, Valentine Mitchell and Co., Ltd. London, 1963 , p. 28.

فى الغرب والشرق الأوروبى ، وهذا وضع لم يشهده الشرق العربى منذ أن حرر صلاح الدين بيت المقدس وقضى على آخر الدويلات الصليبية فيما يسمى « العصور الوسطى » ليعيد الى هذه المنطقة وحدتها العربية الاسلامية . ومما يزيد الأمر خطورة ، أنه عندما تغيرت موازين القوى فى النصف الأول من القرن العشرين عقب حربين عالميتين طاحنتين واتخذت الصهيونية طريقها الى مواقع النفوذ فى العالم الأوروبى ، شرقيه وغربيه ، لم يجد هذا العالم ما يكفر به عن المظالم التى ارتكبتها فى حق اليهود عبر القرون الا على حساب الأمة العربية التى كان تسامحها مع اليهود مضرب الأمثال بشهادة مؤرخى اليهود أنفسهم^(١٧) .



— Ibrahim el Hardallo, Antisemitism, A Changing Concept, University of Khatoum Press, 1970, p. 9.

Salo Wittmayer Baron, A Social and Religious History of the Jews, 2nd. Ed. Columbia University Press, New York, 1957 Vol. 3 P. 121.

وراجع أيضا :
Heinrich Graetz , History of the Jews, Philadelphia, 1917, 1956, Vol. 3 P. 88.

مصادر أخرى للكتاب

اثبتنا المصادر الأساسية في أماكنها بهوامش الكتاب ، وهناك مصادر أخرى هي :

● المصادر العربية :

- ١ — أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، مكتبة النهضة المصرية — القاهرة ١٩٥٩ .
- ٢ — عبد العزيز الدوري : الجذور التاريخية للثومية العربية ، دار العلم للملايين — بيروت ١٩٦٠ .
- ٣ — عثمان أمين : محمد عبده ، أعلام الإسلام ، دار إحياء الكتب العربية مصطفى البابي الحلبي وشركاه — القاهرة ١٩٤٤ (يولييه) .
- ٤ — شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ، مكتبة الخانجي بمصر — ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) .
- ٥ — لويس عوض : تاريخ الفكر المصري الحديث ، كتاب الهلال — ٢ الطبعة الثالثة — القاهرة — ١٩٦٩ .
- ٦ — محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، دار المنار — مصر ١٣٥٠ هـ (الطبعة الأولى) .
- ٧ — مكي شبكية : العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٠ .

● المصادر الأفرنجية :

- 1 — Ahmad (J.M.) , The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism, Oxford University Press, 1960.
- 2 — Ahmad (Feroz) The Young Turks, O.U.P., 1969.
- 3 — Asher Ginzberg (Ahad Ha' Am), Nationalism and the Jewish Ethic, Edt. by Han Kohn, New York, 1962.
- 4 — Atiyah (Edward) The Arabs, Penguin Books, London, 1955.
- 5 — Balfour (J.A), Speeches on Zionism, Edt. by Israel Cohen, Arrowsmith, London, 1928.
- 6 — Blunt (W.S.) My Diaries (1888 - 1914) , London, 1932.

- 7 — Ghorbal (Shafik) The beginnings of the Egyptian question and the rise of Mehemet Ali George Routledge and Sons Ltd, London, 1928.
- 8 — Hourani (A) Minorities in the Arab World, London, 1947.
- 9 — Heller (Joseph) The Zionist Idea Schocken Books, New York, 1949.
- 10 — Laqueur (W.L.) Communism and Nationalism in the Middle East, Routeledge and Kegan Paul, London, 1957.
- 11 — Newmann (E.) The Birth of Jewish Statesmanship, A Story of Theodor Herzl's Life, New York, 1945.
- 12 — Noth (Martin) The History of Israel, Second English Edition Adam and Charles Black, London, 1958.
- 13 — Parkes (James) : A History of the Jewish People, Penguin 1962, Palestine, Oxford University Press, 1940.
- 14 — Rabinowiz (Oskar, K.) Herzl, Architect of the Balfour Declaration, New York, 1958.
- 15 — Rosenthal (E. I. J.) Judaism and Islam, Thomas Yoseloff, New York, 1961.
- 16 — Smith (W.C) Islam in Modern History (Nentor Book) New York, 1963.
- 17 — Tibawi (A. L.) Anglo — Arab Relations and the Question of Palestine, 1914 - 1921, Luzac and Co. Ltd., London, 1978.
- 18 — Taylor (Alan) Prelude To Isreal , New York, 1959.
- 19 — Weigall (A. E. P. Brome) A History of Events in Egypt from 1798 to 1914, Edinburgh - London , 1915.

* * *

الوثائق

- ١ - رسائل « حسين - ماكماهون » (١٩١٥ - ١٩١٦) *
- ٢ - البلاغ الانجليزى الرسمى فى شأن العرب والسلطة الاسلامية
(٢٨ يوليو ١٩١٦) *
- ٣ - رسائل « فرانكفورتر - ويلسون » (٨ مايو ١٩١٩ -
٢١ مايو ١٩١٩) *
- ٤ - الاحصاء الرسمى لسكان فلسطين (١٩٢٢ - ١٩٣٦) *

* * *

(١) رسائل « حسين — مكامهون » (*)

من ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ هـ الموافق ٣٠ أغسطس عام ١٩١٥ الى
جمادى الأولى سنة ١٣٣٤ هـ الموافق ١٠ مارس عام ١٩١٦ .
(عن مجلة المنار ج ٨ م ٢٣ ، ص ٦١٦ — ٦٢٣)

الكتاب الأول

« من نائب ملك الانكليز بمصر الى أمير مكة فى شأن الثورة الحجازية »
« فى ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥ »
كتاب من السر آرثر مكامهون نائب ملك الانكليز بمصر
فى ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ — ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥

الى السيد الحسيب النسيب سلاله الاشراف ، وتاج الفخار ،
وفرع الشجرة المحمدية ، والدوحة القرشية الاحمدية ، صاحب المقام
الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد والشريف ابن الشريف
السيد الجليل المبجل دولتو الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة
المكرمة قبله العالمين ، ومحط رجال المؤمنين الطائعين ، عمت بركته
الناس أجمعين .

بعد رفع رسوم واغر التحيات العاطرة ، والتسليمات القلبية
الخالصة من كل شائبة . نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر
لاظهاركم عاطفة الاخلاص وشريف الشعور والاحساسات نحو الانجليز ،
وقد يسرنا علاوة على ذلك أن نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأى
واحد ، وأن مصالح العرب هى نفس مصالح الانكليز . والعكس
بالعكس . ولهذه النية فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشنر التى

(*) لقد نشرت هذه الرسائل فى عدد من المؤلفات التى صدرت من
قبل باللغتين العربية والانجليزية ولكنى آثرت أن أنشر نماذج منها هنا
تعميماً للقائدة وتيسيراً لمن لم يتح لهم الاطلاع عليها من قبل .

المؤلف

وصلت الى سيادتكم عن يد على افندى وهى التى كان موضحاً بها رغبتنا فى استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند اعلانها . واننا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى رحب باسترداد الخلافة الى يد عربى صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة .

وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لاوانها ، وتصرف الاوقات سدى فى مثل هذه التفاصيل فى حالة أن الحرب دائرة رحاها ، ولان الاتراك لا يزالون محتلين لاغلب تلك الجهات احتلالاً فعلياً ، وعلى الاخص ما علمناه وهو مما يدهش ويحزن أن فريقاً من العرب القاطنين بتلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التى ليس أعظم منها ، وبذل اقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة الى الالمان والاتراك .

نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب الجديد وهو الالمان ، وذلك الظالم العسوف وهو الاتراك . ومع ذلك فاننا على كمال الاستعداد لان نرسل الى ساحة دولة السيد الجليل ما للبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية ، وستصل بمجرد اشارة سيادتكم وفى المكان الذى تعينونه ، وقد عملنا القرتييات اللازمة لمساعدة رسولكم فى جميع سفرائه الينا ، ونحن على الدوام معكم قلباً وقالبا ، مستتشقين رائحة مودتكم الذكية ، ومستوثقين بعربى محبتكم الخالصة ، سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا . وفى الختام أرفع الى تلك السدة العليا كامل تحياتى وسلامى ، وفائق احترامى .

المخلص

السير ارثر مكماهون

نائب جلالة الملك

وقد أجابه الشريف حسين على هذا الكتاب بكتاب مؤرخ فى ٢٩ شوال يلمح فيه بقبول تلك الحدود المعينة فيما سماه (مقررات النهضة) فأجابه بالكتاب التالى :

كتاب ثان

من نائب الملك السر آرثر مكماهون الى الشريف حسين

فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فروع الدوحة المحمدية ، وسلالة النسب النبوى ، الحسين
النسيب ، دولة صاحب المقام الرفيع ، الامير المعظم السيد الشريف ابن
الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العليا ، جعله الله حرزاً منيعاً
للاسلام والمسلمين ، بعونه تعالى آمين وهو دولة الامير الجليل الشريف
حسين بن على أعلى الله مقامه .

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ
٢٩ شوال سنة ١٣٣٣ وبه من عباراتكم الودية المحضة واخلاكم
ما أورثنى رضاء وحبورا . انى متأسف أنكم استنتجتم من عبارة كتابى
السابق انى قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور ، فان ذلك
لم يكن القصد من كتابى قط — ولكنى رأيت حينئذ أن الفرصة لم تكن
قد حانت بعد للبحث فى ذلك الموضوع بصورة نهائية . ومع ذلك فقد
أدركت من كتابكم الاخير أنكم تعتبرون هذه المسألة من المسائل الهامة
الحيوية المستعجلة فلذلك فانى قد أسرع فى ابلاغ حكومة بريطانيا
العظمى مضمون كتابكم وانى بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها
التصريحات الآتية التى لا شك فى أنكم تنزلونها منزلة الرضى والقبول .

ان ولايتى مرسين واسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة
فى الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماء وحلب لا يمكن
أن يقال انها عربية محضة ، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة .

مع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود •

وأما من خصوص الاقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف (٢٢) بدون أن تمس مصلحة حليفتها فرنسا (٢٣) فإني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أقدم المواثيق الآتية وأجيب على كتابكم بما يأتي :

(١) انه مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة •

(٢) ان بريطانيا العظمى تضمن الاماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجوب منع التعدي عليها •

(٣) وعندما تسمح الظروف تمتد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم على ايجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة •

(٤) هذا وان المفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وارشادات بريطانيا العظمى وحدها وأن المستشارين والموظفين الاورباويين لتشكيل هيئة ادارية قوية يكونون من الانكليز •

(٥) أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة فان العرب تعترف أن مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير ادارية مخصصة لوقاية هذه الاقاليم من الاعتداء الاجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة •

وإني متيقن بأن هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون أقل ارتياب ميل بريطانيا العظمى نحو رغائب أصحابها العرب وتنتهي بعقد محالفة (٢٤) دائمية ثابتة معهم • ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الاتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية من نير الاتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال •

ولقد اقتصر في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الاهمية

الكبرى وان كان هناك مسائل فى خطاباتكم لم تذكر هنا فنعود الى البحث فيها فى وقت مناسب فى المستقبل •

واقدر تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكيسوة الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة وانها بفضل ارشاداتكم السامية قد أنزلت الى البر بلا تعب ولا ضرر رغما عن الاخطار والمصاعب التى سببتها هذه الحرب المحزنة • ونرجو الحق سبحانه وتعالى أن يعجل بالصلاح الدائم والحرية لاهل العالم •

انى لمرسل خطابى هذا مع رسولكم النبيل الامين الشيخ محمد بن عارف بن عريفان وسيعرض على مسامعكم بعض المسائل المفيدة التى هى فى الدرجة الثانية من الاهمية ولم أذكرها فى كتابى هذا • وفى الختام أبث دولة الشريف • ذا الحسب المنيف ، والامير الجليل ، شامل تحييتى ، وخالص مودتى ، وأعرب عن محبتى له ولجميع أفراد أسرته الكريمة ، راجيا من ذى الجلالة أن يوفقنا جميعا لما فيه خير العالم ، وصلاح الشعوب • ان بيده مفاتيح الامر والغيب يحركها كيف شاء ونسأله تعالى حسن الختام والسلام •

نائب جلالة الملك
السير آرثر مكماهون

كتاب ثالث

« من نائب ملك الانكليز بمصر الى الشريف حسين أمير مكة »

(فى ٨ صفر سنة ١٣٣٤)

الى صاحب الاصاله والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر ، والنسب الفاخر ، دولة الشريف المعظم السيد حسين ابن على أمير مكة المكرمة قبله الاسلام والمسلمين أدامه الله فى رفعة وعلاء •

(١٥ — نكبة الأمة العربية)

وبعد فقد وصلنى كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ ذى الحجة سنة ١٣٣٣ وسرئى ما رأيته فيه من قبولكم اخراج ولايتى مرسين وأضنة من حدود البلاد العربية • وقد تلقيت أيضا بمزيد السرور والرضى تأكيداتكم ان العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وغيره من السادة الخلفاء الاولين — التعاليم التى تضمن حقوق كل الاديان وامتيازاتها على السواء • هذا وفى قولكم : ان العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين يعلم منه طبعاً ان هذا يشمل البلاد الداخلة فى حدود المملكة العربية لان حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع أن تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء •

أما بشأن ولايتى حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة • ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيهما فالمسئلة تحتاج الى نظر دقيق ، وسنخبركم بهذا الشأن مرة أخرى فى الوقت المناسب •

ان حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فأخبرتكم مستعدة لان تعطى كل الضمانات والمساعدات التى فى وسعها الى المملكة العربية ولكن مصالحها فى ولاية بغداد تتطلب ادارة ودية ثابتة واننا نستصوب تماماً رغبتكم فى اتخاذ الحذر ولسنا نريد أن ندفعكم الى عمل سريع ربما يعرقل أغراضكم ولكننا فى الوقت نفسه نرى من الضرورى جداً أن تبذلوا كل مجهوداتكم فى جمع كلمة الشعوب العربية الى غايئتنا المشتركة وان تحثوهم على أن لا يمدوا يد المساعدة لاعدائنا بأى وجه كان • فانه على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التى يمكن للعرب أن يتخذوها لاسعاف غرضنا عندما يجىء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته • وفى هذه الاحوال فان حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لى أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوى ابرام أى صلح كان الا اذا كان من ضمن شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية وخلصها من سلطة الالمان والأتراك •

هذا وعربوناً على صدق نيتنا ولأجل مساعدتكم فى مجهوداتكم
فى غايئتنا المشتركة فانى مرسل مع رسولكم الامين مبلغ عشرين ألف جنيه •
وأقدم فى الختام عاطر التحيات القلبية ، وخالص التسليمات
الودية ، مع مراسم الاجلال والتعظيم المشمولين بروابط الالفه والمحبة
الصرفة لمقام دولتكم السامى ولافراد أسرئكم المكرمة مع فائق الاحترام •

المخلص

نائب جلالة الملك بمصر
السير آرثر هنرى مكماهون



وقد رد الشريف على هذا الكتاب حامدا شاكرا راضيا واعدا بالقيام
بجمع كلمة العرب على قتال الترك طالبا بعض الاسلحة والذخائر
والاقوات • فأجابه نائب الملك بالكتاب الآتى :

كتاب رابع

« من نائب ملك الانكليز بمصر الى الشريف حسين أمير مكة »
(فى جمادى الاولى سنة ١٣٣٤ يوافق ١٠ مارس سنة ١٩١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى ساحة ذلك المقام الرفيع ذى الحسب الطاهر والنسب الفاخر
قبلة الاسلام والمسلمين معدن الشرف وطيب المحتد سلالة مهبط الوحي
المحمدى الشريف ابن الشريف، صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن
على أمير مكة المعظمة زاده الله رفعة وعلاء • • آمين •

بعد ما يليق بمقام الامير الخطير من التجلة والاحتشام وتقديس
خالص التحية والسلام وشرح عوامل الالفه وحسن التفاهم والمودة
المزوجة بالمحبة القلبية أرفع الى دولة الامير المعظم اننا تلقينا رقيمكم
المؤرخ ١٤ ربيع الآخر من يد رسولكم الامين وقد سررنا لوقوفنا على

التدابير الفعلية التي تتوونها وانها لموافقة في الاحوال الحاضرة وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تصادق عليها وقد سرنى أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم^(١) وان كل شيء رغبتكم الاسراع فيه وفي ارساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا والاشياء الباقية ستحضر بكل سرعة ممكنة وتبقى في بورت سودان تحت أمركم احين ابتداء الحركة وابلاغنا اياها بصورة رسمية كما ذكرتم وبالمواقع التي يقتضى سوقها اليها والوسائط التي سيكونون حاملين الوثائق بتسليمها اياهم •

ان كل التعليمات التي وردت في محرركم قد أعلمنا بها محافظ بورت سودان وهو سيجريها حسب رغبتكم وقد عملت جميع التسهيلات اللازمة لارسال رسولكم حامل خطابكم الاخير الى جيزان حتى يؤدي مأموريته التي نسأل الله أن يكملها بالنجاح وحسن النتائج ؟ وسيعود الى بورت سودان وبعدها يصلكم بحراسة الله ليقص على مسامع دولتكم نتيجة عمله •

وننتهز الفرصة لنوضح لدولتكم في خطابنا هذا ما ربما لم يثن واضحاً لديكم أو ما عساه أن ينتج سوء تفاهم ألا وهو يوجد في بعض المراكز أو النقاط المعسكرة فيها بعض العساكر التركية على سواحل بلاد العرب^(٢) يقال انهم يجاهرون بالعداء لنا والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا البحرية البحرية في البحر الاحمر وعليه نرى انه من الضروري أن نأخذ التدابير الفعالة ضدهم ولكننا قد أصدرنا الاوامر القطعية انه يجب على جميع بوارجنا أن تفرق بين عساكر الاتراك الذين يبدأون بالعداء وبين العرب الابرياء الذين يسكنون تلك الجهات لانا لا نقدم للعرب أجمع الا كل عاطفة ودية • وقد أبلغنا دولتكم ذلك حتى تكونوا على بينة من الامر اذا بلغتكم خبراً مكذوباً عن الاسباب التي تضطرننا الى عمل من هذا القبيل •

(١) المراد بهذه المطالب الأسلحة وعتاد الحرب •

(٢) لعله سقط من هنا ذكر من وصفوا بأنهم يجاهرون بالعداء للانجليز •

وقد بلغنا اشاعات مؤداها أن أعداءنا الالاء باذلون جهدهم لى
اعمال السسطن لييتوا بها الالغام فى البحر الاحمر ولالحاق الالضرار
بمصالحننا فى ذلك البحر وانا نرجوكم سرعة اخبارنا اذا تحقق
لديكم ذلك .

وقد بلغنا ان ابن الرشيد قد باع للاتراك عدداً عظيماً من الجمال
وقد أرسلت الى دمشق الشام ونأمل أن تستعملوا كل ما لكم من التأثير عليه
حتى يكف عن ذلك واذا هو صمم على ما هو عليه أمكنكم عمل الترتيب
مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يتقبضوا على الجمال حال
سيرها ولا شك ان فى ذلك صالح لمصلحتنا المتبادلة .

وقد يسرنى أن أبلغ دولتكم ان العربان الذين ضلوا السبيل تحت
قيادة السيد أحمد السنوسى وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الالمان
والاتراك قد ابتدأوا يعرفون خطأهم وهم يأتون الينا وحدائناً وجماعات
يطلبون العفو عنهم والتزود اليهم وقد والحمد لله هزمت القوات التى
جمعها هؤلاء الدساسون ضدنا وقد أخذت العرب تبصر الغش والخديعة
التي حاقت بهم . وان لسقوط أرضروم من يد الاتراك وكثرة انهزاماتهم
فى بلاد القوقاس تأثير عظيم (١) وهو فى مصلحتنا المتبادلة وخطوة
عظيمة فى سبيل الامر الذى نعمل له واياكم . ونسئل الله عز وجل أن
يكمل مساعيكم بتاج النجاح والفلاح ، وأن يمهّد لكم فى كامل اعمالكم
احسن السبيل والمناهج . وفى الختام أقدم لدولتكم ولكامل أفراد
أسرتكم الشريفة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والالخالص مع
المحبة التي لا يززعها كر العصور ومرور الايام .

كتبه المخلص

السير آرثر مكماهون

نائب جلالة الملك بمصر

(٢) البلاغ الانكليزي الرسمي في شأن العرب والسلطة الاسلامية
مصر في (٢٨ يوليو ١٩١٦)
(عن مجلة المنار ج ٣ م ١٩ ص ١٨٨ - ١٨٩)

البلاغ الانكليزي الرسمي في شأن العرب والسلطة الاسلامية

أرسل قلم المطبوعات البلاغ الآتي الى الجرائد في القطر المصري :
مصر في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٦

نشر في لندن انيوم البلاغ التالي :

« منذ سنين والعرب المعذبون بسوء الحكم التركي ينتظرون اليوم
الذي يتمكنون فيه من استرجاع حريتهم السابقة وقد قاموا في الماضي
بثورات عديدة ضد الاستبداد التركي في البلاد العربية .

« وقد أدى سوء تصرف الحكومة الحالية في الآستانة وخضوعها
للقام لسلطة الالمان الى دخول تركيا مضطرة في حرب متسؤومة أوصلت
الاحوال فيها الى حد النهاية ، فرأى شريف مكة وغيره من الزعماء في البلاد
الغربية أن الاوان قد آن لخلق النير التركي عن أعناقهم والمناداة
باستقلالهم .

« وكانت بريطانيا العظمى تعطف دائما على العرب في أمانهم ولكن
صداقتها التقليدية لتركيا اضطرتها في الماضي الى البقاء على الحياد .
أما الآن وقد انضمت تركيا الى صف الدول الوسطى فقد أصبحت
بريطانيا العظمى حرة في اظهار عطفها على أولئك العرب الذين انخرطوا
في جانب الحلفاء ضد العدو والمشترك .

« على أن بريطانيا العظمى ستبقى محافظة على سياستها الثابتة
في الابتعاد عن أية مداخل في الشؤون الدينية ، وعلى بذل جهدها في
بقاء الاماكن المقدسة أمينة من كل طارئ خارجي .

« ومن النقط التي لا تقبل التغيير والتبديل في سياسة بريطانيا العظمى وهو أن تبقى هذه الاماكن المقدسة في أيدي حكومة اسلامية مستقلة .

« ولا يخفى ان احوال الحرب الحاضرة تلقى العقبات الكثيرة والاطار في سبيل الراغبين في القيام بفريضة الحج ولكن العمل الذي قام به شريف مكة يجعل الأمل كبيراً في اتخاذ التدابير اللازمة التي تمكن الحجاج في المستقبل من زيارة الاراضي المقدسة بسلام واطمئنان » اهـ

* * *

(٣) رسائل « فرانكفورتر - ويلسون »

وهي الرسائل المتبادلة بين فيلكس فرانكفورتر عضو الوفد الصهيوني الأمريكي في باريس والرئيس الأمريكي وودرو ويلسون حول اتخاذ فلسطين وطنًا قوميًا لليهود •

Franfurter - Wilson Correspondence Reproduced From Documents on British Foreign Policy, First Series. 1919 — 1939 Vol. 4.

By Courtesy of Her Majesty's Stationery Office, Atlantic House, Holborn Viaduct London, EC. 1P. 1BN. England.

No. 180

Mr. Balfour (Paris) to Earl Curzon (Received June 2)

No. 861 [82739/1051/41]

PARIS, May 31, 1919

Mr. Balfour presents his compliments to Lord Curzon and transmits herewith copies of the under-mentioned papers:

<i>Name and Date</i>	<i>Subject</i>
Correspondence communicated by Mr. Frankfurter, ¹ May 21.	Establishment of Palestine as Jewish National Home.

ENCLOSURE 1 IN No. 180

Mr. Frankfurter to President Wilson

My dear Mr. President, ORGANISATION SIONISTE, PARIS, May 8, 1919

Conscious of the duty of every American not to take from your time and energy, I am nevertheless compelled to bring to your attention the conditions that now confront Jewry, above all Eastern Jewry.

You are familiar with the problems and have stated their solution. The controlling Jewish hope has been—and is—your approval of the Balfour Declaration and your sponsorship of the establishment of Palestine as the Jewish National Home. The appointment of the Interallied Syrian Commission and the assumed postponement for months, but particularly beyond the time of your stay here, of the disposition of Near Eastern questions, have brought the deepest disquietude to the representatives of the Jewry of the world. As a passionate American I am, of course, most eager that the Jew should be a reconstructive and not a disruptive force in the new world order. I have reassured their leaders, with the conviction born of knowledge of your purposes. They have faith; I venture to think no people in Paris have more faith, the faith of 2,000 years. But they also have the knowledge of the suffering of millions of Jews; and the hopes of Jews the world over, which nothing

¹ Member of the American Zionist Delegation at Paris.

will assuage except the rededication, at last, of Palestine as a Jewish Homeland.

Moreover it is not merely a Jewish question. An extended delay in the Near Eastern settlement is bound to intensify the existing unrest by giving dangerous opportunities to Young Turk intrigue and to the stimulation of religious animosities.

The English authorities are eager to have Dr. Weizmann² and me go to Palestine to assure moderation in the Jewish population. We are doing all that can be done and I am confident the Jewish population will maintain restraint. But I dare not leave here while the Turkish issues are undetermined and while you are still in Paris to decide them.

You will forgive me for writing, but circumstances have made me the trustee of a situation that affects the hopes and the very life of a whole people. Therefore I cannot forbear to say that not a little of the peace of the world depends upon the disposal before your return to America of the destiny of the people released from Turkish rule.

Faithfully yours,³

ENCLOSURE 2 IN NO. 180.

President Wilson to Mr. Frankfurter

PARIS, May 13, 1919

My dear Mr. Frankfurter,

Just a line to acknowledge your important letter of May 8th,⁴ and to say how deeply I appreciate the importance and significance of the whole matter.

Cordially and sincerely yours,

WOODROW WILSON

ENCLOSURE 3 IN NO. 180

Mr. Frankfurter to President Wilson

May 14, 1919

My dear Mr. President,

You know how profoundly words, even familiar words, move people today—how their hopes and their faith are sustained or saddened, by what you say or fail to say. Therefore I know you will want me to inform you, in all candour, that your note of acknowledgement to my letter of May 8th has occasioned almost despair to the Jewish representatives now assembled in Paris, who speak not only for the Jews of Europe but also for the American Jewish Congress, the democratic voice of three million American Jews. I do not fail to appreciate the forces which confront you here, and the circumspection which conditions impose upon you. On our side the task is to keep literally millions of Jews in check. Uncertainty, indefinite delay, seeming change of policy, bring a feeling of hopelessness which only those in intimate

² President of the Zionist Federation of Great Britain and Ireland.

³ Signature lacking in original copy.

⁴ Enclosure 1 above.

contact with the people whose fate is at stake can fully gauge. We are banding every energy to prevent the slow attrition of the spirit of such a people.

Therefore, you will forgive me for submitting to you the wisdom and justice of a reassuring word, written or spoken, even though it be repetitive—that you are purposing to have the Balfour Declaration written into the Treaty of Peace, and that you are aiming to see that declaration translated into action before you leave Paris.

Faithfully yours,³

ENCLOSURE 4 IN NO. 180

President Wilson to Mr. Frankfurter

PARIS, May 16, 1919

My dear Mr. Frankfurter,

I have your letter of May 14.⁵ I never dreamed that it was necessary to give you any renewed assurance of my adhesion to the Balfour Declaration, and so far I have found no one who is seriously opposing the purpose which it embodies. I was very much taken by surprise that you should deem anything I wrote you discouraging. I see no ground for discouragement and every reason to hope that satisfactory guarantees can be secured.

In haste,

Sincerely yours,

WOODROW WILSON

ENCLOSURE 5 IN NO. 180

Mr. Frankfurter to President Wilson

May 20, 1919

My dear Mr. President,

I wish I could convey to you the feeling of relief and contentment that your letter of generous reassurance that the Balfour Declaration will eventuate into effective guarantees, has aroused. We are very grateful indeed.

May I ask you to have word sent me that I may show the letter to all those who are interested—not to be published of course—and that I may cable its contents to Mr. Justice Brandeis?⁶

Faithfully yours,³

ENCLOSURE 6 IN NO. 180

Mr. Close to Mr. Frankfurter

PARIS, 21 May, 1919

My dear Mr. Frankfurter,

The President asks me to say in reply to your note of May 20⁷ that he is entirely willing that you should show his letter to those who are interested and use it in the way that you suggest.

Sincerely yours,

GILBERT F. CLOSE

Confidential Secretary to the President

⁵ Enclosure 3 above.

⁶ In 1914 Mr. Brandeis had been appointed Chairman of the American Provisional Executive Committee for Zionist Affairs.

⁷ Enclosure 5 above.

(٤) الإحصاء الرسمي لسكان فلسطين (١٩٣٦ - ١٩٢٢)

Growth of Population Palestine Royal Commission Memoranda
Prepared by The Government of Palestine, P. 2, 1937.

By Courtesy of Her Majesty's Stationery Office, London E.C.
Lr. IBN. England.

PALESTINE ROYAL COMMISSION.

1. GROWTH OF POPULATION.

8.—A census of population was taken in October, 1922, and again in November, 1931. In the intervening period statistics of births and deaths and of migration were used to estimate mid-year populations. A discrepancy arose at the census of 1931 between the expected and the enumerated population due to incomplete recording of births and deaths and of migration, and possibly to faulty enumeration of suspicious and primitive people. In the case of Jews the discrepancy was about two thousand. The growth of population between the two census years and since 1931 is shown in Table I below.

9.—The Moslem population at the census of 1922 numbered 589,177, or 78.5 per cent. of the total population. There has been a steady increase, equivalent to a rate of 2.6 per cent. per year over the whole period until 1936. At this rate of increase a population would double itself in about 27 years. The Moslem population reached 848,342 in 1936, representing nearly 61 per cent. of the total population.

10.—The Jewish population at the census of 1922 numbered 83,790, or 11 per cent. of the total population at that date. The Jewish population rose rapidly to 150,040 in 1926, remained practically stationary until 1928, emigration nullifying the effect of natural increase, and then rose steadily to 172,028 in 1931. Thus the number of Jews more than doubled in the nine years from 1922 to 1931, the gain being equivalent to a rate of increase of 8.4 per cent. per year.

In the period from the 30th June, 1932 to the 30th June, 1936, the Jewish population again doubled, an average rate of increase of 10.7 per cent. per year. It reached the figure of 370,483 in mid-1936, representing 27.7 per cent. of the total population of the country.

There has been unrecorded illegal immigration both of Jews and of Arabs in the period since the census of 1931, but it is clear that, since it cannot be recorded, no estimate of its volume is possible.

11.—The Christian population at the census of 1922 numbered 71,464, representing 9.5 per cent. of the total. It increased steadily to 108,474 in 1936, equivalent to a rate of increase of 3.0 per cent. per year over the fourteen years. At this rate of increase a population would double itself in 24 years. The proportion of Christians to total population in mid-1936 was 7.96 per cent.

12.—The allocation of the total increase in the period from the census of 1922 to the 30th June, 1936, to natural increase and increase by migration is shown in Table II below.

The table indicates that all three main religious communities have gained by migration, the smallest proportional gain being that of the Moslems. It is of interest that the Jewish increase by migration in the fourteen year period is very nearly the same as the Moslem natural increase in the same period, about 237,000.

TABLE I.

Population of Palestine (excluding members of His Majesty's Forces) at the Census of 1922, and as estimated at the 30th June in each of the years 1923-1936, by religions

Year	Total	Moslems	Jews	Christians	Others
1922	752,048	589,177	83,790	71,164	7,017
1923	778,989	609,331	89,660	72,090	7,908
1924	801,962	627,600	91,915	74,004	8,263
1925	817,238	641,491	121,725	75,512	8,507
1926	868,902	663,613	150,040	70,467	8,782
1927	917,315	680,725	149,789	77,880	8,921
1928	935,951	695,290	161,656	79,812	9,203
1929	960,013	712,343	156,481	81,776	9,443
1930	992,559	733,149	161,796	84,986	9,628
1931	1,023,734	753,812	172,028	87,870	10,024
1932	1,052,872	771,174	180,793	90,624	10,281
1933	1,104,884	789,980	209,207	95,165	10,532
1934	1,171,158	807,180	253,700	99,532	10,746
1935	1,261,082	826,457	320,358	103,371	10,896
1936	1,336,518	848,342	370,483	106,474	11,219

TABLE II.

Increase in population of Palestine (excluding members of His Majesty's Forces) in the period October, 1922 to 30th June, 1936, by religion, allocated to natural increase and to increase by migration.

Population:—	Total	Moslems	Jews	Christians	Others
at Census of 1922	752,048	589,177	83,790	71,164	7,017
at 30th June 1936 (Estimated)	1,336,518	848,342	370,483	106,474	11,219
Total Increase	584,470	259,165	286,693	35,010	3,602
Natural Increase	315,013	236,630	49,655	25,462	3,266
Increase by Migration	269,457	*22,535	237,038	9,548	336

* Includes a number of persons, estimated at 10,000, living on land transferred from Syria to Palestine in 1923.

الفهارس

- فهرس الأعلام . .
- فهرس الأماكن والبلدان . .
- محتويات الكتاب . .

فهرس الاعلام

(١)

- | | |
|-------------------------------|-------------------------------------|
| الأخضرى : ٣٠٠ | أيا ايبان : ١٦٩ ، ١٧٨ |
| اديب اسحاق : ٤٣ | ابراهيم باشا : ٤١ |
| أريك فوريس : ١٩٥ | ابراهيم جمعة : ٣٦ ، ٣٧ |
| اسحاق (عايه السلام) : ٣٧ | ابراهيم الحارذلو : ٥ ، ٢٦ |
| اسحاق موسى الحسينى : ٢٨ | ابراهيم (عايه السلام) : ١٨٣ ، ٣٧ |
| أسد « قبيلة » : ٢١ | أبرهة : ٣٦ |
| اسكندر بك عمون : ٧٨ | ابن جلول : ٣٠ |
| اسكويث (هريرت) : ١٨١ ، | ابن خلدون : ١٧ ، ٣١ ، ٥١ ، ٥٢ |
| ١٨٢ ، ١٩٩ ، ٢١١ | ابن الرشيد : ٢٢٩ |
| اسعاف النشاشيبي : ١٢٧ | أبو بكر « الصديق » : ١٧ ، ٥٣ |
| اسعد داغر : ١٠ ، ٥٩ ، ٨٠ ، | أبو تراب : ٥٧ |
| ١٠١ | أقاتورك : ١٧ ، ٣٥ ، ٢١٣ |
| اسماعيل (الخديوى) : ٧٢ ، | أحدها عام (أشر جنزيرج) : ٩ ، |
| ٢٠٨ ، ٢٠٦ | ١٢٤ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ |
| اسماعيل صدقى باشا : ١٢١ | احسان الدابرى : ١٦١ |
| اسماعيل (عليه السلام) : ٣٧ | أحد أمين : ٤٦ |
| اسيد بن عبد اعزى : ٢٢ | أحمد الحوفى : ٢٣ ، ٢٤ |
| الأفغانى : انظر « جمان الدين | أحمد جمال باشا : انظر « جمال باشا » |
| الأفغانى » . | أحمد حسن الزيات : ٤٦ |
| النبى : ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، | أحمد السنوسى : ٢٢٩ |
| ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، | أحمد شوقي : ١٠٨ |
| ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، | أحمد ظبيرة : ٤٨ ، ١١٠ ، ١١١ |
| ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، | أحد ظريبن : ٩٤ |
| ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٩٤ ، ٢١٢ | أحمد عرابى باشا : ٤٢ ، ٩٨ ، |
| الثريد أوف باب : ٤٥ | ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٤١ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ |
| الكسند (دافيد) : ١٨٠ | أحمد عزت عبد الكريم : ١٤ |
| أمين حداد : ٤٣ | أحد غازى مختار : ٩٦ |
| أمين اريحانى : ٢٥ | أحد قواد (الملك) : ١٦٧ |
| أمين سعيد : ١٤ ، ١١٠ ، ١١١ ، | أحد لطفى السيد : ٩٩ |
| ١٣٣ | أحمد محمد صالح : ٢٤ ، ٢٥ |
| | أحمد مدحت باشا : انظر « مدحت » |

أنطونيوس : انظر « جورج	أمية : ٢٠ ، ٢٦
أنطونيوس » *	أنتر ماير : ١٨٦
أنور باشا : ٨٦ ، ٩٦ ، ٩٠ ، ١١٧	الأوس « قبيلة » : ٢٩
أوكونور : ٩٠ ، ٩١	أنطون سمادة : ٣٢
ايدر (دافيد) : ١٩١	

(ب)

١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،	بائزاريا أفندي : ٨٦
١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،	بالرستون : ٨٧ ، ٨٨ ، ١٧٣
٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،	باول (. ا) : ٣٤
٢١٤	باولي (بتر) : ١١١
بلنت (وفرد) : ٣٩ ، ٤٥ ،	برادنايس (لويس) : ٩ ، ١٠٥
٧١ ، ٩٨	١٠٩ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ،
بنقويش (هربت) : ١٢٤ ،	١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،
١٨٠	١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ،
بنسكر (ليو) : ١٦٩ ، ١٧٢ ،	٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٢
بن جوريون (دافيد) : ٨	برنارد لويس : ١٣ ، ١٧ ، ١٩ ،
بنى غنم (قبيلة) : ٢٢	٣١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ،
بورتر (ستروين) : ١٨٩	٥٤ ، ٥٩ ، ٧١ ، ٨٥
بولس (لويس) : ١٩٧	بروفنسال : ٤٥
بونسوئي : ٨٨	بروكلمان (كارل) : ٤٥
بيانشيني (ليفي) : ١٩١	بشارة تقلا : ٤٣
بيشون (ستيفن) : ١٨٥	بطرس البستاني : ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٧ ،
بيكر (س . ه .) : ٤٥	بافير (آرثر) : ٩ ، ٢٦ ، ٤١ ،
بيكو : ١٠٥ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،	١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،
١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،	١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ،
١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٩ ، ١٨٥ ،	١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ،
٢١٢	١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،
بيرا الجميل : ٣٣	١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،

(ت)

توفيق الحكيم : ٤٦	تاج السر حران : ٥
توفيق (الخديوي) : ٥٦ ، ٩٨ ،	تركي رابع : ٣٠
٢٠٨ ، ٢٠٦	تشرشل (ونستون) : ١٨٤ ،
توفيق علي برو : ١٤	١٩٨ ، ١٩٩
توفيق الناطور : ٧٨	تشلنوف : ١٨٠ ، ٢١١
نوينبي (أرنولد) : ١٦٩ ، ١٧٨ ،	تميم « قبيلة » : ٢٠

(ث)

ثوين : ١٤١

ثروت باشا : ١٦٧

(ج)

٢٠٨ ، ٢٠٩
 جمح « قبيلة » : ٢٠
 جميل مردم : ٧٥
 جميل معلوف : ٧٥
 جنكيز خان : ٨٢
 جوتيل (رتشارد) : ١٨٧
 جودت الحايي : ١٣٧
 جور (ارمسبي) : ١٨٣
 جورج انطونيوس : ١٤ ، ٣٩ ،
 ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٨ ، ٧٢ ،
 ١١٢
 جورج (لويد) : ١٠٤ ، ١٢٩ ،
 ١٦١ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٥٨ ، ٢١١
 جورجى زيدان : ٤٣ ، ٩٥
 جورست (الدون) : ١٠٤
 جواد شميدت : ١٠٢
 جوليت آدم : ١٠٣

جاستر : ١٢٤ ، ١٨٠
 جالين (ماك) : ١٨٧
 جاويد بك : ٨٦
 جب (ه . ر .) : ٤٤
 جبرائيلي : ١٤
 جراى (ادوارد) : ٩٣ ، ٩٤
 جريتز (هينريش) : ٩
 جريجور (ماك) : ٩٤
 جريفز (فيليب) : ٨٥ ، ٨٦ ،
 ١٩٧
 جمال باشا (احمد جمال) : ٥٩ ،
 ٦٧ ، ٨٣ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ،
 ١١٠ ، ١١١ ، ١٢١ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ،
 ٢١٠
 جمال الدين الامغاني : ٤٦ ، ٤٨ ،
 ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٨ ،
 ٦٩ ، ١٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧

(ح)

١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
 ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
 ١٥٠ ، ١٥٦ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ،
 ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧
 حسين رشدي : ١٣٩ ، ١٤٠
 حسين كامل « السلطان » : ١٠٥ ،
 ١٠٨ ، ١٠٧
 حمد الباسل : ١٤١
 حمير « قبيلة » : ٢١

حسان بن ثابت : ٣٣

حسن صدقي دجاني : ١٣٦ ،
 ١٣٧

حسن عبد الله الترابي : ٥
 حسن عوفى باشا : ٦٣ ، ٦٤
 حسين بن على « الشريف » : ٦٥ ،
 ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٢ ،
 ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧

(خ)

خليل ثابت : ٤٣
 خليل الخورى : ٤٧
 خليل سرقيس : ٤٧
 خيوان « قبيلة » : ٢١
 (١٦ — نكبة الامة العربية)

خالد بن الوليد : ٢٦ ، ٣٣
 خدورى (ايلي) : ٥٥ ، ٥٦ ،
 ٥٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٤١
 الخزرج « قبيلة » : ٢٩

(د)

داری : ۱۶۰	دی یانیر : ۲۰۶
داوود برکات : ۱۱۱	دی پرونییر (هنری) : ۴۰
داوود (علیه السلام) : ۱۷۸	دی ساکی : ۴۵
دباس (شارل) : ۷۵	دیکسون (جون) : ۸۹
دریفوس : ۱۷۴	

(ر)

الرسول (صلی الله علیه وسلم) :	روتشنین : ۲۰۶
۵ ، ۲۲ ، ۲۶ ، ۲۷ ، ۳۶	روتشیلد : ۱۲۳
رشدی الشمعة : ۱۱۰	روتشیلد (آدموند) : ۹۲ ، ۱۲۴
رشید الخطیب : ۱۳۷	۱۷۷ ، ۱۷۹
رشید رضا : انظر (محمد رشید رضا)	روتشیلد (جیمس) : ۱۹۱
الرشید (هارون الرشید) : ۱۵ ، ۲۱ ، ۲۴	روسو : ۱۷ ، ۵۰ ، ۵۱
رضا الרכابی باشا : ۱۵۱	ریاض الصلح : ۱۱۱
رفیق رزق سلوم : ۱۱۰	ریاض باشا : ۴۸
رفیق العظم : ۱۰ ، ۱۱۰	رید (جیمس) : ۱۶۹ ، ۱۸۹ ، ۱۹۰ ، ۱۹۱
	رینان (ارنست) : ۴۶

(ز)

زکی المحاسنی : ۱۴	زید « الأمير » : ۱۵۰
الزهرای : انظر (عبد الحمید الزهرای)	زید بن عمرو بن نفیل : ۲۲
زهرة « قبيلة » : ۲۱	زین نور الدین زین : ۱۴ ، ۶۲ ، ۷۸

(س)

ساطع الحصری : ۳۵ ، ۱۶۱	۱۰۷ ، ۱۰۹ ، ۱۱۳ ، ۱۱۷ ، ۱۱۹ ، ۱۲۲
سالسبوری : ۶۴ ، ۹۰	۱۲۲ ، ۱۴۷ ، ۱۸۲ ، ۱۹۲ ، ۱۹۳ ، ۱۹۴
سایکس (مارك) : ۱۰۵ ، ۱۰۹	ستویکیر : ۲۱۴
۱۱۶ ، ۱۲۰ ، ۱۲۱ ، ۱۲۲ ، ۱۲۳	سشیف (جاکوب) : ۱۸۶
۱۲۴ ، ۱۲۶ ، ۱۲۷ ، ۱۲۹ ، ۱۸۵	مسعد زغلول : ۱۱ ، ۱۰۵ ، ۱۰۸
۲۱۲	۱۳۸ ، ۱۳۹ ، ۱۴۰ ، ۱۴۱ ، ۱۴۲
سبندر : ۱۶۲	۱۴۳ ، ۱۴۷ ، ۱۴۸ ، ۱۴۹ ، ۱۶۱ ، ۱۶۲
سبیتا (ویاهلم) : ۱۷ ، ۳۴	۱۶۳ ، ۱۶۵ ، ۱۶۶ ، ۱۶۷ ، ۱۶۸
ستورز (رونالد) : ۱۰ ، ۱۰۵	

سوكولوف (فاحوم) : ١٢٤٠٩	سكوت : ١٣٤٠ ٢١١
١٣٤٠ ١٧٥ ١٨٠ ١٨٥ ٢٠٠	سلامة موسى : ١٧ ٣٣ ٣٤
٢٠٣ ٢١١ ٢١٢	٣٥
سهم « قبيلة » : ٢٠	سليم البستاني : ٤٧
سيد نوفل : ٣٧ ٢٨	سليم تقلا : ٤٣
سيف (اسراييل) : ١٩١	سليم « السلطان » : ٦١
سبمون (ليون) : ١٩١	سليم عبد الهادي : ١١٠
سينوت حنا : ١٦٤	سميث (ايلي) : ٤٠
	سواع « صنم » : ٢١

(ثن)

شكري العسلي : ١١١ ١٢٠	شاخت : ٣٨
شكري غانم : ٧٥	شتاين (ليونارد) : ٤١
شوقي ضيف : ٢٣ ٢٠	شتراوس (اوسكار) : ١٨٧
شيتام (ملن) : ١٤٠ ٢٠٧	شتراوس (ناتان) : ١٨٧
١٤١	شريف باشا : ٢٠٨
	شكري الايوبي : ١٢٦

(ص)

١٤٧ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٨١	صالح حيدر : ١١٠
١٩١ ١٩٦ ١٩٨ ٢٠١ ٢١١	صلاح الدين الايوبي : ٢٦ ٢١٥
٢١٢ ٢١٣	صهوبل (هريوت) : ١٠٥
	١٠٩ ١٢٤ ١٣٤ ١٣٥ ١٤٣

(ض)

ضياء باشا : ٢٠٧

(ط)

طه حسين : ٢٢ ٢٣ ٣١	طلعت باشا : ٨٦ ٩٦ ١٠٩
٣٢ ٤٦	

(ع)

٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٧٠ ٧٣ ٧٤	عباس حلمي الثاني « الخديوي » :
٧٥ ٧٩ ٨٣ ٨٧ ٨٨ ٨٩	٧١ ٧٣ ٩٦ ١٠٨
٩٠ ٩٢ ٩٤ ٩٦ ٩٧ ٩٨	عباس قرحات : ٣٠ ٣١
٢٠٣ ٢٠٧ ٢٠٩	عباس محمود العقاد : ٤٦ ١٣٨
عبد الرحمن الرافعي : ٤٨ ٩٩	١٦٧
٦٠٢	عبد الحميد بن باديس : ٣٠
عبد الحميد الزهراوي : ٢٠	عبد الحميد الثاني « السلطان » :
٧٦ ٧٧ ٧٨ ١١٠ ١٦١	٩ ١٠ ١١ ٤٩ ٥٩ ٦٢

- | | |
|------------------------------------|-------------------------------------|
| عبد الرحمن شهيد : ١١٠ | عبد الرحمن فهمي : ١١ ، ١٤٢ ، |
| ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ | عبد الرحمن الكواكبي : ١٧ ، ٤٧ ، |
| ٤٩ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٧٠ ، | ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، |
| عبد العزيز الشعالبي : ٢٤ | عبد العزيز « السلطان » : ٦٣ |
| عبد العزيز فهمي : ١٣٩ | عبد العزيز كامل : ٥ |
| عبد الغنى العريسي : ٧٥ ، | ١١١ ، ١١٠ |
| عبد القادر الجزائري « الأمير » : | ٤٥ ، ٨٠ |
| عبد الكريم الخليل : ١١٠ ، ١١١ | عبد الله بن الحسين « الملك » : |
| ١١٣ ، ١١٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٥ | عبد الله التعايشي : ٦٦ |
| عبد الله جودت : ٧١ | عبد الله القديم : ٤٩ |
| عبد المطلب : ٣٦ | عبد الوهاب الانكليزي : ١١٠ |
| عبد بدران : ٤٣ | عبيد الله أفندي : ٨٢ |
| عبيد الله بن جحش : ٢٢ | عثمان بن الحويرث : ٢٢ |
| عثمان رفقي : ٦٧ ، ٢٠٨ | عثمان سيد احمد اسماعيل : ٥ |
| عدلي يكن : ١٣٩ ، ١٦٦ | عدنان : ٢٦ ، ٣٢ |
| عدي : ٢٠ | العزى « صنم » : ٢٢ |
| عرايى : انظر (احمد عرايى باشا) . | عزيز المصري : ٧٧ ، ٨١ ، ١١٣ |
| على أفندي : ٢٢٢ | على البزاز : ١١٣ |
| على النجارم : ٢٣ ، ٢٤ | على شعراوي : ١٣٩ |
| على عبد الرازق : ١٦ ، ٣٢ | على يوسف : ٤٨ |
| عمر بن الخطاب : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٢٦ | عمرو زعاني « البيروتي » : ١٣٦ ، ١٣٧ |
| عوني عبد الهادي : ٧٥ | عيسى (حايه السلام) : ٣٧ |

(غ)

غورو : ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦١ .

(ف)

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| فارسي نمر : ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٧ ، | فاندايك (كونيديوس) : ٤٠ |
| ١١٠ ، ١١١ | فرانك تايين : ١٩٦ |
| فرانكفورت (فيلكس) : ١٠٥ | ١٠٩ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ |
| ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ، ٢١٩ ، ٢٣٢ | فرينش : ١٣٠ ، ١٣٥ |
| فورد (هنري) : ٣٣ | فولتير : ٥٠ |
| فولليرس : ٣٤ | فيتوري : (الفيري) : ٧١ |
| فيصل بن الحسين « الملك » : ١٢ | ١٠٥ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ |
| ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٧ | |

١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٧	١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٦ ، ١٤٣
٢١٢	١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥١
فينان : ٥٦ .	

(ق)

قحطان : ٣٢ .	قريش : « قبيلة » : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦ .
--------------	--

(ك)

كليمنصو : ١٢٧ ، ١٢٨	كالين (هورسي) : ١٨٧
كنج (هنري نثرشل) : ١٢٩ .	كامب : ١٣٦ ، ١٢٧ ، ١٥٩
١٣٠ ، ١٣٢	كاميون : ١٤٨ .
انكواكي : انظر (عبد الرحمن)	كتشنر : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩ .
كورنواليس : ١٣٣	١١٣ ، ١٥٦ ، ٢٠٣ .
كوكران : ١٩٠	كرستيان (لنكولن) : ١٨٧
كوناللي : ١٨٩ ، ١٩٠	كرومر (ايفلن بيرنج) : ٤٩ .
كوهين : ١٩٥	٥٦ ، ٧٣ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ .
كوين (جوزيف) : ١٢٤ ، ١٨٠	١١٧ .
كيدى (ن.) : ٥٧	كرين (شارلز ر.) : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ .
كيرزون : ١١٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠	كلايتون (جلبرت) : ١٠٩ ، ١٠٥ .
١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٣	١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٢
١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢	١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧
١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨	١٤٩ ، ١٩٢ ، ١٩٤
١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٦ .	كلب « قبيلة » : ٢١
كيلكوك (وليام) : ٣٤ .	كلوس (جلبرت) : ١٣٢

(ل)

لورنس : ١٤٨ ، ١٤٩	اللات « صنم » : ٢١ ، ٢٢
لويد جورج : ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨	لاكتور (جان) : ٣٠
١٥٠	لامانس (هنري) : ٤٤
لويس صابونجي : ٤٧	لانسفج (روبرت) : ٤١ ، ١٨٤
لويس عوض : ١٧ ، ٣٤	١٩٩
ليبسكي : ١٩١	لبيب جريديني : ٤٣
ليفى (سلفين) : ١٩١ ، ١٩٢	لوثر (جيرارد) : ٩٣
لين (ب. و.) : ٤٥	لودج : ١٩٠

(م)

ماتزيفى : ٥٠
ماسينون (لوى) : ٤٥
ماكماهون (هنرى) : ٦٥ ، ٨٤
١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤
١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١
١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٥
١٤٦ ، ١٥٦ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٩
٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧
٢٢٩
مالكولم (جيمس) : ٩ ، ١٨٥
.. ماليت : ٩٤
المأمون : ١٥
ماير (أوجين) : ١٨٨
مايفرتزاجن : ١٣٧ ، ١٣٨
١٥٥
محمد أنيس : ١٣ ، ١٢٢
١٤٢
محمد بديع شريف : ١٤
محمد بن عارف بن عريفان :
٢٢٥
محمد حسين هيكل : ٤٦
محمد الخامس (الامير رشاد) :
٨٣
محمد رفعت : ٩٤
محمد رشيد رضا : ١٠ ، ٤٩
٥٥ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤
٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١١٠
١١١ ، ٢٠٧
محمد سعيد باشا : ١٦١
محمد شاكرا الطيب : ٤٨
محمد طلعت الغنيمى : ١٩٦
محمد عبده : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩
٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠
٩٨ ، ١٠٢ ، ٢٠٧
محمد عثمان العوضى : ٥
محمد على باشا : ٣٩ ، ٤١ ،
٤٢ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٧٣
٢٠٦ ، ٢٠٨
محمد فريد : ١٠٤
محمد فؤاد شكرى : ٩٨
محمد كرد على : ١١٠
محمد محمصاى : ٧٥ ، ١١٠
محمد محمود : ١٤١
محمد مدور : ٢٩
محمد يوسف الخطيب (محمد
يوسف جمعة الكنانى) : ١٣٦
محمد الثانى «السلطان» : ٧٣ ، ٧٤
محمود الخالدى : ١٣٦ ، ١٣٧
محمود سامى البارودى : ٩٨ ،
٢٠٨
محمود شوكت : ٨٦
محمود يوسف العلمى : ١٣٧
مخزوم «قبيلة» : ٢٠
مدثر عبد الرحيم : ٥ ، ٣٠
مدحت باشا : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥
٧٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩
منحج «قبيلة» : ٢١
مراد «السلطان» : ٦٣
مرجليوث : ٤٥
مسلم عابدين : ١١٠
مصطفى رشيد باشا : ٧٤
مصطفى صادق الرافعى : ٤٦
مصطفى كامل : ٣٢ ، ٤٦ ، ٥٠
٥٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢
١٠٣ ، ١٠٤
مصطفى كمال : انظر (أتاتورك) .

١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤
١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١
١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٥
١٤٦ ، ١٥٦ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٩
٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧
٢٢٩
مالكولم (جيمس) : ٩ ، ١٨٥
.. ماليت : ٩٤
المأمون : ١٥
ماير (أوجين) : ١٨٨
مايفرتزاجن : ١٣٧ ، ١٣٨
١٥٥
محمد أنيس : ١٣ ، ١٢٢
١٤٢
محمد بديع شريف : ١٤
محمد بن عارف بن عريفان :
٢٢٥
محمد حسين هيكل : ٤٦
محمد الخامس (الامير رشاد) :
٨٣
محمد رفعت : ٩٤
محمد رشيد رضا : ١٠ ، ٤٩
٥٥ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤
٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١١٠
١١١ ، ٢٠٧
محمد سعيد باشا : ١٦١
محمد شاكرا الطيب : ٤٨
محمد طلعت الغنيمى : ١٩٦
محمد عبده : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩
٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠
٩٨ ، ١٠٢ ، ٢٠٧

موسى (عليه السلام) : ٣٧
موسى هس : ١٦٩ ، ١٧١
مونتاجو : ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣
مونتسكيو : ٥٠ ، ٥١
مونتفيور : ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠
ميخائيل عبد السيد : ٤٨
ميليران : ١٥٧

معاوية بن أبى سفيان : ٣٣
معروف الرصافي : ٢٤
مكى شيبكة : ١٤
ملتر : ١٤٣ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤
١٦٥ ، ١٦٦
مناة « صنم » : ٢١
المهدى : ٦٦ ، ٢٠٩

(ن)

ندرة مطران : ٧٥
نسر « صنم » : ٢١
نسيم مازلياح : ٨٦
نفوسة زكريا سعيد : ٣٥
نورثكليف : ١٩٨
نورى السعيد : ١٢٥ ، ١٥١ ،
١٦١
نوفل : ٢١
نيومان (بولسون) : ١٦٩ ، ٢٠٠
٢٠١

ناتنج (أنتونى) : ١٢١
ناردو (ماكس سيمون) : ١٧٤
ناصرى اليازجى : ٤٠
ناظم باشا : ٩٦
نامق كمال : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ،
٥٤ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٢٠٧
نجيب الحداد : ٤٣
نجيب عازورى : ١٧ ، ٣٢ ، ٥٧
٥٨
نخلة مطران : ١١١

(ه)

١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥
١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠
هشام شارابى : ٢٧
هوجارث : ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٩
١٨٤ ، ٢١٢
هوجو : ٥٠
هونجكن : ٣٥
هولت : ١٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٧
هيرست : ١٦٢

هاشم : ٢٠
هاشم العطار : ٤٧
هاشم الكلبى : ٢١
هاوس : ١٨٥
هايكرافت (توماس) : ١٩١ ،
١٩٧ ، ١٩٨
هبل « صنم » : ٢٢
هذيل « قبيلة » : ٢١
هربرت صمويل : (انظر
صمويل)
هرتزل (تيودور) : ٩ ، ٩٢

(و)

والترشو : ١٩٨ ، ١٩٩
وايت (وليام) : ٨٩

واربورج : ١٦٩ ، ١٨٦ ، ١٨٧
واطسون : ١٤٠

وايزمان (حايم) : ٩ ، ١٠٥	وونف (لوسين) : ١٨٠ ، ١٨٧
١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٦٩	ويتماير : ٩
١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢	ويلسون (ريفرز) : ٢٠٦
١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢	ويلسون (ودر) : ٤١ ، ١٠٥ ،
١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨	١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١
١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٢	١٣٢ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٦٩ ، ١٧٦
ود « صنم » : ٢١	١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢١٢
ورقة بن نوفل : ٢٢	٢٣٢ ، ٢١٩
ولكوكس : ١٧ ، ٣٥	ويلمور (ج. سيلدون) : ٣٤
ولمور : ٣٤	وينجت (ريجنالد) : ١٠٥ ،
وليم مور : ٢١٤	١٠٩ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١
وليم موير : ٤٤	١٢٢ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢
ولهاوزن (يوليوس) : ٤٤	١٦٢
وهيب باشا : ١١٢	

(ي)

يعقوب صروف : ٤٣ ، ٤٧	يوسف فضل حسن : ٥
يعقوب (عليه السلام) : ٣٧	يوسف الهاني : ١١
يعوق « صنم » : ٢١	يوسف وهبة باشا : ١٦١ ،
يغوث « صنم » : ٢١	١٦٣ ، ١٦٥



فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

أمريكا : ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٧٦	أبا : ٢٠٨
١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨	أدنة : ١١٤
١٩٠	أرضروم : ٢٢٩
الاناضول : ٦١ ، ٧٢	أزمير : ٨٦
انجلترا : ٦٤ ، ٧٢ ، ١١٤ ، ١١٦	اسبانيا : ١٨٣
١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٩٩	الاستانة : ١٥ ، ١٥٠ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٥
انطاكية : ١٢٦	٨٧ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢
أوديسا : ١٧٢	٢٣٠ ، ٢٣٣
أوروبا : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٩	الاسكندرونة : ١١٥ ، ١٢٦ ، ٢٢٣
٣١ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٨٠ ، ٨٤	الاسكندرية : ٤٢ ، ٤٣ ، ١٦٣
٨٧ ، ١٢٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٩	اسلامبول : ٦٢
١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٦ ، ١٧٩	اضفة : ٢٢٦
١٨٠ ، ٢٠٣	أفريقيا : ٢٠٦ ، ٢١١
ايران : ٦٩ ، ٥٧	المانييا : ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠٧
ايطاليا : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ١٠٤	١١٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٧٦
١٢٩ ، ١٦١ ، ١٨٥ ، ١٩١	١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢١٠ ، ٢١٤

(ب)

١١٨ ، ١٢٠ ، ١٧١ ، ٢٠٦	باريس : ١٠ ، ٤٦ ، ٧٥ ، ٧٦
برلين : ١٧٢	٧٧ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١٢٥
بريطانيا : ١١ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢	١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣
٤٥ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٨٨	١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٦
٩٣ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٥	١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٥
١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٤	١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٧٨
١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩	١٨١ ، ١٨٦ ، ١٩٥ ، ٢١٢ ، ٢٣٢
١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦	بال : ٨ ، ٩٢ ، ١٦٩ ، ١٧٢
١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧	١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٠٥
١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦	بتسبرج : ١٧٩
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤	البحر الاحمر : ١١٤ ، ٢٢٨
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦١	٢٢٩
١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٩	البحر المتوسط : ٣١ ، ١١٤

بلغاريا : ٦٤	١٨٤٠ ، ١٨٣٠ ، ١٨٢٠ ، ١٨١٠ ، ١٨٠٠
البلقان : ٦٢ ، ٩٦	١٩٨٠ ، ١٨٨٠ ، ١٨٧٠ ، ١٨٦٠ ، ١٨٥٠
بور سودان : ٢٢٨	٢٠٠١ ، ٢٠٣٠ ، ٢٠٥٠ ، ٢٠٦٠ ، ٢٠٧٠
بولندا : ٩٠ ، ١٧٢ ، ٢١١	٢٠٨٠ ، ٢١٠٠ ، ٢١١٠ ، ٢١٢٠ ، ٢١٣٠
بيتاح تكناه : ٩٢	٢١٨٠ ، ٢٢٢٠ ، ٢٢٣٠ ، ٢٢٤٠ ، ٢٢٦٠
بيروت : ١١ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣	٢٣٠٠ ، ٢٣١٠
٤٧ ، ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٩ ، ٩١	البصرة : ٢٢٤
١٢٠ ، ١١١ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٩	بعلبك : ١٥٠٠
١٥٠ ، ٢٢٦	بغداد : ٢٤ ، ٢٥ ، ٧٧ ، ١٨٣
	٢٢٤ ، ٢٢٦

(ت)

تل أبيب : ٩٥ ، ١٧٧	تركيا : ٣٥ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٩
التل الكبير : ٢١٠	٨٥ ، ٨٦ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١١٢
تل كرام : ١٣٧	١١٣ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٤٥ ، ١٤٩
تونس : ٢٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٩	١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٨٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٧
٦٢ ، ٢٥٦	٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٣٠

(ج)

الجزيرة العربية : ١٦ ، ٢٠ ، ٢١	الجيل الاسود : ٦٤
٧٦ ، ٧٢ ، ٥٨ ، ٢٧ ، ٢٢ ، ٢١	جيل صهيون : ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٨
٨٠ ، ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٥	جبل طارق : ١٤٨
جنيف : ٩ ، ٧١	جدة : ١٢١ ، ١٤٥
جيزان : ٢٢٨	الجزائر : ١٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٨
	٣٩

(ح)

الحياة : ٧٦ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٥٠	الحجاز : ٢٤ ، ٦١ ، ٧٢ ، ١٠٥
٢٢٢٣	١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢٠
١٥٧ ، ٢٢٣	١٢٨ ، ١٤٦ ، ١٥٧ ، ٢٠٥ ، ٢١٠
٢١٣	
حوران : ١٦١	حضر موت : ٢٠
حيدز آباد العكن : ٥٧	حاب : ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٥٠
حيفا : ٩١ ، ٩٥ ، ١٢٠ ، ١٣٧	١٥٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦
١٦١ ، ١٩٣	

(خ)

الخليج الفارسي : ١١٤ ، ١٥٥	الخرطوم : ٨ ، ٢٦ ، ٤٣ ، ١١٧
الخليج : ٢٠٨	١٧١
	خليج البصرة : ١١٤

(د)

١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦١ ، ٢٠٠	دراغور : ٢٠٨
٢٢٣ ، ٢٢٩	
دفشواي : ٥٩ ، ١٠١ ، ١٠٢	دمشق : ١١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٠
١٦٦	٤٧ ، ٧٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٥
الدوبة : ٢٠٨	١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٣

(ر)

١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٧٧ ، ١٧٤ ، ١٧٢	رفع : ٩٣
١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢١١	الرملة : ١٩٨
روما : ١٧١ ، ٢١٢	روسيا : ٥٦ ، ٦٤ ، ٩٠ ، ٩٢
	١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٦

(ز)

زفتى : ١٤١

(س)

١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٦ ، ١٤٣ ، ١٣٨	سانونيك : ٨٦ ، ٩٦
١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٥٠	سان ريمو : ١٥٧ ، ١٨٥ ، ١٩٠
١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٥	سبيا : ٢٠
٢١٢ ، ٢١٠ ، ٢٠٠ ، ١٨٨ ، ١٧٣	السودان : ٢٤ ، ٣٩ ، ٦٦ ، ٦٧
٢٢٩ ، ٢١٤ ، ٢١٣	٧٢ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٦٧ ، ٢٠٥
السويس : ١٧١	٢٠٨ ، ٢٠٦
سسويسرا : ٨ ، ٩٢ ، ١٧٢ ، ١٩١	سوريا : ١٢ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣
	٤٤ ، ٤٧ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٥
	٨٧ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٠ ، ٧٨
	٩٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠
سيتشل : ١٤٨ ، ١٦٧	١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٠
سيفرس : ٢١ ، ٢١٢	١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧
سيناء : ١١٤ ، ١١٨	١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦

(ث)

١٣١ ، ١٢٢ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ٨٧	الشم : ٢٠٧ ، ٥٨ ، ٢٠
١٤٧ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ٢٠٧	٢٢٣
٢١٢	شرق الاردن : ١٣٦ ، ١٢٦
شمال افريقيا : ٨	١٥٧ ، ١٤٥
شيكاغو : ١٧٦	الشرق الاوسط : ١٣ ، ٩ ، ٨
	١٤ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٣٩ ، ٦١ ، ٨٥

(ص)

الصومال : ٧١	الصرب : ٦٤
صيدا : ٤٠	صنعاء : ٢٥

(ط)

طرابلس الشام : ٤٩ ، ٤٠	طابة : ١٠١
١٢٩	الطائف : ١٤
طرابلس الغرب : ٧٨	

(ع)

العريش : ٩٣	عدن : ١١٤
العقبة : ١٠١	العراق : ٢٠٠ ، ٢٥ ، ٥٨ ، ٦١
مكا : ١٢٠	٧٦ ، ٨٠ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١
عمان : ٢٥ ، ١٣٦	١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤
	١٥٥ ، ١٥٧ ، ٢١٣ ، ٢١٤

(غ)

غور بيسان : ٩٥	غزة : ٩٣ ، ١٣٧
----------------	----------------

(فا)

١١٧ ، ١١٦ ، ١١٣ ، ١١١ ، ١٠٣	الفاثيكان : ٢١٢
١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨	فاشودة : ١٠٠
١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٣	الفرات « نهر » : ٢٥
١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣	فرانكفورت : ١٧٩
١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٩	فرساي : ١٢٧
١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ٢٠٦	فرنسا : ٣٠٠ ، ٣١ ، ٣٩ ، ٤١
٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦	٤٢ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٨ ، ١٠٠

١٦٠٠١٥٩٠١٥٨٠١٥٧٠١٥٥٠١٥٤	فلادلفيا : ١٧٩
١٧٥٠١٧٤٠١٧٣٠١٧١٠١٦٩	فلسطين : ٨٠٠٩٠١٠٠١١
١٨١٠١٧٩٠١٧٨٠١٧٧٠١٧٦	١٢٠١٤٠١٦٠٢٥٠٢٦٠٣٨
١٨٨٠١٨٦٠١٨٥٠١٨٤٠١٨٣	٥٩٠٧٤٠٨٣٠٨٧٠٨٨٠٨٩
١٩٣٠١٩٢٠١٩١٠١٩٠٠١٨٩	٩٠٠٩١٠٩٢٠٩٣٠٩٤٠٩٥
١٩٨٠١٩٧٠١٩٦٠١٩٥٠١٩٤	٩٧٠١٠٥٠١٠٩٠١١١٠١١٦
٢١١٠٢٠٥٠٢٠١٠٢٠٠٠١٩٩	١٢٠١٢١٠١٢٢٠١٢٣٠١٢٤
٢٣٢٠٢١٩٠٢١٤٠٢١٣٠٢١٢	١٢٥٠١٢٦٠١٢٧٠١٢٨٠١٢٩
٢٣٥	١٣٠٠١٣١٠١٣٢٠١٣٣٠١٣٤
غينيا : ٩٢	١٣٥٠١٣٦٠١٣٧٠١٣٨٠١٤٣
	١٤٦٠١٤٧٠١٤٨٠١٥٢٠١٥٣

(ق)

٩٧٠٩٤٠٩٣٠٨٩ : القدس	القاهرة : ٢٨٠٣٢٠٤٣٠٤٥
١٩٣٠١٩٢٠١٧١ : ١٦٩٠١٣٦٠١٣٥	٦١٠٦٥٠٧١٠٨٦٠٩٣٠٩٨
١٩٧٠١٩٨٠٢٠٠٠	١٠٣٠١٠٥٠١٠٧٠١١١٠١١٣
٧٤٠١٥٠١٣ : القسطنطينية	١١٤٠١١٧٠١١٨٠١١٩٠١٢١
٩١٠٩٠٠٨٩٠٨٨٠٨٥٠٧٧	١٣٠٠١٣٢٠١٣٥٠١٣٦٠١٣٧
٩٣٠٩٤٠٩٦٠٩٧٠١٨٧٠	١٤٠٠١٤١٠١٤٢٠١٤٨٠١٥١
٢٠٧	١٥٤٠١٥٥٠١٦٤٠٢١٠
قناة السويس : ١٠١٠١٢٤٠	قبرص : ٢١٣
٢١١٠٢٠٦٠١٤٧	قنبدان : ٢١٠
القوقاز : ٢٢٩	

(ك)

كومو : ١٦١	كردفان : ٢٠٨
كيليكا : ١٢٧٠١٥٠	كعدة : ٢٠٠
	كولومبيا : ١٨٧

(ل)

١٣٦٠١٣٥٠١٣٤٠١٣٣٠١٢٩	اللاذقية : ١٢٦٠١٢٩
١٤٨٠١٤٦٠١٤١٠١٤٠٠١٣٩	لبنان : ٢٥٠٣٣٠٤١٠٦٦٠
١٥٥٠١٥٤٠١٥٢٠١٥١٠١٤٩	١٢٠٠١٢٦٠١٢٩٠١٥٤٠١٥٥
١٦٧٠١٦٦٠١٥٩٠١٥٧٠١٥٦	٢١٤٠٢١٣
١٨٨٠١٨٦٠١٨٥٠١٨١٠١٧٣	اللد : ٢٠٠
٢٣٠٠٢١٢٠٢١١٠٢٠٦٠١٨٩	لندن : ٨٠٠٩٠٤١٠٦٥٠٨٥
لوزان : ١٩٦	١٠٠٠٠١٠٣٠١٠٩٠١١٣٠١١٨
ليبيا : ٣٩٠٩٦٠١٠٤	١١٩٠١٢٣٠١٢٤٠١٢٧٠١٢٨

(م)

١٠٧٠ ١٠٥٠ ١٠٤٠ ١٠٣٠ ١٠٢٠	ما بين النهرين : ٧٦ : ١٢٠
١١٣٠ ١١١٠ ١١٠٠ ١٠٩٠ ١٠٨٠	مالطة : ٤٢ : ١٤١ ١٤٢
١٣٨٠ ١٢٨٠ ١٢١٠ ١١٨٠ ١١٧٠	١٤٨
١٤٣٠ ١٤٢٠ ١٤١٠ ١٤٠٠ ١٣٩٠	مانشستر : ١٢٤ : ٢١١
١٦٥٠ ١٦٣٠ ١٦٢٠ ١٦١٠ ١٥٦٠	المحيط الهندي : ٢١ : ١١٤
١٨٣٠ ١٨١٠ ١٦٨٠ ١٦٧٠ ١٦٦٠	المدينة المنورة : ١٤ : ١٥ ٢٠
٢١٠٠ ٢٠٨٠ ٢٠٧٠ ٢٠٦٠ ٢٠٥٠	١١٩
٢٢٩٠ ٢٢٧٠ ٢٢٥٠ ٢٢١٠ ٢١٣٠	مرج دابق : ٦١
٢٣٠٠	مرسيليا : ١٢٨ : ١٤٢
معان : ١٠٠	موسين : ١١٤ : ١١٥ ٢٢٣
معين : ٢٠	٢٢٦
مكة : ١٤ : ٢٠ ٢٩ ٦٥	مصر : ٨ : ١١ ١٣ ١٧
٧١ : ١٠٤ ١٠٥ ١٠٩ ١١٥	٢٤ : ٢٥ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢
١١٦ : ١١٨ ١١٩ ١٢١ ١٤٥	٣٤ : ٣٥ ٣٨ ٣٩ ٤١ ٤٢
١٤٧ : ٢١٠ ٢٢١ ٢٢٣ ٢٢٥	٤٣ : ٤٥ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٥
٢٢٧ : ٢٣٠ ٢٣١	٥٦ : ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦١ ٦٢
النبا : ١٤١	٦٦ : ٦٩ ٧٢ ٧٣ ٧٥ ٧٧
الوصل : ١٢٧ : ١٥٢ ١٥٥	٧٨ : ٨٤ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠
ميسلون : ١٤٣ : ١٦١	

(ن)

نهر الاردن : ٢٢٦	نابلس : ١٣٧ : ٢٠٠
النيل « نهر » : ٢٤ : ٢٥	نجد : ٢٠
نيويورك : ١٣٠	التمسا : ٩٠

(هـ)

٢٠٦٥ ١٨٢ : ١١٨ : ١١٧ : ٦٩	الهند : ٤٧ : ٤٩ ٥٦ ٥٧
---------------------------	-----------------------

(و)

٢١٢	وادي الاردن : ٧٦
الولايات المتحدة الامريكية :	وادي النيل : ٣٩ : ٤٣ ٤٧
١٧٩ : ١٧٦ : ١٢٩ : ١٢٤ : ٨٩	٦٦
١٨٧ : ١٨٦ : ١٨٥ : ١٨٤ : ١٨٠	واشنطن : ٨ : ١٠٩
٢١١ : ١٨٩ : ١٨٨	١٨٢ : ١٨٥ : ١٨٦ : ١٨٧ : ٢٠٣

(ي)

اليمن : ٨٢	يافا : ٩٥ : ١٢٩ : ١٣٧ : ١٩٣
الرموك : ٩٥	١٩٧
اليونان : ٨٠ : ١٠٣	يقرب : ٢٢ : ٢٩

محتويات الكتاب

الصفحات

شكر وتقدير	٥ - ٦
تمهيد	٧ - ١٢

مقدمة

رصد مسار القضية في خمسين عاما - تحولات سياسية في المنطقة العربية - دراسات حول القضية - أبعادها ومقوماتها التاريخية - الصعاب التي تكتنف الدراسة - الوجود العربي قبل الاسلام - المد العربي بعد الاسلام - مسيرة الاسلام بعد العرب - الأتراك العثمانيون - القسطنطينية حاضرة الاسلام - أوروبا أمام تحدى العثمانيين - الدولة العثمانية تحتضر - العرب على مفترق الطرق - عناصر الصراع الفكري والسياسي - انبثاق القضية العربية	١٣ - ١٦
---	---------

الفصل الاول : مقومات الأمة العربية

فكرة القومية ومضمونها - الأمة الاسلامية - الوطن العربي القلب النابض للعالم الاسلامي - بين العروبة والاسلام - اسراف وغموض في تعريف القومية العربية - التراث الاسلامي ولغة القرآن قوام الأمة العربية - وحدة الأمة ووحدة الدولة - تيارات فكرية تشكك في عروبة مصر والجزائر - الافتتان بالغرب ونظرية ابن خلدون - سبيتا وولكوكس وسلامة موسى ولويس عوض - أتاتورك والاستقلال - الاسلام يحطم العنصرية - الاخوة الاسلامية - ايمان بالكتب المنزلة من عند الله - الأمة العربية والخلافة العثمانية - ظهور القومية في الوطن العربي - الاستشراق والتبشير - اصالة الفكر الاسلامي - تحدى الاستشراق - الصحافة الاسلامية - العقد الاجتماعي والبيعة في الاسلام - روسو وابن خلدون - برنارد لويس يخطئ الطريق - الحرية السياسية في الاسلام - بيعة أبي بكر - الكواكبي ونجيب العازوري	١٧ - ٥٨
--	---------

الفصل الثاني : عرب عثمانيون

عرب وأنراك في ظل الاسلام — بل عرب عثمانيون —
 اسطورة الاستعمار التركي — تريض الدول الغربية بالخلافة
 العثمانية — السلطان عبد الحميد المفترى عليه — الغوائل
 المحيطة بالدولة العثمانية — عبد الحميد والخلافة العربية
 — عبد الحميد وانوحدة الاسلام — الخلافة العثمانية ملاذ
 الاقطار العربية والاسلامية — ضعف مركز الخلافة — اندعوة
 الى الاصلاح — العرب لا يفكرون في الانفصال — دعاة
 الاصلاح : الأفغانى — محمد عبده — رشيد رضا — الكواكبي
 والاستبداد — رشيد رضا والسعد داغر يؤكدان الوحدة العربية
 العثمانية — سوء العلاقات العربية التركية في عهد تركيا
 الفتاة — بوادر الانفصال — ظهور اتجمعيات الاصلاحية
 والسياسية — المؤتمر العربى الأول — الدعوة الطورانية —
 كتاب « قوم جديد » — التهجم على الاسلام — جمال باشا
 السفاح — وضوح الاتجاه العربى نحو الاستقلال — جمعية
 الاتحاد والترقى تكثر عن نابها — طبيعة الجمعية ودور اليهود
 فيها — وزراء صهيونيون — الجمعية وبرنارد لويس —
 الجمعية تفتح الهجرة اليهودية الى فلسطين — مصر العثمانية
 — الاحتلال البريطانى — دنشواى — مصطفى كامل — الخلافة
 العثمانية ضد مصر — نذر الحرب — تشديد قبضة الاحتلال —
 نحو الخديعة ٥٩ — ١٠٤

الفصل الثالث : الخديعة الكبرى

القضية العربية في طور جديد — ارهاب جمال باشا
 يعجل بالثورة العربية — بريطانيا صديقة العرب ضد الأتراك!!
 — اعلان الحماية في مصر — السلطان حسين كامل — الملك
 فيكم آل اسماعيل — الاتصالات الأولى بشريف مكة من القاهرة
 — تطويق الحركة العربية — كتشنر — ماكماهون — ستورز
 — وينجت — هوجارث — كلايتون — الوجه لآخر للسياسة
 البريطانية : بلفور — سايكس — صمويل — وايزمان —
 محور (براندليس — ويلسون — وايزمان) — مراسلات حسين
 ماكماهون — اعادة الخلافة الى العرب — ثقة الشريف حسين
 في الشرف البريطانى — اتفاق سايكس / بيكو — اعلان الثورة
 العربية في الحجاز — الاهمية الحربية للثورة العربية —

الصفحات

وعد بلفور — وعود أخرى — تناقض الوعود البريطانية —
مؤتمر الصلح في باريس — لجنة كتج كرين — رسائل (ويلسون
فرانكفورت) — فلسطين تتأهب لأحباط المشروع الصهيوني —
الصهيونية توجه وزارة الخارجية البريطانية — لجنة صهيونية
تزرع فلسطين — الأعداد لتنفيذ المشروع الصهيوني —
ثورة ١٩١٩ — زفلول وفيصل أمام مؤتمر الصلح في باريس ١٠٥—١٤٢

الفصل الرابع : قبض الريح

مؤتمر الصلح — تفاؤل واستبشار — بيعة في المسجد
الحرام — الشريف حسين ملكا — لا حق للعرب في تقرير
مصيرهم — الحلفاء أصحاب القرار — بريطانيا أول من ينكر
البيعة — بريطانيا وفرنسا لا تعترفان بالحسين ملكا للأمة
العربية — سوريا تباع فيصلا — أصدقاء العرب ينددون بقرار
العرب — كيرزون يبعد فيصلا وسعدا عن مؤتمر الصلح —
لا حق للعرب في بسط قضيتهم — اللبى يحذر كيرزون —
بريطانيا تحث بوعدها — ذهبت وعود ماكماهون ادراج الرياح
— بريطانيا توقف اعانتها المالية لفصيل — مؤتمر الصلح يؤازر
الصهيونية ضد العرب — الانتداب البريطانى على فلسطين —
تعيين هريبت صمويل — كيرزون لقيصل : صمويل صديق
العرب !! — فرنسا تغزو سوريا — ميسلون — الجنرال
غورو — اخراج فيصل عنوة — اللبى في مصر — فشل
لجنة ملنر — تصريح ٢٨ فبراير — سعد رئيسا لوزراء
الشعب الأولى — سعد : لقد صدقنا اننا مستقلون ١٤٣—١٦٨

الفصل الخامس : الصهيونية

ترقب اليهود للمعجزة — المركز الروحي ليهود المنفى
«Diaspora» — جبل صهيون — أحلام اليهود في العودة الى
فلسطين — الصهيونية السياسية فكرة حديثة — البحث عن
أسس فلسفية — موسى هس — المسألة اليهودية — هرتزل
والدولة اليهودية — خلاف يهودى حول الصهيونية — بنسكر
والحل الاقليمى — التحرر النفسى — الاحتماء بالنفوذ
البريطانى — مؤتمر بال — وازمان يضى على الصهيونية
(١٧ — نكبة الأمة العربية)

الصفحات

طابعاً فلسفياً — براندائيس — أحدها عام — كثرة يهود العالم ضد الصهيونية — توينبى وأبا ايبان — معارضة عاتية ضد الصهيونية في بريطانيا وفرنسا — تحالف الصهيونية والاستعمار البريطاني — وزارة الخارجية الأمريكية ضد وعد بلفور — الحرب العالمية الأولى ترجح كفة الصهيونية — النظام المصرفي الأمريكي في قبضة اليهود الألمان — ابتزاز صهيوني — السرة «Warburg» — اسرة «Herr Warburg Untermeyer»	
— التنسيق بين براندائيس ووايزمان والرئيس ويلسون — تحول أمريكي رسمي لصالح الصهيونية — السناتور «J.A. Reed» يعارض وعد بلفور — الصهيونية تعد وثيقة الانتداب البريطاني على فلسطين — اللجنة الصهيونية في القدس — وايزمان يهدد — ثورة شعب فلسطين — لجان التحقيق — بلفور في فلسطين يرافقه بولسون نيومان : بلفور يتحرك في فلسطين تحت الحراسة المشددة — المتظاهرون يرمون بلفور بالحجارة — عصبة الأمم تجيز وعد بلفور ووثيقة الانتداب على فلسطين — الصهيونية تحقق أهدافها	٢٠٢—١٦٩

خاتمة

أحداث خطيرة بين عامي ١٨٧٥ / ١٩٢٥ — التنظيمات والقضية العربية — آراء حول دعوة الإصلاح — المنابع الفكرية لثورة العربية والثورة المهدية — السلطان عبد الحميد ودستور مدحت باشا — تركيا الفتاة عهد جديد للطغیان — سياسة الأتراك الاتحاديين تمهد لثورة العربية — أثر الحرب العالمية الأولى — — ككتشنر والشريف حسين — التمهيد للخديعة الكبرى — الصهيونية تظل برأسها — وايزمان في بريطانيا وبراندائيس في واشنطن وسوكولوف في أوروبا — الوطن العربي في قبضة الصهيونية وحلفائها — فترة حاسمة (١٩١٩ — ١٩٢٥) — الغرب وعقدة الذنب أمام اليهود — الوطن العربي ضحية العقدة	٢١٦—٢٠٣
مصادر أخرى للكتاب	٢١٨—٢١٧

الصفحات

الوثائق
(٢١٩ — ٢٣٦)

- ١ — رسائل « حسين — مكامهون » ٢٢٩—٢٢١
- ٢ — البلاغ الانجليزى الرسمى فى شأن العرب والسلطة
الاسلامية ٢٣١—٢٣٠
- ٣ — رسائل « فرانكفورت — ويلسون » حول اتخاذ فلسطين
وطناً قومياً لليهود ٢٣٤—٢٣٢
- ٤ — الاحصاء الرسمى لسكان فلسطين ٢٣٦—٢٣٥

الفهارس
(٢٣٧ — ٢٥٩)

- فهرس الاعلام ٢٤٨—٢٣٩
- فهرس الأماكن والبلدان ٢٥٤—٢٤٩
- محتويات الكتاب ٢٥٩—٢٥٥

* * *

رقم الايداع بدار الكتب ٨٥/٤٣٥٩
الترقيم الدولي ٠-٠٥٣-٣٠٧-٩٧٧

دار التوفيق للنشر
للطباعة والجمع الفني
الآنزلة: ٣ صحنان الموسسات
بجوار جامع الزاوي

هذا الكتاب

من الأقوال المعروفة « فرق تسد » .. وهذا هو « دستور » الاستعمار .
إن ما يجري الآن في « فلسطين » وغيرها في أراضى الأمة العربية والإسلامية
من الانقسامات .. والحروب .. والدمار .. هو إستكمال للمخطط
الذى وضعه - أعداء الفكرة الإسلامية - من صليبيين وصهيونيين
وملاحدة - وللوصول الى أهدافهم كانت أمامهم - صخرة عاتية - هى
الخلافة الإسلامية .

● فهل كانت « الخلافة الإسلامية » جامعة للأمة العربية والإسلامية وعنصراً
أساسياً في اتحادهم وقوتهم .. ؟

● وما هى الدسائس والمؤامرات التى - دبرت بإحكام - لروال هذه
الخلافة .. ؟

● وما هى حقيقة الشائعات التى أطلمت على - خليفة المسلمين - وتلففها
المغرضون ونشروها .. ؟

● كيف ان الوجه الذى صبغه « الاستعمار » باتسارات الحذب على مصالح
العرب والمسلمين ، ضد ما أسموه - بالاستعمار التركى - كسفن الفناخ عن
زيفه .. وأبان أنه يعمل - لتفتيت - العرب والمسلمين .. وهو ملطخ بدماء
البشرية .. وكيف انسلخ من وعوده .. وعهوده .. ؟

● مثل كان هناك أفراد من - العرب - تلاحقون فى الملك .. أو .. الإمارة -
فوقعوا تحت تأثير الوعود الخلابية - فماسوا بالعمل - متعاونين - مع الأعداء -
على اضمحلال الخلافة الإسلامية . وتفتت أوصالها الى .. دويلات ..
وإمارات .. ومن هم .. ؟

● وهذا الكتاب « نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية - دراسة
للقضية العربية فى خمسين عاماً - ١٨٧٥ / ١٩٢٥ م » ينولى الاجابة على
هذه الأسئلة وغيرها .. وبكشف النقاب عن حقيقة الأحداث فى تلك
الفترة العصيبة .. ويبين الوقائع الصحيحة - مدعمة بالوثائق - دون
خوف .. أو تحامل .. أو محاملة .. احقاقاً للحق وتصحيحاً لوقائع
التاريخ .

● ومؤلف الكتاب - استاذ فاضل - غاص فى بطون الكتب والمراجع - أمضى
وقتا طويلا فى البحث والتنقيب - ساعدته ظروف عمله فى التنقل الى دول
أوروبا .. والدول العربية .. فاطلع على - الوثائق - والمستندات والمراجع
التي جعلت هذا البحث جديداً فى موضوعه ..

● ويسرنا أن نقوم بنشر هذا الكتاب - ليعرف العرب والمسلمون - كيف حدثت
« نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية » .. وبالله التوفيق .